

مختارات إسلامية

مختارات إسلامية

عبد العزيز العتيبي

الطبعة الأولى

1447هـ - 2026م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد: -

هذه مواضيع جمعتها وهي متفرقة وليست في باب واحد ولكن اخترتها لأهميتها ولأن كل مسلم يحتاج إليها فهي ليست محصورة لفئة معينة من المسلمين ك بعض الأبواب وجُلّها يخص العقيدة، فقلت أضعها وأشرحها وأخذت الشرح من علماء السُّنة والجماعة الموثوقين، واعلموا أن للعلم الشرعي فضل عظيم في تعلّمه وتعليمه فقد قال الرسول ﷺ: (من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) [رواه أبو داود والترمذي]، والمقصود بالعلم في الحديث هو العلم الشرعي، وقال عليه الصلاة والسلام: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) [البخاري ومسلم]، وقال الإمام أحمد رحمه الله: (العلم لا يعدله شيء لمن صحّت نيته)، لأن العلم الصحيح بالدين هو الذي فيه النجاة وخاصة علم التوحيد والعقيدة، فكم من حافظٍ للقرآن صائمٌ بالنهار قائمٌ بالليل قد يقع في الشرك من حيث لا يدري أو يقتدي بشيوخ الضلال أو يعمل بالبدعة ويعتقد أنه مصيب، ولكنه في الحقيقة يُؤزّر ولا يُؤجر على عمله، فالعبرة ليست بكثرة العمل وإنما بكيفية وطريقة العمل، وأما ما يتعلق بحقوق النشر فهي متاحة لكل مسلم.

معاني الرموز:

للمواضيع الرئيسة.

❖ للمواضيع الفرعية.

- للفقرات.

* للملاحظات والمعلومات.

أركان الإيمان الستة:

هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وكل ركن من هذه الأركان يجب الإيمان به فلا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان بها كلها، قال عليه الصلاة والسلام: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) [رواه مسلم]، ومعنى الإيمان لغة هو التصديق، واصطلاحاً هو قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

أولاً - الإيمان بالله: لا أحد يدخل الإسلام إلا بالإيمان بالله وتوحيده وهذا الركن هو أول الأركان وأهمها يقيناً.

وتوحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

- توحيد الربوبية: هو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والرزق والملك والتدبير والإحياء والإماتة ونحو ذلك، فمن اعتقد أن هناك خالقاً غير الله أو مالِكاً لهذا الكون متصرفاً فيه غير الله فقد أحل بهذا النوع من التوحيد وكفر بالله وأشرك، وتوحيد الربوبية موجود في كل نفس حتى نفوس الحيوانات فهي تعرف أن الله الذي خلقها، لكن العناد والكبر يدفع بعض الناس لإنكاره كما قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ النمل [14] أي أقرُّوا بآيات الله باطناً وجحدوها ظاهراً، لأن الله فطر «خلق» الناس على التوحيد، فقد ثبت في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها

من جدعاء) ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه ﴿فَظَرَتِ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الروم [30] انتهى من كلامه.

وهذه الفطرة هي توحيد الله.

تنتج: تلد

جمعاء: مجتمعة الأعضاء سليمة من النقص.

جدعاء: مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء.

ومعناه أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها، وإنما يحدث فيها الجدد والنقص بعد ولادتها، وكذلك المولود بعد أن يولد يضلّه أبواه إذا كانوا كفاراً، ينظر شرح النووي لصحيح مسلم.

- توحيد الألوهية: هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله كائناً من كان كما قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الإسراء [23] ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ النساء [36] وسمي بتوحيد الألوهية لأنه مبني على التأله «التعبد» لله.

- توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات، فيعتقد العبد أن الله لا مماثل ولا مشابه له في أسمائه وصفاته لقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى [11].

وهذا التوحيد يقوم على أساسين:

الأول: الإثبات / أي إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو أثبتته له نبيه ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، على وجه يليق بجلال الله وعظمته من غير تحريف لها أو تعطيل، أو تكييف أو تشبيه أو تمثيل

الثاني: التنزيه / وهو نفي ما نفاه الله عن نفسه من صفات النقص أو نفاه عنه نبيه مع إثبات كمال الضد لأن نفي النقص وحده ليس فيه مدح، قال سبحانه ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [٤٩] الكهف [49] وقال ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ البقرة [255]

ننفي عن الله النوم ونثبت كمال حياته وقِيُومِيته، وننفي عنه الظلم ونثبت كمال عدله.

❖ ❖ فضل توحيد الله:

- 1- أعظم ما دعت إليه الرسل.
- 2- أول ما يُدعى المشركين إليه من أمور الدين.
- 3- شرط لقبول العمل كما أن الشرك محبط لجميع الأعمال.
- 4- يمنع الخلود في النار لمن دخلها من عصاة المسلمين.
- 5- أعظم مكفر للذنوب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) [الترمذي وصححه ابن القيم وحسنه الألباني].

- 6- سبب لدخول الجنة: والدليل ما رواه مسلم (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)

وأيضاً ما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى

مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل).

عيسى كلمة الله لأنه خُلِقَ بكلمة «كن» وليس كسائر البشر الذين خلقهم الله من نطفة «مَنْي» آبائهم، فهو ليس له أب، وأما أمه فهي مريم عليهما السلام، وروح منه يعني أن الله خلق روحه وهذه إضافة خلق وتشريف كما نقول: عبد الله - بيت الله، وليست إضافة صفة كقولنا: يد الله - وجه الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (خلق سائر الخلق من ذكر وأنثى، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح، فإن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا وهو أصل خلق حواء) انتهى من «الجواب الصحيح» (4 / 54).

7- سبب لدخول الجنة بغير حساب:

قال عليه السلام: (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتون وعلى ربهم يتوكلون) [البخاري ومسلم].

لا يسترقون: لا يطلبون من أحد أن يرقّيهم، ولكن يرقون أنفسهم.

لا يتطيرون: الطيرة هي التشاؤم.

لا يكتون: لا يطلبون من أحد أن يكويهم.

وهؤلاء إنما يدخلون الجنة بغير حساب لكمال توحيدهم وكمال توكلهم على الله واستغنائهم عن الناس.

8- هو الحكمة من خلق الله للمخلوقات:

قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [56] الذاريات
يعبدون أي يوحّدون الله بعبادته.

9- قال ابن القيم رحمه الله: أعظم أسباب شرح الصدر هو التوحيد وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه، قال الله تعالى ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٖٓ ۖ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ الزمر [22] يُنظر كتابه «زاد المعاد».

ومن أهم ما يجعل المسلم موحداً هو معرفة الشرك لتجنبه والابتعاد عنه وعن مقدماته، وكل نبي قد حذر قومه من الشرك لأنه أكبر الذنوب وأقبحها وأخطر من جميع المعاصي وأكبر من الزنى والقتل، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنَيْهِ ۖ وَهُوَ يُعْطِيهِ ۖ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ لقمان [13]

والشرك نوعان: أكبر وأصغر، أما الأكبر فهو أن يصرف لغير الله ما هو خاص بالله من ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، وله أقسام وهذه بعضها:

- شرك الربوبية: وهو جعل شريك مع الله سبحانه وتعالى في ربوبيته واعتقاد أن غير الله متصف بأفعال الله الخاصة به، فيعتقد أن هناك أحداً غير الله يحيي ويميت ويرزق ويخلق ويدبر الكون.

- شرك الألوهية: وهو صرف أي نوع من العبادة لغير الله كالصلاة والصوم والتوكل والرجاء والدعاء وغيرها، وشرك الألوهية له فروع ومنها: -

1- شرك الطاعة: هو طاعة غير الله في معصية الله سواء أطاقه في تحريم ما أحل الله أو في تحليل ما حرم الله، كتحليل الميسر والربا أو تحريم الزكاة والصوم، وهذا منتشر عند الجماعات الضالة الذين يعملون بفتاوى علمائهم ومشايخهم مع علمهم بأنها تخالف الشرع، فمن اتبع غير الله في التشريع فهذا له حالتين: -

إن استحل ذلك واعتقد أنه يحق له طاعة غير الله في التشريع فهذا كفر، وكذلك يكفر إذا اعتقد أن غير الله يحق له التشريع لأنه قد اتخذ هذا المتبوع رباً

ومعبودًا وشريكًا لله في عبادته وألوهيته، فالله هو المشرع وحده سبحانه ولا يحق لأحد غيره التشريع، وأما إذا لم يستحل ذلك واعتقد أنه مخطئ فهذا عاصي لله وليس مشرك، ومن صور ذلك الحكم بالقوانين الوضعية التي وضعها البشر، فمن اعتقد أن هذا القانون مساوٍ لحكم الله أو أفضل منه أو استحل ذلك فقد خرج من الإسلام، وإذا لم يستحل ذلك واعتقد أن حكم الله أفضل من حكم القوانين لكنه يطبق بعض هذه القوانين اتباعًا للهوى فقد عصى ربه، هذا فيما يتعلق بأفراد المسائل أما من وضع قوانين عامة لكل شيء، للزواج والطلاق وأحكام الميراث والقتل والسرقات وغيرها فهو كافر استحل ذلك أم لم يستحله، وهذه القوانين أصبح بعض المسلمين يعمل بها وإذا بدا له مسألة فقهية قال نتحاكم إلى القانون أو بينا القانون أو القانون في بلدي عادل ولا يظلم أو سوف آخذ حقي بالقانون أو القانون يحميني، وهذه بليّة ورزيّة، وأصبح هذا القانون يزاحم العلوم الشرعية في الجامعات ويصرف طلاب العلم عن القرآن والسنة، واستحلال ما حرم الله فيه معارضة ومخالفة له، وقد أخبرنا نبينا بأن هناك مسخ سيحدث في هذه الأمة بسبب تحليل المحرمات، فقال: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتهم يعني الفقير لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة) [البخاري].

الحرّ: الفرج ويقصد به الزنى.

الحرير: وهو حرام على الذكور لأن لبسه يورث الأنوثة، إلا في حالة الحرب أو الرجل الذي يكون في جلده حكة.

يستحلّون الخمر: وهي كل ما يُسكر ويُغطي العقل ويستحلّون أيضًا المعازف وهي آلات اللّهُو والموسيقا.

وقال عليه السلام: (في هذه الأمة خسف ومسح وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر) [الترمذي وصححه الألباني].

خسف: انشقاق الأرض.

مسح: تغيير الصورة إلى صورة قبيحة عقوبة على المعصية.

قذف: الرمي بحجارة من السماء.

القينات: المرأة التي تقوم بالغناء والعزف.

ومعصية الله سبب لنزول العذاب سواء استحلها الإنسان أو لم يستحلها ولكن استحلالها أعظم لأنه كفر، وقال النبي: (ليشربن ناسٌ من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، يُعزَفُ على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير) [ابن ماجه].

وقوله يسمونها بغير اسمها هذا غير التحليل فيه تحايل على الله، ومن صور الاستحلال للمعاصي في زمننا هذا تغيير أسامي المنكرات، وهذه أمثلة على ذلك: -

1- تسمية الخمر {مشروبات روحانية} وتغيير اسمها لا يغير حقيقتها ولا يغير حكمها من التحريم إلى الإباحة، لما تسببه من سكر وإذهاب للعقل، فأينما وجدت هذه العلة في مشروب فهو محرم بالنص والإجماع، حتى إن كثيراً من الدول الكافرة قد منعت شربها في المدارس والجامعات وأثناء القيادة بسبب أضرارها.

2- تسمية الأغاني {أناشيد إسلامية أو شيلات أو مؤثرات صوتية أو إيقاعات} وجميع آلات اللهو والمعازف حرام بإجماع العلماء، والجائز هو ضرب الدف فقط، وهو خاص بالنساء، ويكون في العرس والعيد والختان وعودة الغائب، والدف مستثنى من عموم النهي عن المعازف لإقرار النبي له،

ولأنه أقل طرباً وأقل تأثيراً في النفوس من الطبل بسبب أن له وجه واحد وليس كالطبل المختوم من وجهين.

3- تسمية الزنى {علاقة عاطفية} والزنى من أقبح الأفعال، فأعظم الذنوب على الإطلاق هو الشرك بالله ثم القتل ثم الزنى ثم سائر الذنوب، وقد نُهِينا عن مقدماته فكيف باقترافه، وانتشاره سبب لأخطر الأمراض كالطاعون وغيره.

4- تسمية تبرج النساء والسفور {حرية شخصية} والتبرج ما انتشر في مجتمع إلا زادت فيه الفواحش وتسبب في العزوف عن الزواج، وكيف يكون تطور ورُقِّيَّ وربنا سبحانه عندما غضب على آدم وحواء عرَّاهما وأبدى سوءاتهما.

5- تسمية الرشاوى {هدايا} والرشوة هي دفع المال للتوصل به إلى إبطال حق أو تحقيق باطل، والهدية هي التي يُقصد بها المودة والإحسان وشتان ما بينهما، الهدية تسبب الترابط والتآلف، والرشوة تنشر الفساد والفوضى وتهدد المجتمع وتسبب الخيانة في العمل، فيصبح المسؤول أو الموظف لا يخدم أحداً إلا بمقابل مادي فينقطع الخير والمعروف بين الناس، ويأتي صاحب الشهادة المتميزة ولا يجد وظيفة لأنها ذهبت للذي لا يجيد مهارات العمل لأنه دفع رشوة، فتجد المرشحي يُهدى لأجل منصبه أو وظيفته لينفذ طلبات الراشي مهما كانت ظالمة، ولكنها جائزة إذا كان الإنسان لا يقدر أن يأخذ حقه أو لا يقدر أن يدفع الظلم عن نفسه إلا بدفع الرشوة فهنا تصبح حلالاً والإثم حينها على المرشحي لا على الراشي ولكن بشرط ألا يظلم أحداً وألا يأخذ حق أحد وحتى هذه الحالة يجب عدم التوسع فيها لكيلا يتجرأ البعض عليها.

6- تسمية المظاهرات والثورات {تعبير عن الرأي أو مطالبة بالحقوق} والحقيقة أنها بداية كل شر وتمرد من الرعية على الراعي، وهذا امتداد لأسلافهم الخوارج.

7- تسمية الربا {فوائد} والربا محرم بالإجماع، ربا الفضل وربا النسيئة لأن فيه ظلم على المسلمين وانتهاك لحرمة أموالهم بأخذ الزائد من غير عوض، وعقوبة آكل الربا أنه يقوم من قبره يوم البعث ضخم البطن لأن الربا قد أثقل على بطنه فيقوم ويسقط ولا يمشي مثل الناس، فيكون كالذي به مس من الشيطان والربا من السبع الموبقات «المهلكات».

** من الواجب علينا أن نخالفهم في ذلك ونسمي كل شيء كما سماه الشارع ليعلم الناس حكمه الشرعي، والعبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني، ومن عرف مقاصد الشريعة لم تُغَرَّ عبارات الخديعة.

2- شرك المحبة: وهو أن يحب أي مخلوق حباً مساوياً لحب الله أو أكثر منه وهذا يدخل في شرك الألوهية، لأن توحيد الألوهية لله فيه أعمال الجوارح وأعمال القلوب، فأعمال القلوب مثل: المحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، ونحو ذلك من أنواع العبادات، وأعمال الجوارح مثل: الصلاة والصوم والحج والذكر والمظاهر التعبدية التي تكون على جوارح الإنسان، فيجب على المسلم أن يكون حبه لله أعظم من حبه لغيره حتى لو كان النبي، لأن الله لا يرضى أن يشرك معه غيره لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وليس هناك أحد يُحِبُّ لذاته إلا الله، لأنه مستحق لذلك ولكمال ذاته وأسمائه وصفاته، حتى النبي عليه الصلاة والسلام نحه لأن محبته تابعة لمحبة الله ونطيعه لأجل الله.

3- شرك الخوف: وهو ما يسميه العلماء بخوف السر وسمي بذلك لأنه ليس له أسباب في الظاهر، مثل خوف المشركين من أوليائهم سواء كانوا أحياء أو أموات أن يقبضوا أرواحهم أو ينزلون عليهم صاعقه من السماء أو يمنعون نزول المطر، حتى إن بعضهم يخاف من شيخه وسيده الذي قد سافر إلى دولة أخرى أن يصيبه بمكروه أو يسلب الإيمان من قلبه إذا خالف أمره أو اغتابه،

ومن أمثلة خوف السر خوف من الجمادات والأشجار وغيرها، فقد كان الكفار يهددون النبي بانتقام أصنامهم منه، وهذا ممنوع لأنه ليس له أسباب ظاهرة، أما الخوف من المخلوق إذا كان له أسباب ظاهرة حسية فهذا خوف طبيعي ولا حرج فيه ولا ينقص الإيمان مثل الخوف من الحية كما حصل لموسى عليه السلام أو الخوف من السباع أو من الأعداء أو من النار، فيجب أن يكون خوف السر من الله وحده، ومن خاف من غير الله خوف سر فقد أشرك شركاً أكبر.

- شرك الأسماء والصفات: وهو تسمية المخلوقين بأسماء الله الخاصة به مثل: (الخالق والرحمن والرب) أو وصفهم بصفات الله الخاصة به مثل: (الإحياء - الإماتة - الوجدانية) أو تشبيه الله بخلقه كقول: يد الله مثل يد المخلوق أو وجهه مثل وجه الإنسان.

وأما الشرك الأصغر: فهو كل ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، أو ورد في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، فلا يحبط الأعمال ولا يخرج من ملة الإسلام ولا يخلد صاحبه في النار ولا يبيح قتال صاحبه ولا يمنع الموالاة، بخلاف الشرك الأكبر الذي يحبط الأعمال لمن مات ولم يتب منه، ويخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار ويمنع الموالاة ويبيح قتال صاحبه إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع، فالشرك الأصغر مثل الرياء والحلف بغير الله، وقول {ما شاء الله وشئت} - هذا من الله ومنك - إنا بالله وبك - ما لي إلا الله وأنت - لولا أنت لم يكن كذا وكذا { وقد تكون هذه الألفاظ شركاً أكبر بحسب قائلها ومقصده، فمن قال ما شاء الله وشئت معتقداً أن غير الله مساوياً لله في المشيئة فهذا شرك أكبر، وإن قالها غير معتقد لذلك واعتقد أن مشيئة الله فوق كل مشيئة فهذا شرك أصغر، قال رسول الله ﷺ: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول

الله؟ قال (الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم ترءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟) [مسند أحمد]. وروى أحمد والطبراني وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (أيها الناس اتقوا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل) فقال من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه يا رسول الله، وهو أخفى من دبيب النمل؟ قال (قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفر لك ما لا نعلم) والمرائي هو الذي يعمل الأعمال الصالحة من أجل أن يراه الناس ويثنون عليه، فهو عكس المخلص الذي يعمل الأعمال الصالحة من أجل أن يرضى الله وحده.

س / كيف عرفنا الله؟

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب (وإذا قيل لك بم عرفت ربك؟ فقل أعرفه بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع، ومن فيهن، والأراضون السبع ومن فيهن وما بينهما) رحم الله الشيخ المصلح المجدد، وفي زمننا هذا يذمونه المبتدعة ويمنعون كتبه في بعض البلاد لأنه داعية إلى التوحيد وليس لسبب آخر، بينما دعاة الفتنة والضلال يُثنى عليهم ويُمجّدون، وسُئل أعرابي بم عرفت ربك؟ قال (البعرة تدل على البعير، وآثار الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير) يقصد أن هذه المخلوقات لا بد لها من خالق، فلو قال قائل: إن هذه السيارة لم يصنعها أحد، إنما أتت هكذا من نفسها، أو هذا البيت لم يبنيه أحد وإنما وجدناه مبني بدون أن يبنيه «عَمَّال» لقلنا أن هذا الإنسان مجنون.

س / كيف نرد على المشركين في زعمهم أن هناك أكثر من إله؟

نرد بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ

الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ الأنبياء [22] يعني أن هذا الكون مخلوق بنظام مرتب، وبانسجام تام، فلا تضاد فيه، ولا تضارب في سننه وقوانينه، ولو كان هناك خالفان أو أكثر لحصل التناقض والاختلاف في سير الكون ونظامه لأن التعدد يوجب الاختلاف، فلو كان هناك مثلاً دولة فيها ملكين لحصل اختلاف واقتتال بينهما وخلل وسوء في التدبير.

❖ شروط كلمة لا إله إلا الله: _

1- العلم بمعناها المنافي للجهل: فلا يكفي أن يرددها الإنسان وهو جاهل بها، ومعناها (لا معبود بحق إلا الله) لأن هناك معبودات بالباطل مثل الأصنام وغيرها.

2- اليقين: ألا يقع في قلب قائلها شك فيها أو فيما تضمنته لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ الحجرات [15]

وقول النبي: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شك فيهما إلا دخل الجنة) [مسلم] فلا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين، بل لا بد من استيقان القلب والبعد عن الشك فإن لم يحصل هذا اليقين فهو النفاق، والمنافقون هم الذين ارتابت قلوبهم ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ التوبة [45]

3- القبول لما اقتضته هذه الكلمة: والقبول ضد الرد والاستكبار، وذلك أن الله أخبرنا عن أقوام رفضوها فكان ذلك سبب عذابهم، قال سبحانه ﴿فَأَنَّهُمْ يُؤَمِّدُونَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكْ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الصافات [33-35]

4- الانقياد لما دلت عليه: أن يكون العبد عاملاً بما أمره الله به، منتهياً عما نهاه عنه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ لقمان [22].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (العروة الوثقى هي لا إله إلا الله) وهذا الشرط يقتضي أن من قالها ولم يعمل خيراً قط لا يحكم له بالإيمان، لأن الله خلقنا للتذلل والتعبد له ولا يكفي قول لا إله إلا الله باللسان فقط، وقد قيل للتابعي وهب بن منبه (أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة قال: بلى ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك) [رواه البخاري معلقاً] ويقصد بالأسنان العمل الصالح.

5- الصدق: أن يقولها صادقاً من قلبه، موافقاً قلبه لسانه، لقوله تعالى ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ البقرة [8، 9]

6- الإخلاص: وهو إرادة وجه الله تعالى وحده بهذه الكلمة، قال تعالى ﴿وَمَا أُمُورُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ البينة [5].

وكل عمل يخلو من الإخلاص فهو باطل، لأن شروط قبول أي عمل هي الإخلاص لله والمتابعة للرسول.

7- المحبة لله ولهذه الكلمة ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، وبغض ما ناقضها ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجَاهِدُونَ عَنْ وَجْهِكَ اللَّهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ البقرة [165]

8- الكفر بما يُعبد من دون الله، واعتقاد أنه لا يوجد إلا إله واحد وهو الله وحده سبحانه وأن يتبرأ المسلم من عبادة غير الله ويعتقد أنها باطلة.

❖ ❖ نواقض الإسلام: _

اعلم أن للإسلام نواقض، فقد يخرج من الإسلام من يظن أنه مسلماً لارتكابه أحد هذه الأعمال أو ما كان في حكمها، فليس كل من ادّعى الإسلام أنه كذلك، ونواقض الإسلام كثيرة ليست محصورة في هذه العشرة ولكن هذه النواقض ذكرها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لكثرة انتشارها بين الناس وهي على النحو التالي: _

1- الشرك بالله بجميع أنواعه، وهو أعظم الذنوب على الإطلاق، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٨﴾ النساء [48] وقال أيضًا ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٢﴾ المائدة [72] فمن أشرك بالله فإنه ثبت له أحكام الكفار في الدنيا من امتناع المناكحة وحرمة الذبائح عدا أهل الكتاب، وانقطاع التوارث، وحل الاسترقاق بالنسبة للحربي، وعدم الصلاة عليه وعدم دفنه في مقابر المسلمين، وثبت له الأحكام الأخروية، فإن الله حرّم الجنة على كل كافر، ومأواه النار خالداً فيها أبداً، ولا تنالهم شفاعة الشافعين، ولا يدخلون تحت حكم المشيئة الإلهية المتعلقة بالمغفرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به) انتهى من «الاستقامة» (1/344) يعني أن من ساوى غير الله مع الله ولو في أمر واحد خرج من الإسلام ولا يشترط لتكفيره أن يساويه مع الله في جميع الأمور، فيجب التعوذ بالله من الشرك، قال الرسول ﷺ لأبي بكر: (والذي نفسي بيده، للشرك أخفى من ديب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم،

وأستغفرُك لما لا أعلم) [البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني].

2- أن يجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ويتوكل عليهم، كمن يجعل الأنبياء أو الملائكة أو الصالحين وسائط، فهذا كافر لقوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَتَّبِعُونَ اللَّهَ يَمَّا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ يونس [18].

3- من لم يكفر المشركين كاليهود والنصارى والمجوس والهندوس والبوذيين وسائر مللهم، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر، لأن من لم يكفر الكافر فهو مكذب لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ آل عمران [85] فمن لم يكفر الكافر فهو كافر مثله.

4- من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ مساوي أو أكمل من هديه فهو كافر بالإجماع، لأن سنة النبي وهديه وحى من الله، كأن يعتقد أن هدي غير النبي فيما يتعلق بالعبادات، أو المعاملات، أو ما يتعلق بالأنكحة، أو الحدود، أو القصاص، أحسن من هدي النبي، فهذا كفر مخرج من الملة، ومن صور ذلك الذين يفضلون حكم الطواغيت على حكم الشريعة.

5- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به، لأنه يصبح منافق ومكانه في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ محمد [9]، وقال سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب [36]، ونحن نقصد الكراهية مع الذم أو الرفض والاعتراض على الحكم الشرعي باللسان كما يتسخط بعض الناس أو

بالفعل كمن يبطل أحكام الله، مثل من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر والقرن الواحد والعشرين، وإنه تخلف ورجعية فهذا القول كفر والعياذ بالله، ومثل بعض النساء تكره التعدد وتصفه بالخيانة وترفض زواج زوجها بأخرى، ومثل من يبغض الزكاة ويصفها بأنها هدر للأموال أو كمن يقول إن جهاد الكفار عدوانية وظلم لا يستحقونه أو من يبغض حجاب النساء أو يبغض تحريم الزنى والخمر أو إعفاء اللحية أو غير ذلك من الأشياء التي جاء بها الشرع ويعترض عليها، أما الكراهية القلبية التي هي من طبيعة البشر ككراهية المرأة للضرة وكراهية النفس للقتال مع قبول هذه الأحكام والانقياد لها وعدم الاعتراض عليها أو انتقادها فهذا البغض لا يأثم صاحبه كما قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ البقرة [216].

6- الاستهزاء بالله أو بالرسول ﷺ أو السخرية من دين الإسلام، مثل حمل بعض أوامر أو نواهي الدين على اللعب والهزل لا على الجد، كالاستهزاء باللحية الطويلة والثوب القصير وحجاب المرأة والأذان والإقامة، قال عز وجل: ﴿وَلَا يَسْأَلُهُمْ لِيَقُولَ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَلَعَبٌ قُلْ أَيْلَهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ التوبة [65]، ويجب على المسلم أن ينكر بشدة على المستهزئين بدين الله وألا يجالسهم لئلا يكون منهم

7- السحر وسنذكره لاحقاً.

8- مُظاهرة المشركين ومعاونتهم ونصرهم على المسلمين، سواءً نصرهم بالسلاح أو بالمال أو بالرأي، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبَيْهِمْ وَقَذَفَ فِي فُلُوهُمْ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ

وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٦٦﴾ الأحزاب [26] والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فتشمل الآية كل من ينصرهم على المسلمين، ولا نقول إنها خاصة في يهود بنو قريظة عندما نصرُوا كفار قريش ضد المسلمين في غزوة الأحزاب، هذا إذا كان المقصد هو لأجل ظهور دين الكفر على دين الإسلام أو كرهًا للإسلام، فحينها يخرج من الملة، أما من نصرهم لغرض دنيوي كالحصول على الأموال أو لمصلحة شخصية أو خوفًا أو عداوة بينه وبين قوم مسلمين فعمله هذا من كبائر الذنوب ولا يكفر بذلك، كما فعل الصحابي حاطب بن أبي بلتعة عندما أخبر قريش أن النبي يجهز لفتح مكة ولم يكفر بذلك ولو ارتدّ لقتله الرسول لأن حكم المرتد هو القتل ولكنه أراد من كفار مكة حماية أهله وماله، وكما حصل لسعد بن عباد لما انتصر لعبد الله أبي في قصة الإفك، فقال لسعد بن معاذ: والله لا تقتله ولا تقدر على قتله، والسبب أنه احتملته الحمية.

9- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ آل عمران [32]، وقال النبي (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) [مسلم]، وقال: (كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وَ يُعِثُّ إلى الناس عامة) [البخاري ومسلم].

10- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ السجدة [22]، والمقصود هو الذي يعرض عن أصول الدين التي لا يدخل الإسلام إلا بها مثل أركان الإيمان وأركان الإسلام على وجه العموم لا على التفصيل، فلا يُشترط العلم والعمل بجميع أمور الدين، لأن كثير من المسلمين لا يعلم عن بعض أبواب الدين أو لا يعمل بها، كمن يجهل أحكام

المواريث أو الجهاد أو صلاة النافلة كالوتر وغيره، أو لا يصلي النافلة ولا يصوم غير رمضان أو لا يذبح الأضحية أو يكون ممن قطع رحمه.

ثانياً - الإيمان بالملائكة: -

الملائكة في أصل اللغة جمع مَلَك وهو مشتق من الألوكة أي: الرسالة فالمَلَك معناه الرسول وهم أجسام لطيفة، ومسكنهم السماوات، خلقهم الله قبل البشر، وأعظمهم جبريل عليه السلام، وهو أمين الوحي، فيجب الإيمان بهم جميعهم، والإيمان بهم يشمل الإيمان بوجودهم وبأسمائهم وصفاتهم وأعمالهم ومن أنكر وجودهم فقد كفر لتكذيبه القرآن، وهم عليهم السلام مخلوقين من نور ومتصفين بالقوة وعدم المعصية كما وصف الله الملائكة الموكلة بالنار ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

غلاظ: في الطباع، شداد: أقوياء.

ووصف الله جبريل عليه السلام وقال: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: 20]

التكوير [20]

أي له مكانه عند الله وعند الملائكة، وهم مع عصمتهم من الذنوب والمعاصي دائمو الطاعة لله سبحانه، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ أَثِيلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إني أرى ما لا ترون، أظت السماء وحق لها أن تظط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى) [الترمذي وابن ماجه وأحمد].

أُطَّت: حصل لها صوت كصوت الرجل إذا رُكب عليه، ويحق لها ذلك من عظمة وكثرة ما عليها من الملائكة.

إلا وملك واضح جبهته ساجداً لله: يدل على فضلهم ودوام عبادتهم لله. ولبيكنم كثيراً: خوفاً من الله ومن انتقامه. الصعدات: الطرقات.

تجأرون: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة إلى الله تعالى.

كما أنهم لا يأكلون ولا يشربون، ولا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، ولهم قدرة على التشكل كما دلت على ذلك قصة إبراهيم مع الملائكة عندما أتوه في صورة بشر، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ الذاريات [24-28]، وكذلك ومجيء جبريل عليه السلام إلى مريم عليها السلام في صورة بشر، قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (٧) ﴿مريم [17] ولديهم أجنحة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، فجبريل عليه السلام له ستمائة جناح، ومن صفاتهم أيضاً أنهم يتأذون من الروائح الكريهة كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: نهى الرسول ﷺ عن أكل البصل والكراث، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها فقال النبي (من أكل من هذه الشجرة الممتنة فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس) كما أنهم مطهرون من النجاسات والأحداث، ومن أخلاقهم الحياء، ففي الحديث أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما دخلا على النبي وهو كاشف فخذة فلم يسترها، فلما دخل عثمان جلس النبي

وسوى ثيابه، فسألته عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقال (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة) [رواه مسلم].

وأما عددهم فلا يعلمه إلا الله سبحانه حيث رد علم ذلك إلى نفسه فقال جل جلاله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ المدثر [31]، وجاء في صفة البيت المعمور في السماء السابعة أنه (يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم) [رواه مسلم].

وعَدَّ ﷺ الملائكة الذين يأتون بجهنم بأربعة مليار وتسعمئة مليون ملك فقال: (يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك) [مسلم]، مما يدل على أن الملائكة عليهم السلام أكثر من البشر بكثير، وهم عباد الله المُكْرَمُونَ، ومنهم الموكَّل بتنزيل الوحي على الأنبياء والرسل وهو جبريل أو جبرائيل «عبد الله» ومنهم الموكَّل بالمطر والنبات وهو ميكائيل «عبيد الله» ومنهم الموكَّل بالصُّور «القرن» وهو إسرافيل «عبد الله» ينفخ فيه بإذن الله تعالى، ومنهم الموكَّل بقبض الأرواح وهو ملك الموت عزرائيل «الذي يعينه الله» لأن كلمة إيل بالعبرية معناها الله، وكذلك اسم إسرائيل معناه عبد الله، وإسرائيل هو النبي يعقوب، ومن صفوة الملائكة حَمَلَةُ العرش وهم اليوم أربعة ويوم القيامة يكونون ثمانية، وهناك ملك موكل بنفخ روح الجنين في بطن أمه، ومنهم الكَتَبَةُ يكتبون أعمال بني آدم، ومنهم الحَفَظَةُ يحفظون الناس من الشياطين والمصائب والأذى، ومنهم معقبات في الليل ومعقبات في النهار ينزلون من السماء إلى الأرض كل يوم لكي يصعدوا بأعمال الناس إلى الله وذلك في وقت صلاتي الفجر والعصر، فالملائكة الذين يكونون مع كل إنسان ثمانية، اثنين حفظة واثنين كتبة واثنين معقبات النهار واثنين معقبات الليل، ووصف الله أعمال بعض الملائكة بقوله: ﴿فَالْمَدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ النازعات [5]، وهي الملائكة التي تدبر أوامر الله في العباد من رزق ومطر

وموت وغير ذلك، ومن أعمال الملائكة أنهم يستغفرون للمسلمين في الدنيا ويشفعون لهم في الآخرة، قال عليه الصلاة والسلام (الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مُصَلَّاه الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه) [مسلم].

تصلي على أحدكم: تستغفر له.

ما دام في مصلاه: ما دام في المكان الذي صلى فيه.

ما لم يحدث: ما لم ينتقض وضوؤه.

وهناك ملكان موكلان بسؤال العبد في قبره وهما المنكر والنكير، وللنار خَزَنَةٌ «حَفَظَةٌ موكلون بها» رئيسهم مالك وهو مشتق من الملك وهو القوة، وللجنة خزنة رئيسهم رضوان وهو مشتق من الرضا، عليهم جميعاً السلام.

ثالثاً - كتب الله سبحانه: -

مثل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وصحف موسى «أنزلت على موسى قبل التوراة» فيجب الإيمان بها كلها إنها حق ومنزلة من عند الله، ولا شك أن الإيمان ببعض الكتب والكفر بالبعض الآخر هو كفر بالجميع؛ لأنه لا بد من الإيمان بجميع الكتب السماوية، والإيمان بالكتب السابقة يكون باعتقاد أنها صدق وحق أما الإيمان بالقرآن فلا بد من العمل بجميع أحكامه وتصديق أخباره ومعرفة كل ما فيه وتدبره وتلاوته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (ولو آمن بجميع الكتب وكفر بكتاب كان كافراً) انتهى من كلامه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝﴾ [الأعلى 18، 19] وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۝ الْمَائِدَةِ [44] وقال: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۝﴾ [الإسراء 55]

والزبور لغةً هو الكتاب وشرعاً هو الكتاب المنزل على النبي داود عليه السلام، وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ المائدة [46].

وأنزل الله القرآن الكريم وهو آخر الكتب وأفضلها على نبينا محمد خاتم أنبيائه ورسله وأفضلهم ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ الشعراء [195-193].

والروح الأمين هو جبريل عليه السلام أفضل الملائكة، قال الإمام الطبري رحمه الله في «جامع البيان» (2/ 322) {وإنما سمي الله تعالى جبريل روحاً وأضافه إلى القدس لأنه كان بتكوين الله له روحاً من عنده، من غير ولادة والد ولده، فسماه بذلك روحاً وأضافه إلى القدس وهو الطهر، كما سمي عيسى ابن مريم روحاً لله من أجل تكوينه له روحاً من عنده من غير ولادة والد ولده} اهـ، يعني أن الله خلق جبريل بدون أب وبدون أم، وخلق عيسى بن مريم بدون أب، وسمى جبريل بالأمين وكذلك نبينا محمد بسبب أمانتهم على الوحي فهم لا يزيدون ولا ينقصون منه شيء، وسمى الوحي روحاً لأهميته فهو حياة للناس كما أن الروح حياة للجسد.

والكتب جميعها أنزلت في شهر رمضان وهذا يدل على فضل ومزية هذا الشهر الكريم، قال عليه السلام (أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل بثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان) [رواه أحمد]، والقرآن أشمل الكتب التي أنزلها الله كما قال الرسول (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل) [رواه أحمد].

السبع الطوال: من البقرة إلى التوبة.
 المئين: السور التي عدد آياتها مئة فأكثر.
 المئاني: السور التي عدد آياتها أقل من مئة.
 المُفَصَّل: السور القصيرة التي كُثِرَ الفصل بينها بالبسملة «من ق إلى الناس»
 وطواله من ق إلى النبأ وأوساطه من النبأ إلى الضحى وقصاره من الضحى إلى
 الناس.

فيجب علينا أن نؤمن أن الله تكلم بها، فمنها المسموع منه تعالى من وراء
 حجاب بدون واسطة الرسول الملكي، ومنها ما بلغه الرسول الملكي إلى
 الرسول البشري، ومنها ما كتبه الله تعالى بيده كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ
 لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ
 بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾ الشورى [51]، وقال تعالى
 ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ النساء [164].

وقال في شأن التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً
 وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ
 الْفَاسِقِينَ﴾ الأعراف [145]، ونؤمن أنها جميعها يصدق بعضها بعضاً ولا
 تكذب بعضها، وأن القرآن مصدقاً لها كلها وناسخ لها، مع العلم أنه لا يجوز
 النظر في كتب أهل الكتاب، فقد غضب النبي حين رأى مع أحد الصحابة
 صحيفة من التوراة، لأن جميع الكتب التي نزلت قبل القرآن محرفة، فقد
 ضاعت نسخها الأصلية ولم يبق لها أصل، بل اختلطت هذه الكتب بكلام
 الناس فلا تقدران تميز بين قول الله وقول سواه، فكيف تصح نسبتها للرسول؟
 حتى إن التوراة دُونت بعد موسى بعدة قرون، وكذلك الإنجيل اختلفت نسخها
 فأصبح اليوم هناك 4 أناجيل اختصرت من 70 إنجيل، والسبب في عدم حفظها
 أنها ليست رسالة الله الخالدة للبشرية، بخلاف القرآن الذي تكفل سبحانه
 بحفظه إلى قيام الساعة لأنه رسالته الخالدة إلى البشر.

رابعاً: الإيمان بالرسول والأنبياء: -

الأنبياء اصطفاهم الله بالوحي والرسالة لقوله ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٧٥﴾ الحج [75]، وقال ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ النساء [163]، والوحي هو الإعلام في الخفاء.

❖ ❖ واجبنا تجاههم: -

- الإيمان بهم والتصديق بنبوتهم وتعظيمهم واعتقاد أنهم صفوة الخلق لقوله عز وجل: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ النساء [171]، ولقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٣٦﴾ النساء [136]، فمن كفر بنبي واحد فقد كفر بجميع الأنبياء لأن رسالتهم واحدة.

- وجوب العمل بشرائعهم، واعتقاد أن دينهم واحد لقوله عليه السلام: (الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد) [أخرجه البخاري ومسلم]، وأولاد العلات من لهم أب واحد وأمهات شتى، فوحدة الأب إشارة إلى أن الدين واحد وهو الإسلام والتوحيد، واختلاف الأمهات إشارة إلى الاختلاف في فروع الشريعة، فشريعة عيسى تخالف شريعة موسى في بعض الأمور، وشريعة محمد تخالف شريعة موسى وعيسى في بعض الأمور، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة [48]، فيجب على كل أمة اتباع نبيها، أما بعد بعثة نبينا محمد فشريعته نسخت كل شريعة.

- عدم التفريق بينهم، فلا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض، كحال النصاري الذين آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد، أو كحال اليهود الذين آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد، بل يجب الإيمان بهم جميعهم عليهم صلوات الله

وسلامه، قال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾ البقرة [136].

- اعتقاد أنهم أدّوا رسالة الله على أكمل وجه، وأنهم بلغوا درجة الكمال البشري، فلا نقصٌ يعيبهم، ولا عيب يشينهم، قال ﷺ: (لا تفضلوا بين أنبياء الله) [متفق عليه]، وإنما قال ذلك وهو خيرهم تواضعاً، ولئلا يتوصل بالتفاضل بين الأنبياء إلى انتقاص أحد منهم.

- دفع غلو الغالين فيهم، كغلو النصارى في المسيح ابن مريم عليهما السلام حيث ادعوا أنه ابن الله، لكن الله يكذبهم بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ النساء [171].

- دفع ما ألصق بهم من تهم وشائعات، كتلك التي روجها اليهود وزعموا أنها في الكتاب المقدس حيث تصف الأنبياء بأنهم أهل غدر وخيانة، أو أنهم أهل شهوة وسكر، فإن الذبَّ عن أعراض أنبياء الله أمام هذه التهم الباطلة من أوجب الواجبات على أهل العلم، صيانةً لمقام الأنبياء وحفظاً لحقهم، هذا فيما يتعلق بحقوق أنبياء الله ورسله على المسلم على وجه العموم، ولا شك أن هناك حقوقاً اختصاص بها نبينا محمد ﷺ وأعظمها وجوب متابعتهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ الحشر [7]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾ الأحزاب [21].

أسوة: قدوة.

كما يجب اعتقاد أن نبينا محمد هو خاتم الأنبياء والرسل وأن شريعته خاتمة الشرائع وأنه لا نجاة لأحدٍ من الثقليين إلا باتباعه.

❖ ❖ خصائصهم: _

- المعجزات: وهي الأمور العظام التي أجراها الله على أيديهم تصديقاً لهم، وبرهاناً على الحق الذي معهم، ولهذا سماها الله في كتابه (آيات) أي علامات دالة على صدقهم، وتأييد الله أنبيائه بالمعجزات من رحمته ليؤمن الناس، ولتقوم الحجة على العباد، ولم يبعث الله نبياً من الأنبياء إلا ومعه آية تدل على صدقه وصدق ما أخبر به كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد [25]، ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ آل عمران [184].

وقال عليه السلام: (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة) [متفق عليه]

يعني أن أكبر معجزات النبي هي القرآن، والمعجزة تكون خارقة للعادة ولا يكذبها إلا مكابر قد علم صدقها، ومن عظيم حكمة الله عز وجل أن جعل معجزات رسله من جنس ما أبدع فيه القوم المرسل إليهم إمعاناً في الحجة وقطعاً للعدر، فموسى عليه السلام أرسل في قوم كان السحر شائعاً بينهم، فاتاه الله من الآيات ما فاق به قدرة السحرة على أن يأتوا بمثله فلما رأى السحرة ذلك علموا أن هذا أمر ليس من فعل السحر، وإنما هي المعجزة الربانية التي أيد الله بها نبيه موسى فما كان من السحرة إلا أن آمنوا وأذعنوا ولما بعث عيسى في بني إسرائيل كان فن الطب فيهم شائعاً، فاقتضت حكمته تعالى أن جعل كثيراً من معجزاته من قبيل أعمال أهل الطب، فأبرأ الله على يديه الأبرص والأكمه «الذي وُلد أعمى» وأحيا الموتى بإذن الله، وكل من البرص والكمه فضلاً عن الموت من الأمراض المستعصية التي لم يكن بمقدور الأطباء

التسبب في الشفاء منها، فأتى الله عيسى عليه السلام معجزة الشفاء منها بلمسة وبدعاء الله، وكل ذلك يدل على أن فعله لم يكن من جنس ما يفعله الأطباء، فإن الأطباء يمكنهم أن يشفوا من البرص لكن بعد معالجة وزمن، وكذلك يمكنهم أن يشفوا من العمى الذي يكون عرضياً ليس مخللاً بجوهر البصر، وأما شفاء الأكمه عديم البصر فهذا ليس في طاقتهم، وأما إحياء الموتى فلا يقدرُونَ عليه أبداً لأنه بيد الله وحده، وكان عيسى يدعو فيستجيب الله له، فكان سبب فقط مثله مثل الملك الذي ينفخ في روح الجنين، ولما بعث نبينا محمد في قوم كانوا أهل فصاحة وبيان وكان ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب لئلا يقولون إنه أتى بالقرآن من كتب الأولين؛ فجعل الله عز وجل معجزته من جنس ما نبغ فيه العرب فاتاه الله القرآن وتحدى العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا ثم تحداهم أن يأتوا بمثل سورة منه فعجزوا ثم أعلمهم بأنه لو اجتمع البشر كلهم وعاونتهم الجن ما استطاعوا أن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٣٨] يونس، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٣] هود، ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [٨٨] الإسراء [88].

يعني لن يقدر الثقليين على الإتيان بمثل القرآن ولو تعاونوا جميعهم، ولا يعني ما سبق أن المعجزة لا تأتي إلا على وجه واحد بحسب حال الناس وواقعهم، بل ربما جاءت المعجزة بناءً على طلب المرسل إليهم كطلب الحواريين من عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء، وكطلب قوم صالح منه أن يخرج لهم من الصخرة ناقة فدعا الله فأجابته، إلا أن المعجزات تجتمع

جميعها في غاية واحدة وهي تأييد الأنبياء وإظهار صدقهم فيما جاءوا به، وأكثر الأنبياء معجزات هو محمد عليه السلام وقد ذكر النووي في شرح مسلم أنها تزيد على ألف ومائتين، وذكر ابن حجر في الفتح عن بعض أهل العلم أنها ثلاثة آلاف، كما أن معجزات نبينا أقوى وأدوم من غيره، فالقرآن يُتلى إلى قيام الساعة ولا يخص أهل زمن معين كاليد والعصا لموسى والناقة لصالح ومثل كلام عيسى في المهد، مع إيماننا بأنها كلها حق ولكن لم نشاهدها، أما القرآن فتحن نقرؤه وهو بين أيدينا ونشاهده، ومثل انشقاق القمر فإنه في السماء وليس في الأرض كسائر معجزات الأنبياء، ومثل إخباره عن غيبات مستقبلية حدثت بعد وفاته، والإسراء والمعراج وحده حدثت فيه معجزات كثيرة، وهي {شق صدره وغسل قلبه بماء زمزم وملؤه إيمان وحكمه - ركوب دابة البراق مع جبريل وكانت خطوتها على مد البصر وإسراؤه إلى المسجد الأقصى وعروجه إلى السماء السابعة ثم رجع إلى مكة وكل هذا في ليلة واحدة فقط - صلاته بالأنبياء وإمامته لهم في المسجد الأقصى - رؤيته لله بفؤاده - رؤيته لجبريل بعينه على صورته الحقيقية عند سدرة المنتهى في السماء السابعة وقبل ذلك كان يأتيه على صورة الصحابي دحية الكلبي - رؤية الأنبياء والملائكة والسموات والجنة والنار وأهل النعيم وأهل العذاب} والإسراء والمعراج كان بروحه وبدنه وهو في اليقظة، ومعجزات النبي كثيرة جداً مثل نبع الماء من بين أصابعه بكثرة حتى شرب منه جميع الجيش وتوضؤوا، ومثل حنين الجذع شوقاً إليه حتى سمع صوته عندما صنع له المنبر، وكذلك تسليم الحجر عليه وهو في مكة، وإنه كان سبب لشفاء بعض أصحابه كشفاء عين قتادة يوم أحد ورمد عين علي يوم خيبر ومخاطبته لقتلى بدر وتكليمه لجبل أحد وهو جماد عندما اهتز بقوله له: اثبت أحد.

- الأنبياء جميعهم من الحضرة: -

الحضر هم سكان المدن وبيوتهم سابقاً من الطين أو الحجر والآن يسكنون البيوت الحديثة، أما البدو فهم سكان البادية والصحراء ويسكنون بيوت الشعر والخيام لأنهم يرحلون وينزلون للبحث عن الكلاً والمرعى، وليس البدو أبناء القبائل كما هو متعارف عليه الآن، لأن نبينا محمد كان قبيلي من قبيلة قريش وكان حضري، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ يوسف [109]، والقرية في القرآن معناها المدينة، والحضر أفضل من البدو لأن الأنبياء منهم ولأن الإيمان فيهم أكثر من الإيمان في البدو الذين يتصفون بالجهل وزيادة الأمية وقساوة القلب، لكن يظل الخير والشر على حسب الإنسان نفسه، أما إذا تحدثنا بشكل عام فالحضر أفضل لأن الله ذم الأعراب ثم استثنى طائفة منهم بخلاف لو أنه مدحهم ثم استثنى طائفة منهم، قال سبحانه ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَابِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٩٨ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٩٩﴾ التوبة [97-99]. فدل ذلك على أن النفاق فيهم أكثر من الإيمان، ووصف الله لهم بأنهم أشد كُفْرًا ونفاقًا يعني أن كفر ونفاق البدوي أشد من كفر ونفاق الحضري، ولا يعني أن الحضرة ليس فيهم نفاق، فالنفاق موجود هنا وهنا، لكن نسبة النفاق في البدو أكثر، وأيضاً المدينة أفضل من البادية لأن فيها صلاة الجمعة وصلاة الجماعة وطلب العلم فأهلها ثابتون وليسوا منشغلين بالرحلات، كما قال النبي: (إني أخاف على أمتي اثنتين: القرآن واللبن، أما اللبن فيبتغون الريف ويتبعون الشهوات ويتركون الصلوات،

وأما القرآن فيتعلّمه المنافقون فيُجادلون به المؤمنون) [رواه أحمد]، وأما حديث النبي: (لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية) [أبو داود وابن ماجه]، فلا يدل على أن جميع البدو فسّاق، والمعنى الصحيح أن البدوي لا يُعرف ولا تُعرف عدالته لأنه يعيش بعيداً عن المدن، بخلاف الحضري الذي يُعرف هل هو عدل أم لا، وأيضاً البدوي لا يُعرف الحضري غالباً فيكون عندنا شبهة أن شهادته كاذبة، أما الحضري فلا يستبعد أن يعرف الحضري لأنه يعيش معه في المدينة، ولكن إذا علمنا أن هذا الأعرابي عدل فنقبل شهادته كما قبل النبي من الأعرابي الذي رأى هلال رمضان.

- عصمتهم في أمور: -

1- فيما يبلغون، فلا يحصل منهم نسيان أو خطأ أو تحريف أو تناقض أو زيادة أو نقصان أو كتم لبعض الأحكام أو خيانة أو كذب، ولا يأتون بشيء من تأليفهم، بل هم مبلغون كما يأمرهم الله تماماً وهذا بإجماع المسلمين ولا خلاف فيه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم [3، 4]، وقد تكفل الله له بأن يجمع القرآن في صدره وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأَهُ قَاتِلٌ فُتِنَهُ ۚ﴾ القيامة [17، 18]، وقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ ۚ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ الأعلى [6، 7]، أي لن تنسى إلا ما نسخ الله.

2- من كبائر الذنوب قبل وبعد النبوة.

3- من الاستمرار في صغائر الذنوب، وهي نادراً ما تصدر من الأنبياء وسرعان ما يتوبون منها ويتوب الله عليهم، باستثناء النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام فهو الإنسان الوحيد الذي لم يعص الله قط، قال عليه السلام: (ما من أحد من ولد آدم إلا قد أخطأ أو همّ بخطيئة، إلا يحيى بن زكريا) [رواه أحمد].

ومن الأمثلة على الصغائر ما صدر من النبي في أسرى بدر، فقد كان النبي يريد أن يرقق قلوب كفار مكة ليدخلوا في الإسلام فاختر الفدية بدل القتل، فعاتبه الله وأخبره أنه لا بد من استعمال القوة معهم وقتلهم ليكسر شوكتهم ويهابون المسلمين وخاصةً أن هذه أول مواجهة له مع الكفار، فقتل الأسرى أفضل من قبول الفدية منهم ثم إطلاقهم، قال جل جلاله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٦٧] الأنفال [67]، وكذلك عتاب الله لحبيبه عليه السلام في شأن عبد الله بن أم مكتوم في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾﴾ عبس [1، 2]، فقد كان رضي الله عنه أعمى ولا يرى النبي عندما كان يتحدث مع كفار قريش، وكان النبي حريصاً على هدايتهم خاصة أنهم رؤسائهم وإسلامهم يؤثر على من خلفهم ومن هو تحت إمارتهم، فعبس النبي بوجهه لما قاطع بن أم مكتوم حديثه لأنه كان قد أسلم وحسن إسلامه وهؤلاء لم يسلموا بعد، وليس لسبب أن النبي يكرهه، فعاتبه الله مع أن عبد الله أعمى لا يرى العبوس ولكن الله يريد أن يكون نبيه على أتم الأخلاق وأن يكون صفوة خلقه فكان كما أراد الله، وبعد ذلك كان النبي إذا رآه يقول له: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة، ومن أمثلة ذلك ما أخبرنا الله به عن آدم عليه السلام في قوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٣١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٣٢﴾ طه [121، 122]، وهذا دليل على وقوع المعصية من آدم، ولكنه تاب وتاب الله عليه، ومثال آخر على النبي داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿١٩﴾﴾ فَقَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَإِلْفًا وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٠﴾﴾ ص [24، 25]، وهذا لا ينقص من قدر ومكانة الأنبياء ولكن هذه طبيعة النفس البشرية فلا تسلم من الذنوب كما قال النبي: (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) [الترمذي 2499 وابن

ماجه 4251 والإمام أحمد في المسند 20/344].

4- من سفاسف الأمور «الحقيرة التافهة» وهي التي تنبئ عن الخسة والدناءة وعدم المروءة وهي كالخيانة والغدر والكذب والجبن والبخل، وقد كانوا متسمين بالمعالي التي تدل على الشرف ومكارم الأخلاق، وهي مثل السعي لرضى الله والفردوس الأعلى من الجنة وعلو الهمة في كل شيء ولكن دون تكبر.

- أنهم لا يورثون بعد موتهم:

وذلك أن أزواج النبي ﷺ حين توفي أردن أن يبعث عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قد قال رسول الله (نحن الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة) [متفق عليه]، لأنهم جاؤوا لهداية الناس لا لجمع المال، ولئلا يعتقد أحد أن همهم الدنيا وليست الآخرة.

- تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الإسراء (والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) [متفق عليه]، أنعم الله عليهم بيقظة حياة القلوب لكي يدركوا ويشعرون بما حولهم من الأصوات وأوقات الصلوات.

- إن الأرض لا تأكل أجسادهم إكراماً لهم:

قال الرسول: (إن الله عز وجل حرّم على الأرض أجساد الأنبياء) [رواه أبو داود].

- إنهم يخبرون عند الموت بين الدنيا والآخرة:

قال عليه السلام: (ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة) [متفق عليه].

- إنهم يقبرون حيث ماتوا:

قال عليه الصلاة والسلام: (لن يقبر نبي إلا حيث يموت) [رواه أحمد]، وهذا إكرام لهم فلا تُنقل جنازتهم بعيداً.

- إنهم يصلون في قبورهم:

قال عليه السلام: (لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتنني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا إنباتهم به وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه). فحانت الصلاة فأَمَمْتُهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام) [رواه مسلم].

- إن الله يرسل الأنبياء والرسل من الرجال لا من النساء كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾ النحل [43].

❖ من الفضائل الخاصة بالرسول محمد ﷺ: _

نذكر ملخصاً يسيراً عن سيرته قبل ذكر فضائله، فقد وُلِدَ النبي يتيمًا في مكة المكرمة عام الفيل، وتوفي أبوه وهو جنين في بطن أمه آمنة بنت وهب ثم أخذته حليلة السعدية من أمه، وكانت من عادة قريش أن ترسل أولادها إلى بني سعد لتعلم البلاغة والفصاحة منهم ولأن الصحراء تُعوّد على الصبر والقوة، فأرضعته حليلة السعدية رضي الله عنها، وعندما أخذت النبي كانت ترى من البركة الشيء العجيب كخروج الربيع في السنة الشهباء وكثرة اللبن في غنمها وغير ذلك، وكان يُشَبُّ في اليوم ما يشبه الصبي في شهر ويشب في الشهر ما

يشبه الصبي غيره في سنة، وشُقَّ صدره وهو طفل عندما أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه وشُقَّ عن صدره فاستخرج القلب واستخرج منه علقه فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم أعاد قلبه مكانه وعمره حينها عامين وشهرين، ثم شُقَّ صدره مرة ثانية وعمره أربعين سنة بداية البعثة ليتلقى ما يوحي إليه بقلب قوي طاهر، وهناك شق ثالث وقع ليلة الإسراء والمعراج عندما مُلئ قلبه إيماناً وحكمة، وماتت أمه في سن مبكرة عندما كان عمره سبع سنوات، فربَّاه جدُّه عبد المطلب ثم عمُّه أبو طالب، ثم بعد أن كبر أصبح يرعى الغنم في مكة لأن رعيها يعلم الصبر والتواضع والسكينة، ثم عمل في التجارة خلال سنوات شبابه، حتى تزوج خديجة بنت خويلد في سن الخامس والعشرين، وأنجب منها كل أولاده باستثناء إبراهيم، وفي سن الأربعين نزل عليه الوحي بالرسالة في غار حراء، فدعا إلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك فبدأت عداوة الناس وتكذيبهم لهم وقالوا إنه ساحر وبعضهم قال إنه مجنون مع أنهم قبل البعثة يلقبونه بالصادق الأمين، وكانت دعوته سرّية لثلاث سنوات، تبعهنَّ عشرٌ أُخر يُجاهر بها في كل مكان، ثم كانت الهجرة إلى المدينة المنورة بعد شدة بأسٍ من كفار قريش وتعذيبٍ للمسلمين، فأسس بها دولة الإسلام، وعاش بها عشر سنوات، تخلَّلها كثيرٌ من مواجهات الكفار والمسلمين التي عُرفت بالغزوات والسرايا «وعدها مئة» وكانت حياته نواة الحضارة الإسلامية، التي توسعت في بقعة جغرافية كبيرة على يد الخلفاء الراشدين من بعده، وقد تزوج بإحدى عشرة زوجة ومات عن تسع منهن.

وسيرة الرسول لا نستطيع ذكرها بالتفصيل هنا لأنها تروي أحداث ثلاثة وعشرين سنة، فهي ضخمة جداً، وألّفت فيها مؤلفات كثيرة من أهمها: السيرة النبوية لابن هشام / زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية / الرحيق

المختوم للمباركفوري / اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون لموسى بن راشد العازمي.

وأما فضائله فهي كثيرة جداً وهذه بعضها: -

- قال عليه السلام: (فُضِّلْتُ على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون) [رواه البخاري].
فُضِّلَ نبينا بست: -

1- جوامع الكلم وهي الألفاظ اليسيرة التي تدل على معاني كثيرة، وكان أكثر الناس بلاغة وفصاحة.

2- نُصِرَ بقذف الرعب والخوف في قلوب أعدائه وبينه وبينهم مسيرة شهر.

3- أُحِلَّت له الغنائم وهي ما أُخِذَ من الكفار في الحرب بعد أن كانت محرمة على من قبله من الأمم فكانوا يجمعونها في مكان واحد ثم تنزل نار من السماء وتحرقها.

4- جعلت له الأرض مسجداً يصلي في أي مكان شاء باستثناء مبارك الإبل لأنها مخلوقة من الشياطين والمقبرة والحمام، وكانت الأمم قبلنا لا تقبل صلاتهم إلا في كنائسهم، ومعنى طهوراً أي أن التراب بديل عن الماء وذلك بالتييم عند فقدان الماء أو العجز عن استخدامه لمرض أو برد شديد وفي هذا تيسير على أفضل الأمم أمة محمد واقصُد أمة الإجابة وليست أمة الدعوة.

5- أُرْسِلَ إلى الخلق كافة يعني جميع الإنس والجن، أما غيره من الأنبياء فقد كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة.

6- ختم به النبيون أي أنه آخر نبي ولا نبي بعده فتكون أمته أكثر الأمم.

- جميع الأنبياء بشروا بقدمه، فقد ذُكِرَ في التوراة والإنجيل وجميع كتب

الله باسمه وبصفاته ومنها ختم النبوة بين كتفيه، الذي جعل سلمان الفارسي رضي الله عنه يسلم لما رآه لأنه كان قد قرأ ذلك في التوراة والإنجيل، لكن اليهود والنصارى حسدوا النبي وكذبوه، مع علمهم بصدق نبوته لأن موسى وعيسى وكل الأنبياء قد بَشَرُوا بقدوم رسولنا محمد، ولكن النصارى ضالين واليهود مغضوب عليهم كما أخبر الله عنهم في سورة الفاتحة، فاليهود غضب الله عليهم لفرط عنادهم وتكبرهم وجرأتهم على الله وقتلهم الأنبياء، ولأنهم يعصون الله بعد كثرة العلم الذي أتاهم من الله وهذا بسبب كثرة أنبيائهم فهم يتعمدون المعصية، أما النصارى فإنهم ضالين وجهلة، فاليهود علتهم الحسد والنصارى علتهم الجهل، ويدل على أنهم يعلمون صدقه عليه السلام امتناع نصارى نجران عن المباهلة «الدعاء بإنزال اللعنة على الكاذب من المتلاعنين»، والمقصود بها أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا، والمباهلة ليست خاصة بالنبي بل حكمها له ولأمته ولها شروط وهي: {أن يكون الغرض من المباهلة إحقاق الحق ونصرة أهله وإبطال الباطل وخذلان أهله، فلا يكون الغرض منها الرغبة في الغلبة للثغفي وحب الظهور والانتصار للهوى ونحو ذلك - أن تكون المباهلة بعد إقامة الحجة على المخالف وإظهار الحق له بالأدلة الواضحة والبراهين القاطعة - أن يتبين من أمر المخالف إصراره على الباطل وعناده للحق وانتصاره للهوى، فإن المباهلة تسعى بالمبطل إلى لعنة الله وغضبه، ولا يجوز أن يُدعى بذلك إلا لمن يستحقه من المشايق المعاندين - أن تكون في أمر هام من أمور الدين وليست في أمور الدنيا - أن يُرجى في إقامتها حصول مصلحة للإسلام والمسلمين أو دفع شر المخالف - ألا تكون في المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الاختلاف}، وبالمناسبة هذه أسئلة لا يستطيع النصارى الإجابة عنها: -

س 1 / لماذا الله ليس عنده إلا ولد واحد كما تقولون وهو يقدر أن يجعل له أولادًا كثيرين؟

س 2 / لماذا لم يدافع الله عن ولده الوحيد عيسى كما تزعمون من القتل والصلب وهو يقدر على ذلك؟

س 3 / لماذا يُقتل ويُصلب عيسى بسبب خطيئة آدم، لماذا لم يتم قتل صاحب الخطيئة آدم؟

س 4 / تزعمون أن عيسى إله فمن الذي يُنفذ أمره إذا تعارض أمر الله وأمر عيسى (يعني موت وحياة إنسان أو مطر أو حرب وسلام أو غيره)؛ لأنها أشياء متناقضة لا تجتمع أبدًا، فلا يمكن أن يكون الإنسان حي وميت ولا يجتمع حرب وسلام ولا غنى وفقر في نفس الوقت، وهم متشبثون بشبهة أن عيسى مخلوق من غير أب، ولكن أمه مريم من البشر فهو إنسان مخلوق بلا ريب، ولو كان كلامهم صحيح لكان آدم أحق منه فهو مخلوق من غير أب ولا أم، والصحيح هو قول المسلمين أن عيسى عبد الله ورسوله وهو الآن حي ولم يقتله أحد ولكن رفعه الله إلى السماء، وسوف ينزل قبل قيام الساعة ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية.

- إن الدعاء مُعلّق حتى تصلي عليه لما ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ) [رواه الترمذي]؛ لأنه لم يخلق الله أحداً أحب إليه منه.

- إن زوجاته لا يُنكحُن من بعده:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب: 53] إكراماً للنبي ولكيلا ينجبن زوجاته من غيره أولاد وينسبون إلى النبي ويأتي من يصفهم بالأنبياء لأنهم أبناء النبي، ونبينا محمد هو خاتم النبيين وسيد المرسلين.

- (أنا أول شفيع في الجنة، لم يُصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن نبياً من الأنبياء ما صدقه من أمته إلا رجل واحد) [صحيح مسلم]، وزيادة عدد من يتبعه ويقتدي به تدل على زيادة فضله لأن الدال على الخير كفاعله في الثواب.

- (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع ومشفع) [صحيح مسلم].

- أفضل البشر والخلق أجمعين لقوله: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة) [رواه البخاري].

والمقام المحمود يشمل: -

- الجلوس على العرش يوم القيامة، كما في أثر مجاهد الذي رواه ابن جرير الطبري عند تفسير الآية: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلٍ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [٧٩] الإسراء، وعسى من الله واجبه لأنه كريم على خلقه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذا الأثر (الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه) ينظر درء التعارض (5/ 237)

- الشفاعة وهي التوسط للغير بجلب منفعة له أو دفع مضرة عنه وهي أنواع: -

1- الشفاعة العظمى: وهي أن يشفع الرسول يوم القيامة لجميع الخلق بأن يبدأ حسابهم بعدما يؤخره الله ويطول بهم الانتظار والوقوف في أرض المحشر، ويبلغ بهم من الغم والكرب ما لا يطيقون وتدنو الشمس من رؤوسهم حتى إن بعضهم يلجمه العرق، والحشر هو «جمع» الخلق كلهم حتى الحيوانات، وبعد ذلك يقضي الله بينهم ويقتص لبعضهم من بعض ويعطي المظلوم حقه ممن ظلمه، فيأخذ المسلم المظلوم حسنات من المسلم الظالم وإن فنيت

حسنت الظالم جعل من سيئات المظلوم عليه، وإذا ظلم الكافر مسلماً أخذ من سيئات المسلم ووضعت على الكافر، لأن الكافر لا حسنة لديه، وأما إذا كان الظالم مسلم والمظلوم كافر معصوم الدم والمال كالذمي والمعاهد والمستأمن فإنه يقتص له من المسلم بطريقة يعلمها الله، إلا أن يكون الكافر محارب فلا شيء على المسلم لأن الكافر المحارب هو المعتدي وعرضه مباح، وهذا القصاص لتحقيق العدل الإلهي، ثم يدخل المسلمين الجنة ويدخل الكفار النار، وأما الحيوانات فيقتص لبعضها من بعض، قال الرسول ﷺ: (لَتُؤَدَّنَ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقَادَ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) [رواه مسلم].

والجلحاء التي ليس لها قرن والقرناء التي لها قرن، لأنها نطحتها وكسرت قرنها، وهي حيوانات لا تعقل، فكيف بحقوق البشر؟ ثم بعد ذلك تكون الحيوانات تراب ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَكَلِّتُنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا 40]، قال أبو هريرة رضي الله عنه كما في تفسير الطبري (إن الله يحشر الخلق كلهم، كل دابة وطائر وإنسان، ويقول للبهائم والطيور: كونوا تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً) انتهى من كلامه، يتمنى الكافر أن يصبح تراب ليسلم من عذاب جهنم.

2- الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين الذين دخلوا النار أن يخرجوا منها (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) [سنن الترمذي].

3- الشفاعة في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة وفي آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

4- الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

5- شفاعته في عمه أبو طالب ليخفف عنه عذاب النار بسبب دفاعه عن النبي من أذى كفار مكة، وهي خاصة منه ﷺ وخاصة في عمه أبي طالب، كما

قال النبي: (أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه) [مسلم]، معناه أنه أهون الكفار عذاب، وليس عذابه أهون من عذاب عصاة المسلمين لأن مآلهم بعد النار إلى الجنة، أما أبو طالب فهو مغلَّب في النار لأنه مات على الشرك الأكبر، ولا يوجد غيره أي كافر يكون شافع أو مشفوع له، وأيضاً لا يشفع أي مسلم في أي كافر حتى الرسول باستثناء عمه أبو طالب، لأن شروط الشفاعة {أذن الله للشافع - رضاه عن الشافع والمشفوع} وأما منزلة الوسيلة في الجنة فهي أعلى وأفضل درجات الجنة وهي خاصة بنبينا محمد، وسمّيت بالوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الله، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب، وأما الفضيلة في الحديث فتعني أنه أفضل الخلق.

**** الشفاعة لأصحاب الذنوب والمعاصي ليست خاصة بالنبي، بل يشاركه فيها الأنبياء والشهداء والعلماء والصالحين والملائكة وقد يشفع للمرء عمله الصالح، لكن للنبي منها النصيب الأكبر.**

**** شفاعة النبي أو شفاعة الصالحين أو غيرهم تُطلب من الله وحده ولا تُطلب من غيره، فيقول المسلم: اللهم شفّع نبيك في، ولا يقول: يا رسول الله اشفع لي، لأن دعاء الأموات شرك أكبر.**

س / كيف أنال شفاعة النبي ﷺ؟

بقول الدعاء بعد النداء كما في الحديث الذي ذكرناه، وأيضاً ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال (لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه) [البخاري] وتنال شفاعته أيضاً بكثرة الصلاة عليه.

❖ من أسماء النبي ﷺ: _

1- أحمد ومحمد: مشتقة من الحمد وهو ضد الذم يعني أن صفاته طيبة وأنه يحمد الله أكثر من غيره.

2- العاقب: أتى عقب الأنبياء فلا نبي بعده.

3- الماحي: محى الله بسببه الشرك والمعاصي.

4- الحاشر: يُحْشَرُ الناس على أثره يوم الحشر.

5- المصطفى: يعني المختار، لأن الله اختاره بالرسالة واختاره بالأفضلية على الخلق.

**** ينبغي للمسلم أن يكثر من الصلاة على الرسول ﷺ لعظيم الثواب في ذلك، والأحاديث كثيرة في ذلك ومنها: _**

قال عليه السلام: (من صَلَّى علي صلاة صَلَّى الله عليه بها عشرًا) [مسلم].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال (ما شئت) قال قلت الربع؟ قال (ما شئت فإن زدت فهو خير لك) قال قلت فالثلاثين؟ قال (ما شئت فإن زدت فهو خير لك) قلت أجعل لك صلاتي كلها قال (إذَا تُكْفِيَ هَمَّكَ وَيُغْفِرَ لَكَ ذَنْبَكَ) [الترمذي] قال المنذري في الترغيب: معناه فكم أجعل لك من دعائي صلاةً عليك؟ اهـ، وقال عليه الصلاة والسلام (البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصلِّ علي) [الترمذي وأحمد]

أي: البخيل حقًا وكامل البخل من لم يصلِّ على الرسول ﷺ، لأنه بخل على الرسول الذي علمنا وأرشدنا وحقوقه كبيرة علينا بعد الله، وبخل على نفسه أيضًا بالثواب، وسيأتي بيان معنى الصلاة عند الصلاة الإبراهيمية

س / كيف أحصل على مرافقة النبي في الجنة؟

عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي (سل) فقلت أسألك مرافقتك في الجنة، قال (أو غير ذلك) قلت هو ذاك، قال (فأعني على نفسك بكثرة السجود) [مسلم] لأن السجود فيه غاية الخضوع والتواضع، وهو أفضل أركان الصلاة الفعلية وأكثرها، حتى إن مواضع الصلاة سميت به، فيقال «مسجد» ولا يقال «مقام» ولا «مرقع»

** تجب علينا محبة النبي وتوقيره، روى البخاري أن النبي أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ (لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي (الآن يا عمر) ومحبته المشروعة هي التي تكون متوسطة بين الإفراط والتفريط، فبتعد عن الغلو فيه، قال عليه الصلاة والسلام (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) [البخاري] فلا نرفعه من مقام النبوة والعبودية لله إلى مقام الألوهية الخاص بالله فهذا لا ينبغي، فطاعة الله تكون بعبادته، وطاعة النبي تكون باتباعه واتباع سنته والاقتداء به وليس كما يفعل المبتدعة كالصوفية وغيرهم الذي يدعون النبي ويتضرعون إليه ويطلبون الحاجات منه أو يتوسلون إلى الله بذات النبي أو بجاهه فهذا ممنوع، والنبي عندما كان حي كان يطلب حاجاته من الله مما يدل على أن جميع الخلق يطلبون الله وحده ولا يستغنون عنه، ومن أسمائه سبحانه الصمد ومعناه الذي تقصده المخلوقات وتلجأ إليه في حاجاتها، ومن أمثلة انحرافات الصوفية قصيدة البردة للبوصيري ويقول فيها:

1- يا أكرم الخلق ما لي من ألؤذ به

سواك عند حدوث الحادث العمم

2- إن لم تكن آخذًا يوم المعاد يدي

عفوًا وإلا فقل يا زلة القدم

3- فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

ألوذ: التجي، واللياذة طلب الخير كما أن الاستعاذة طلب دفع الشر،
وكلاهما عبادات لا تصرف إلا الله تعالى

الحادث العمم ويوم المعاد: يوم القيامة

ضررتها: الآخرة

ولا يخفى ما فيها من شرك أكبر، فالرجل قد جعل النبي ملاذه الوحيد عند أهوال يوم القيامة من دون الله وكلامه معارضاً لنص القرآن ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ غافر [16] وإن قصد البوصيري شفاعة النبي الثابتة شرعاً فهي تُطلب من الله وحده ولا تطلب من النبي أو غيره، ثم إنه جعل العفو بيد الرسول والذي يعفو هو الله وحده، ونسب جود الدنيا والآخرة للنبي فلم يبق لله أي جود كما يزعم، وعلم ما في اللوح والقلم هو ما كتبه الله ويعلمه وحده وهو ما قدّر الله من قبل خلق السموات والأرض إلى قيام الساعة، فلا يعلم ما فيه إلا الله بالنص والإجماع، ولا يعلمه أي مخلوق لا ملك ولا نبي، وأما الاطلاع على بعض غيب الله مما تضمنه اللوح المحفوظ، فمن الممكن أن يحصل لمن يشاء الله تعالى من عباده، فقد أطلع الله الأنبياء بطريق الوحي على بعض المغيبات، وكما حصل ويحصل لبعض عباد الله الصالحين عن طريق المكاشفات والإلهامات الإلهية والرؤى الصالحة، فالحاصل إن هذه الآيات شركية مناقضة للتوحيد وفيها غلوٌ فاحش ينكره كل مسلم موحد لله، وهناك

بيت شعر آخر لا أعرف قائله (والنبي حين قال للقمر انقسم انقسما) ولم يعلم هذا الجاهل أن القمر امتثل واستجاب لله وحده وليس للنبي، والسبب في غواية الصوفية هو هجرهم للسنة واتباع رؤسائهم المضلين، وكذلك يجب علينا أن نبتعد عن الجفاء والتقصير في حق النبي، كإنكار أحاديثه الصحيحة أو البعد عن سنته، وعدم تعلم سيرته أو عدم محبته، وعدم تعظيمه وترك الصلاة عليه، أو سب زوجاته وآل بيته وأصحابه أو تفضيل غيره عليه، مثل قول الرافضة (إن عليّ بن أبي طالب أحق بالنبوة منه ولكن جبريل خان الأمانة)

❖ ❖ شمائل النبي محمد ﷺ: _

لقد كان أحسن الناس خُلُقًا وخُلُقًا وكانت صفاته متسمة بالاعتدال والحسن، ولم تذكر صفةً محمودَةً في البشر إلا وكان للنبي منها الحظ الأوفر، فلم يكن شديد الطول ولا شديد القصر وليس بالسمين ولا النحيل، بل كان متوسطًا متناسق الجسم، عريض ما بين المنكبين، في عنقه ارتفاع، حواجه متوسطه ولونه أبيض يخالطه حمرة، وجهه أجمل من الشمس والقمر، قليل لحم الخد، أقرنى الأنف، العرق في وجهه كاللؤلؤ، مشيه قوي وسريع، أجود الناس وأشجعهم وأصدقهم وأفصحهم وقد عُرف بالأمانة والصدق فكانوا يلقبونه بالصادق الأمين قبل وبعد البعثة، وكان رحيماً لينا سمحاً ليس فظاً ولا غليظاً، وكان أشد حياءً من العذراء في خدرها، رقيق القلب إذا رأى شيئاً يكرهه عُرف ذلك في وجهه، زاهداً ورِعاً وافر العقل، وكان متواضعاً حتى إن الرجل الغريب لا يقدر أن يفرق بينه وبين أصحابه لأنه لم يميز نفسه عنهم بشيء من لبسٍ ونحوه، وكان خُلُقَه القرآن أي يمثّل بأوامره ويجتنب نواهيه، من رآه هابه وأحبه، وهو خليل الله والخلة هي أرفع درجات المحبة، وكليم الله أيضاً لأنه كلمه ليلة الإسراء، وإليك بعض ما ورد في السُّنة: _

1- قال أنس بن مالك رضي الله عنه واصفاً النبي (كان ربعة من القوم ليس

بالطويل ولا بالقصير أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قطط ولا سَبَط، رَجُل، أنزل عليه وهو ابن أربعين فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه وبالمدينة عشر سنين وقبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء [البخاري].

ربعة: متوسط الطول ليس بطويل ولا قصير، ولكنه أقرب إلى الطول أزهر اللون: بياضه مخلوط بحمرة.

أمهق: شديد البياض مثل لون الجص وهذا اللون غير محبب. آدم: أسمر.

جَعْد: ملتف وملتوي على بعضه.

قَطَط: شديد الجعودة.

سَبَط: مسترسل منبسط.

رَجُل: بين الجعد والسَّبَط.

وقبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، يعني أقل من ذلك فهي قليلة لأنه كان يصبغها بالحناء والكتم فيغير الشيب، وكان موضع الشيب في صدغه «ما بين العين والأذن» وفي عنقه «ما بين الشفة السفلى والذقن» وشعرات يسيره متفرقة في الرأس، وسبب الشيب يذكره بنفسه عليه السلام فيقول: (شيبتني هود وأخواتها) [رواه الطبراني]، وعند الترمذي (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت)؛ لأنها ذكرت أهوال القيامة والعذاب الشديد.

2- (شعر رسول الله ﷺ رَجُلًا، ليس بالسَّبَط ولا الجَعْد، بين أذنيه وعاتقه) [متفق عليه].

عاتقه: ما بين منكبه وعنقه.

3- عن أم هانئ رضي الله عنها قالت (قدم النبي إلى مكة وله أربع غدائر) [صححه الألباني في صحيح أبي داود].

الغدائر: الضفائر.

لأن الشعر إذا طال ولم يضر صار متعباً في غسله وترجيله «تسريحه» خاصة للمسافر، وتطويل الشعر ليس من السنة التي يؤجر عليها المسلم، إذ هو من أمور العادات، وقد أطل النبي شعره وحلقه، ولم يجعل في تطويله أجراً، ولا في حلقه إثمًا، إلا أنه أمر بإكرامه.

4- (كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعاً عريض ما بين المنكبين كثر اللحية) [رواه النسائي وصححه الألباني].

مربوعاً: متوسط الطول، كما قلنا في معنى ربعة.

المنكبين: مجتمع الكتفين والعضدين.

كث: كثيف.

5- (كان النبي ﷺ يخضب بالحناء والكتم) [رواه أحمد].

والحناء أحمر والكتم أسود والصبغ بهما جميعاً يخرج بين السواد والحمرة، وأما الصبغ بالأسود الخالص فقد نهى النبي عنه في أحاديث أخرى.

6- قال البراء بن عازب رضي الله عنهما (كان النبي ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنه، رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئاً قط أحسن منه) [البخاري].

الحلة: ثوبان، إزار ورداء.

وهذا لا يعارض الحديث الآخر فإن الشعر ينمو إذا ترك أيام بدون قص.

7- (كان النبي ﷺ ضخم اليدين والقدمين حسن الوجه لم أر بعده ولا قبله مثله، وكان بسط الكفين، وزاد في طريق أخرى: ضخم الرأس) [البخاري].

بَسِطَ الكفين: أي عريضة واسعة.

8- (كان النبي ضَلِيعَ الفم أشكل العينين منهوس العقب) [الترمذي وصححه الألباني].

ضليع: واسع الفم ليكون متصف بالفصاحة.

أشكل العينين: في بياض عينيه حمرة.

منهوس العقب: قليل لحمهما، والعقب مؤخر القدمين.

9- عن علي رضي الله عنه قال (كان رسول الله عظيم العينين، هَدْبُ الأشفار، مشرب العينين بحمرة) [أحمد وابن سعد والبخاري].

عظيم العينين: عينيه واسعة جميلة.

10- (أسيل الخدين، شديد سواد الشعر، أكحل العينين، أهدب الأشفار) [حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير].

أسيل الخدين: هو الخد المستوي الذي لحمه لا يفوت بعضه بعضاً، فهو متناسق.

أكحل العينين: عينيه سود من غير أن يتكحل.

أهدب الأشفار: طويل شعر الأجنان وهو الهدب.

11- (خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، يخطو تكفياً، ويمشي هوناً، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صلب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلُّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبر من لقي بالسلام) [الترمذي في الشمائل والطبراني].

الأخمص من القدم هو الموضع الذي لا يمس الأرض عند الوطء من وسط القدم، يريد أن ذلك منه مرتفع عن الأرض.

مسيح القدمين: أملسهما، ولهذا قال ينبو عنهما الماء يعني أنه إذا صُبَّ عليها انزلق ومر سريعاً ولا يثبت على القدم.

إذا زال زال قلعاً: كان يرفع قدمه بقوة من الأرض كمن يقلع شيئاً، لا كمن يمشي احتيلاً وكبراً أو كسلًا.

يخطو تكفيًا: يتمايل في المشي إلى الإمام.

يمشي هونًا: مشي السكينة والوقار.

ذريع المشية: واسع الخطوة فكان يمدّها.

ينحط من صلب: الصلب هو ما انحدر من الأرض، يعني يمشي مشيًا سريعاً وليس مثل مشي الكسلان والعاجز.

إذا التفت التفت جميعاً: يلتفت بجميع بدنه ولا يلوي بعنقه لما في ذلك من الخفة ومسارقة النظر.

خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء: تواضعاً منه لأن النظر إلى السماء فيه رفع للرأس وتكبر.

جُلّ: معظم وأكثر.

نظره الملاحظة: وهو النظر بقدر الحاجة، ولا يحملق ويدقق كعادة من به تطفّل وفضول أو شر.

يسوق أصحابه: يقدمهم بين يديه ويمشي خلفهم تواضعاً منه ولتأكد على سلامتهم وأمنهم إذا ساروا.

يبدّر: يبدأ بالسلام ولم يقل أنا الرسول والواجب أن يسلم الناس علي ابتداءً.

12- (شن الكفين والقدمين ضخم الكراديس) [مسند أحمد].

شن: غليظ الأصابع والراحة.

ضخم الكراديس: رؤوس العظام.

13- (أشنب مفلج الأسنان) [الترمذي].

الأشنب: الذي تكون أسنانه رقيقة ليست غليظة.

الفلج: تفرق ما بين الأسنان.

14- قال كعب واصفًا نبينا (كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه

قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه) [البخاري].

سُرَّ: فرح.

استنار: أضاء.

كأنه قطعة قمر: في ضوئه وجماله واستدارته.

15- قال أبي هريرة رضي الله عنه (ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ،

كأن الشمس تجري في وجهه) [الترمذي].

يعني مثل إشراقها ونورها.

16- عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال (رأيت رسول الله في ليلةٍ

إضحيانٍ وعليه حُلَّةٌ حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو عندي أحسن

من القمر) [الترمذي والحاكم في المستدرک].

إضحيان: مضيئة وهي الليالي التي في منتصف الشهر.

17- عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال (رأيت رسول الله وما

على وجه الأرض رجل رآه غيري قيل له: فكيف رأيته؟ قال: كان أبيض مليحاً

مقصداً) [مسلم].

وذلك لأنه آخر صحابة رسول الله موتاً.

مليحاً: حسن الوجه.

مقصداً: متوسطاً ليس بجسيم ولا نحيف ولا طويل ولا قصير.

18- (ضخم الرأس) [أحمد والبخاري وابن سعد].

19- قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه (كان رسول الله عظيم الهامة) [الطبراني في الكبير والترمذي في الشمائل].

الهامة: الرأس، لكن لم تكن ضخامته مستكرهة بل كان متناسق مع جسده، وعظم الهامة علامة على الذكاء والعقل.

20- (أدعج العينين) [البيهقي في الدلائل].

أي شديدة السواد والاتساع.

21- (أقنى الأنف) [ابن عساكر].

يعني طويل الأنف مع دقة في أرنبته «أسفله» وحذب في وسطه.

22- (كان في صوت رسول الله صحل) [الطبراني في الكبير والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي].

كان صوته مبحوح وليس حاد ليكون حسناً وغير مزعج.

23- (أن النبي كان ضخم الكفين لم أر بعده شبيهاً له) [البخاري].

وضخامة الكفين والقدمين والراس كلها تدل على صفات الرجال الأقوياء العظماء.

24- تصفه عائشة رضي الله عنها وتقول: (كان رسول الله عريض الصدر ممسوحه كأنه المرايا في شدتها واستوائها، لا يعدو بعض لحمه بعضاً، على بياض القمر ليلة البدر، موصول ما بين لبته إلى سترته شعر منقاد كالقضيبي، لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره) [ابن نعيم وابن عساكر والبيهقي].

كأنه المرايا في شدتها واستوائها: صدره مستوي لا بارز ولا ضامر.

لا يعدو بعض لحمه بعضًا: متناسق مع بعض.

اللَّيْثُ: أسفل العنق.

كالقضيبي: أي أنه شعر دقيق ومستقيم كقضيبي العود ممتد من النحر إلى السُرَّة.

25- (كان في ساقَي رسول الله ﷺ حموشة وكان لا يضحك إلا تبسمًا وكنت إذا نظرت إليه قلت أكحل العينين وليس بأكحل) [حسن رواه الترمذي].

حموشه: دِقَّة، وهي في الساق جمال وخفة عند المشي.

لا يضحك إلا تبسمًا: التبسم يدل على الرضا والمحبة وبشاشة الوجه، وكان النبي لا يكثر من الضحك لأن كثرت تذهب الوقار وتميت القلب.

إذا نظرت إليه قلت أكحل العينين: يظنه من يراه أنه وضع كحل في عينيه لشدة سوادها، وهو لم يضع كحلًا ولكن الله خلقه هكذا.

26- عن أنس رضي الله عنه قال: (ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحًا قط أو عرقًا قط أطيب من ريح أو عرق النبي ﷺ) [البخاري ومسلم].

الديباج: من أنواع الحرير، وهذا من تمام صفاته الجسدية فقد اجتمع فيه لين الجلد وقوته.

27- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال (دخل علينا النبي ﷺ، فقال عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب) [مسلم].

فقال عندنا: نام القيلولة وهي نصف النهار.

تَسَلَّتْ العرق: تجمعه في قارورة.

وفي هذا جواز التبرك بآثار النبي كعرقه وبصاقه ونخامته وشعره ومائه ووضوئه، فكان إذا حلق شعره تقاسمه الصحابة، وإذا بصق تناولوها بأيديهم، لأن بصاقه طيباً طاهراً، فعن عبد الجبار بن وائل قال حدثني أهلي عن أبي قال (أُتِيَ النبي ﷺ بدلو من ماء فشرب منه ثم مَجَّ في الدلو ثم صب في البئر، أو شرب من الدلو ثم مَجَّ في البئر، ففاح منها مثل ريح المسك) [أحمد].

مَجَّ: لفظ الماء وأخرجه.

فظهرت رائحة عطر أحسن من المسك، بسبب طيب ريقه عليه السلام، وهذا في حياته أما الآن فلم يبقَ من جسده الشريف أي بقية، ولا يتبرك بغير النبي كما سنوضح لاحقاً في قسم التبرك، وكان في ريقه صلى الله عليه وسلم شفاء للعليل، لما جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال (قال رسول الله يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله وكلهم يرجو أن يُعطاه، فقال النبي: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأتى به، وفي رواية مسلم: قال سلمة: فأرسلني رسول الله إلى علي، فجئت به أقوده أرمده فتفل رسول الله في عينيه، فبرئ كأنه لم يكن به وجع).

أرمد: أصاب عينه الرمد.

28- (كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة) [متفق عليه].

أجود: أكرم.

أجود ما يكون في رمضان: لأنه أفضل الشهور ليزداد ثوابه.
الريح المُرْسَلَة: التي تلقح الشجر والسحاب لينزل المطر.
29- (إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، كراهية أن أشق على أمه) [رواه البخاري ومسلم]، وهذا يدل على رحمته بالمسلمين.

30- عن أنس بن مالك قال: (خدمت رسول الله عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا) [متفق عليه].

أف: كلمة تضجر، وهذا من حسن خلقه ولطفه مع خادمه إذ لم يَلُمّه ولم يوبخه طيلة السنوات العشر ومفهوم كلام أنس أن هذا لا يخص التكاليف الشرعية التي كان النبي حريصاً عليها، فقد كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا دأبه دائماً.

31- عن علي رضي الله عنه قال: (كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷺ، فلا يكون أحد منا أدنى إلى القوم منه) [أحمد والحاكم].
البأس هو الحرب والقتال فكانوا يتحصنون به عند القتال العنيف الشديد وهذا من شدة شجاعته.

32- (أن النبي ﷺ كان طويل الصمت قليل الضحك) [مسلم].

لا ينطق إلا في حاجة ولم يكن ثرثاراً، وكان صمته تفكر.

33- (يعيد الكلمة ثلاثاً لِيَتَعَقَّلَ عنه) [البخاري].

توكيداً للكلام وهذا يدل على تبليغه للأمانة الشرعية وحرصه عليها.

34- (كان يحدث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه) [متفق عليه].

لأنه أُعطي جوامع الكلم فكان كلامه قليل معدود ويكفي عن الكلام الكثير، ليحفظه السامع.

35- من الصفات التي وُصف بها النبي في الكتب المتقدمة أنه بين كتفيه خاتم النبوة بارزاً في حجم بيضة الحمامة وحوله خيلان «جمع خال وهي نقطة تضرب إلى السواد وتسمى شامة»، وعليه شعرات مجتمعات فكان ذلك علامة على صدقه وأنه النبي الموعود، روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (رأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده) أي يشبه سائر جسده في اللون.

❖ ❖ الأصول التي دعا إليها الأنبياء والرسل:

جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جاءوا بالتوحيد الخالص والنهي عن الشرك، وأمروا الناس بعبادة الله وحده وأخبروا أممهم أنهم بشر لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرراً ولا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه ولا يملكون بسط الرزق لأحد ولا قبضه عن أحد، وأنذروا قومهم الآخرة ورغبوهم في الجنة وحذروهم من النار وأمروهم بطاعة الله ونهواهم عن معصيته ودعوهم إلى مكارم الأخلاق، قال جل جلاله ﴿قُلْ نَعَالُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ تَحْنُ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ الأنعام [151]

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأعراف [59] ﴿وَالَّذِي مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ الأعراف [85]

خامساً: الإيمان باليوم الآخر: -

هو الإيمان بكل ما أخبر به الله في كتابه أو أخبر به رسوله مما يكون بعد الموت من فتنة القبر والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراف والشفاعة والجنة والنار وما أعد الله لأهلها، وفتنة القبر هي سؤال الملكين للميت من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ولذلك ينبغي للمسلم أن يكثر من دعاء الله أن يثبتته عند السؤال في قبره، وبعد السؤال يكون عذاب القبر أو نعيمه فيكون العذاب للكافرين ولعصاة المسلمين الذين لم يتجاوز الله عنهم، وأما نعيم القبر فللمؤمنين وحدهم، فالموت هو انفصال الروح عن الجسد وليس العدم وانقطاع الإحساس، والذي يبلى هو الجسد وليس الروح، فالأرواح لا تبلى أبداً، سواء في الدنيا أو الآخرة، وإذا مات المؤمن نُقلت روحه إلى الجنة، وإذا مات الكافر نُقلت روحه إلى النار، والنعيم أو العذاب يقع على الروح بشكل مستمر، وفي بعض الأحيان قد تتصل الروح بالبدن فيصيبه شيء من النعيم أو العذاب، ويبقى البدن ما قُدر له من الزمن حتى يبلى باستثناء عَجَب الذَّنْب، أما الروح فهي باقية ولا تزول، فتصبح الروح بعد فناء الجسد منفردة إلى قيام الساعة، روى الترمذي حديث (إِذَا قُبِرَ المِيتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا المُنْكَرُ وَالْآخَرُ النُّكِيرُ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يُفْسَحُ له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم يُنَوَّرُ له فيه، ثم يُقال له: نَمْ فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهلها إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم لا أدري فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التُمتي عليه فلتتَم عليه فتختلف فيها

أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)، وقال النبي: (إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدُّ منه وما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه) [بن ماجه]، وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى: (من لم يتأدب مع الله فوق الأرض أدَّبه الله تحت الأرض) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٦٧).

والمراد بالبعث هو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور من إسرافيل عليه السلام النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين حفاةً غير مُتَّعِلِينَ، عُراءَ غير مُسْتَرِّين، غُرلاً غير مُخْتَنِينَ، وإسرافيل ينفخ نفختين في الصور الأولى تميت كل حي إلا ما شاء الله والثانية تحيي كل ميت بأمر الله وبينهما أربعون كما قال الرسول (بين النفختين أربعون، ويبلَى كل شيء من الإنسان إلا عَجْبُ الذَّنْبِ، فيه يُرَكَّبُ الخلق ثم يُنْزَلُ الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل) فقالوا لراوي الحديث أبي هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت [متفق عليه]، فأبو هريرة لا يعلم المراد بالأربعين، وقد ذكر البغوي عند تفسير سورة مريم آية 64 أنها أربعون سنة والله أعلم.

عَجْبُ الذَّنْبِ: هو العظم اللطيف في أسفل الظهر ويسمى العُصْعُصُ.

البقل: النبات الأخضر، وهذا فيه تشبيه خروج الناس من تربة القبور بخروج البقل من تربة الأرض، لأن كلاهما يخرج من التراب بسبب الماء، والبعث يكون لنفس الروح ونفس الجسد ولا تتغير الأجساد إلى أخرى لأن الناس يوم القيامة يعرفون بعضهم فيشفع المسلم لأقاربه وأما الكافر فيلعن من أضله من الكفار والمعرفة لا تكون إذا تغيرت الأجساد، فيبعث الله جميع الموتى، السقط والحريق والغريق ومن أكلته السباع وقطعته بأسنانها وهضمته في بطونها لأنه على كل شيء قدير، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي﴾

كَيْفَ نَحْيِ الْمَوْتِ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾ البقرة [260]، وذلك أن إبراهيم عليه السلام مر على دابة ميتة قد توزعتها دواب البحر ودواب البر، فإذا مدَّ البحر أكلت الحيتان جزء منها وما أكلته بقي في البحر، وإذا جزر البحر ورجع جاءت السباع فأكلت جزء من هذه الجيفة، وبقي هذا الجزء المأكول في البر، والطير أيضًا لها نصيب من هذا اللحم الذي ينزل لحواصلها فتعجب إبراهيم وقال: يا ربي قد آمنت بأنك سوف تبعث هذه الميتة وغيرها، ولكن أريد رؤية ذلك، وهو مؤمن بالبعث غير شاكٍّ فيه ولكن أراد أن يرتقي من علم اليقين إلى عين اليقين فيرى ذلك بعينه ليزداد إيمانًا لأن الخبر ليس كالمعاينة، فعاتبه الله بقول (أولم تؤمن) وأمره أن يأخذ أربعة من الطير، طاووس وديك وحمامة وغراب ويذبحها ويخلطها مع بعض ريشها ولحمها وعظمها ثم يجعلها أجزاء على رؤوس الجبال ويمسك رؤوسها بيده ثم يناديها ويقول: تعالين ياذن الله وحده، فعندها طار ريش ولحم وعظم ودم كل طائر إلى رأسه وعادت الطيور الأربعة كما كانت قبل الموت وحصلت له المعاينة والمشاهدة.

❖ أدلة على أن البعث حق: _

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ التغابن [7]

ينبئهم الله: يخبرهم بأعمالهم، ليجازيهم بها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ سبأ [3].

يعزب: يغيب.

مثقال: وزن.

ذرة: نملة صغيرة.

يعني لا يغيب عنه علم ما عملتم ولو كان مقدار وزن أصغر نملة.
﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۖ وَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ
أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۚ﴾ مريم [66، 67]

ففي هذه الآية يوضح سبحانه لعباده أنه يعيدهم للحياة بعد أن يموتوا وتبلى أجسادهم، فكما أنشأهم أول مرة وأوجدتهم من العدم فلا يعجزه أن ينشئهم مرة أخرى، ومعلوم أن الإعادة أسهل من البداية في كل شيء.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ
عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ الأحقاف [33]
﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ غافر [57].

يعني أن الله الذي خلق السماوات والأرض التي هي أعظم من الناس قادر على بعث هذا الإنسان الضعيف.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝﴾ يس [82].
فالأمر سهل على الله بكلمة واحدة وهي كلمة كن يكون الذي يريده سواء البعث أو غيره، بدون الحاجة إلى التدخل باليد والجهد والوقت، فإذا كان يوم البعث فإحيائهم بعد موتهم يسير على الله وغير ممتنع.

﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ
لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ الروم [50].

يعني إذا كان الله يقدر أن يحيي الأرض الميتة بالمطر فتخرج النبات فهو قادر على أن يحيي الإنسان الميت يوم القيامة بنفس الطريقة وهو الماء

للحديث الذي ذكرناه سابقاً، ولا يوجد اختلاف بين الشيئين.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكِرُ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ المؤمنون [115].

لم يخلقنا الله عبثاً ولعباً، بل خلقنا للاختبار في الدنيا والحساب والجزاء في الآخرة، فلا فائدة من العبث.

**** الإيمان بالغيب هو الذي يقبله الله ويثيب العبد عليه لقوله تعالى في ثنائه على المؤمنين ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾** البقرة [3]، أي الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة والنار وفتنة القبر وغيره فهم المؤمنون حقاً، أما الإيمان بما نشاهده من خلق الله للسموات والأرض والجبال وغيرها فلا أحد من الناس يقدر أن ينكره، لأن الكفار يؤمنون يوم القيامة عندما يرون النار وملائكة العذاب وأحوال يوم القيامة ويرون حقيقة وَعَدَ اللهُ لَهُمْ، لكن لا يُقبل منهم لأنه إيمان بالمشاهدة وليس إيمان بالغيب والله يُثيب على الإيمان بالغيب ويُثيب على الإيمان الاختياري وليس الاضطراري، فالعمل في الدنيا والجزاء في الآخرة وليست الآخرة مكاناً للعمل.

واليوم الآخر له شأن عظيم وهو عسير على الكافرين ولكنه يسير على المسلمين لما روى الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان عن رسول الله قوله: ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ﴿٤﴾ المعارج [4]، فقيل: ما أطول هذا اليوم؟ فقال النبي (والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة).

ونؤمن كذلك بالحشر يوم القيامة ومعناه: جمع المخلوقات إلى مواقف الحساب من إنس وجن وحيوانات، فيحشرون كلهم حتى الذباب، والمتكبرون يحشرون كأمثال الذر في صور الرجال، ويحشر الكافر ماشياً على

وجهه، وجهه إلى الأسفل، ورجلاه إلى الأعلى كما قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان [34]، والذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه، وأول من يُكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل لأنه أُلقي في النار عرياناً من عتاة قومه، وفي أرض المحشر ليس للإنسان إلا موطئ قدميه فقط، وليس أحد منهم جالساً كلهم واقفون في ذلك اليوم الطويل العظيم، طوله خمسون ألف سنة لكنه خفيف على المسلمين كأنما يؤدي أحدهم صلاة مكتوبة، والذي كان يمنع زكاة الإبل والبقر والغنم، تطؤه إبله بأخفافها وتعضه بأسنانها، وتطؤه غنمه وبقره بأظلافها وتنطحه بقرونها، وإن منع الإنسان زكاة ذهب وفضة تصفح له صفائح «تجعل كالألواح» من نار ويحمي عليها ويكوى بها جنبه وظهره وجبينه، ويتمثل له ماله على صورة ثعبان أقرع عظيم شديد السم، له قرنان، يلدغه في شديقه، ويكون طوقاً في عنقه ويقول له: أنا كنزك الذي لم تخرج زكاته، قال النبي: (ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار) قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: (ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وريدها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلاً واحداً، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أو لاها رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)، قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: (ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم

القيامة بطح لها بقاع قرقر، لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أو لاها ردَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)، قيل: يا رسول الله فالخيل؟ قال (الخيل ثلاثة: هي لرجل وزر، وهي لرجل ستر، وهي لرجل أجر، فأما التي هي له وزر، فرجل ربطها رياءً وفخراً ونواءً على أهل الإسلام، فهي له وزر، وأما التي هي له ستر، فرجل ربطها في سبيل الله، ثم لم ينسَ حقَّ الله في ظهورها ولا رقابها، فهي له ستر، وأما التي هي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج وروضة، فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء، إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات، ولا تقطع طولها فاستنت شرفاً أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات، ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه، ولا يريد أن يسقيها، إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات)، قيل: يا رسول الله، فالحُمُر؟ قال: (ما أنزل علي في الحمر شيء إلا هذه الآية الفذة الجامعة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ الزلزلة [7، 8] [رواه مسلم].

وفي هذا الحديث بيان فضل تربية الخيل للجهد وأنه يُكتب لصاحبها حسنات بعدد شربها وأكلها وأرواثها وأبوالها وخطواتها، وأنه لا زكاة في الخيل والحمير إلا إذا كانت مُعدَّة للتجارة، أما إذا كانت للاقتناء فلا زكاة فيها، وفيه تغليظ العقوبة لمانعي الزكاة لأنها الركن الثالث من أركان الإسلام، وفي الحشر يكون الخلائق في ذلك الازدحام والانضمام، والالتصاق، واجتماع الإنس والجن وسائر أصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم، لا فرار ولا هروب، وقربت الشمس وكانت قدر ميل، وزيد في حرها، ولا ظل إلا ظل العرش، وقد انضاف إلى حر الشمس حر الأنفاس لتزاحم الناس، واحتراق

القلوب بما غشيها من الكروب، وعظم القلق، ويحشر الناس على حسب موالاتهم لبعض في الدنيا، فيُحشر اليهود معاً، والنصارى معاً، ومن أحب اليهود والنصارى حُشر معهم، ويُحشر الزناة مع الزناة، والمرتشون مع المرتشين، والمرابون مع المرابين.

وهناك نهر في الجنة اسمه الكوثر، وعد الله به نبيه محمد ﷺ، حافته قباب الدر المجوف وطينه المسك وحصابؤه اللؤلؤ، وله ميزابان «مُثْعَبَان» تصب في حوض النبي أحدهما من ذهب، والآخر من فضة، قال تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [1] الكوثر [1] والحوض هو مجمع الماء في أرض المحشر، وماؤه مستمد من الكوثر، وهذا هو الفرق بينهما، نهر الكوثر في الجنة وحوض النبي في أرض المحشر، والحوض ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وطوله وعرضه سواء، كما بين أيلة «مدينة العقبة في الأردن» وصنعاء أي أنه حوض كبير، وكؤوسه كنجوم السماء في كثرتها وحسنها، ومن شرب منه لا يظمأ أبداً وأول من يشرب منه فقراء المهاجرين؛ جزاءً لهم على صبرهم وأهل اليمن لنصرهم الرسول ولأنهم دخلوا الإسلام بدون حرب وقتال، وهناك أقواماً يطردهم النبي من ورود الحوض وهم الكفار وبعض المسلمين أصحاب الكبائر، ولكل نبي حوضٌ وهم يتباهون أيهم من يرد حوضه أكثر، قال ﷺ: (إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة) [رواه الترمذي وصححه الألباني]، ومن يرد حوض النبي أكثر ممن يرد حوض غيره بلا شك، وقال النبي عن الحوض (يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق) [مسلم].

يغت: أي يدفع دفعاً شديداً متتابعاً، فتبين بهذا أن ماء الحوض مستمد من نهر الكوثر في الجنة.

من ورق: من فضة.

وقال أيضاً: (إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء) [متفق عليه].

ثم بعد ذلك الشفاعة العظمى وقد ذكرناها فيما سبق ثم يكون الحساب وهو أن يُحاسب العبد على كل عمله ليجازي به، والحساب وقته يوم القيامة، وليس في القبر حساب وإنما يكون فيه عذاب أو نعيم على حسب الأعمال، ويوم القيامة يحاسب الناس كلهم إلا صنفاً من المسلمين يتفضل الله عليهم، فيدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب، قال عليه السلام (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) رواه البخاري واللفظ له ومسلم وابن ماجه والترمذي وزاد (مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل) وقال الألباني صحيح، وكذلك أطفال المسلمين يدخلون الجنة بغير حساب، والحساب نوعان: حساب عرض وهو الذي سماه الله في كتابه الحساب اليسير وهو خاص ببعض المؤمنين، تعرض عليهم أعمالهم فيعترفون بذنوبهم ويستترها الله عليهم ويتجاوز عنهم ويعرفون فضل الله ومنته عليهم، فهؤلاء لا يُناقشون الحساب ولا يُدقق معهم ولا يُحقق معهم، وأما حساب المناقشة فهو للكفار ومصيرهم بعد ذلك في النار إلى ما لا نهاية له، ويكون أيضاً لمن شاء الله من عصاة الموحدين أصحاب الكبائر الذين ماتوا ولم يتوبوا منها وقد يطول حسابهم ويعسر بحسب كثرة ذنوبهم فإذا دخلوا النار فإن دخولهم يكون مؤقتاً ثم يخرجون إلى الجنة ويخلدون فيها لأنهم موحدين، والجن محاسبون كالإنس تماماً لأنهم مكلفون فيكون مؤمنهم في الجنة وكافرهم في النار، قال عليه الصلاة والسلام: (من حوسب عذب) قالت عائشة: فقلت أوليس يقول الله تعالى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق 8] قالت: فقال النبي

(إنما ذلك العرض، ولكن، من نوقش الحساب يهلك) [متفق عليه].

ونؤمن كذلك بصحف الأعمال، فيُعطي كل إنسان كتاب فيه أعماله التي عملها وكتبها الملائكة خيراً أو شراً، فإن كان من أهل الإيمان يأخذه بيمينه إكراماً له وييسر بالجنة وينقلب إلى أهله في الجنة مسروراً، لأنه نجا من العذاب وفاز بالثواب، وأعظم من الجنة رؤية الله ورضاه سبحانه، وأما إن كان من أهل الكفر أخذ كتابه بشماله من وراء ظهره لأن يده تُثنى وراء ظهره وييسر بالنار فيصيبه الندم والغم ويتمنى الموت ولا يجده، فالكتب كانت مطوية بموت الإنسان ثم تنشر أي تُفتح عند الحساب، وكل إنسان سوف يقرأ كتابه حتى الذي كان في الدنيا أُمياً لا يقرأ ولا يكتب، وتشهد الجوارح والأعضاء بما عملت، وكل أحد سيكلمه ربه فلا يملك إلا الاعتراف والإقرار بما عمل كما أخبر النبي بذلك في الصحيحين: (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبين الله ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة)، وفي رواية للبخاري (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه).

ومن أحداث يوم القيامة الميزان، وهو ميزان حقيقي دقيق لا يزيد ولا ينقص له لسان وكفتان، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع فتوزن الأعمال حسناتٍ كانت أو سيئات حتى لو كان وزنها وزن ذرة وهي النملة الصغيرة كما قال سبحانه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة 7، 8]، إلا الذنب الذي غفره الله فلا يدخل في الميزان، والوزن يكون للعمل لقول النبي: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) [متفق

عليه]، ويكون لصاحب العمل لما حدث مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال الرسول: (مم تضحكون؟) قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال النبي: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد) [أحمد]، ويكون الوزن لصحائف الأعمال أيضاً ويدل على ذلك حديث صاحب البطاقة، قال النبي (إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات! فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء) [الترمذي وابن ماجه]، وشهادة التوحيد لا تنفع صاحبها بمجرد التلفظ بها، بل لا بد من معرفة معناها، والتصديق بمحتواها واليقين بها والكفر بما سواها، والعزم على العمل بمقتضاها، ولكن حديث البطاقة إنما هو في حق شخص له حال خاص، فلا يلزم تحقيقه في سائر من قالها، فإما أن تكون الغلبة في الوزن ما حصلت إلا بكلمة التوحيد وهو قد عمل أعمالاً صالحة غيرها أو يكون نطق بالشهادة ثم لم يلبث طويلاً إلا أن توفاه الله ولم يتمكن من تعلم الدين والعمل به، وهذه حالة شاذة وليست قاعدة، وهذا مثل عمرو بن ثابت بن وقيش الذي أسلم والنبي في غزوة أحد ثم انطلق مسرعاً وقاتل الكفار واستشهد وهو لم يصل صلاةً واحدة لله وقال النبي إنه في الجنة والحديث أخرجه الإمام أحمد في «المسند»، فإذا: حديث البطاقة يخص هذا الرجل ومن كان مثل حاله ولا

يجوز تعميمه على جميع الناس والتهاون في إبطال العمل والعبادة لله، والحكمة من الميزان هي إظهار عدل الله وإقامة الحجة على العباد وقطعاً لأعذارهم لأن الكفار ينكرون كفرهم أول ما يسألهم الله طامعين في النجاة وبعد شهادة الجوارح وإظهار الكتب ووزن الأعمال يعترفون ويدعون الله برفع العذاب، ويتمنون أن يمهلهم الله ليؤمنوا ويتوبوا ولكن هذا وقت جزاء والعمل كان في الدنيا فقط، وأعمال الكفار توزن لأنهم يختلفون فمن زادت سيئاته زادت عقوبته وكان أسفل من غيره في درجات النار فأبو طالب عذابه أخف من أبي جهل، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار لأنهم يخفون كفرهم وهم أخطر على المسلمين ممن يظهر كفره، ولا يعني وزن أعمالهم بأن لهم حسنات، فالشرك والكفر قد أحبط وأبطل كل حسناتهم، ولكن من رحمة الله بهم أنهم يثابون على حسناتهم في الدنيا فمن بر والديه منهم أو وصل رحمه أو تصدق أو كان رحيماً بالناس وبالحيوانات يجازى بحسناته في الدنيا فقط على هيئة مال أو صحة أو غيره، ولكن في الآخرة يحرمون من الأجر مطلقاً، هذا مع العلم أن جميع طوائف الكفار يشتركون في الخلود في النار.

وبعد ذلك الصراط وهو جسر ممدود على متن «ظهر» جهنم، أخذ من السيف وأدق من الشعرة وهو مثل حر الجمر، عليه كالليب: جمع كَلُوب وهو حديدة معطوفة الرأس يُعلق عليها اللحم، وخطاطيف: الخطاف الحديدية المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء، وحسك: الحسكة شوكة صلبة معروفة، والصراط تزلق الأقدام عليه ولا تثبت إلا أقدام الصالحين، يمر عليه المسلمون حسب أعمالهم وطاعتهم لله، منهم من يعبره كسرعة البرق والذي يليه كالريح ثم كالطير ثم كأجاويد «سوابق» الخيل والركاب ثم كجري وعدو الرجال، ومنهم من يمشي ومنهم من يزحف ومنهم من يسقط في النار، فينقسمون إلى ثلاثة أقسام: قسم سالم وقسم يعبر لكن يصيبه خدوش وقسم

يسقط في جهنم، فالذي زادت حسناته على سيئاته أو استوت حسناته وسيئاته فهذا قد نجا من النار، أما من زادت سيئاته على حسناته فيسقط في النار، والصراط شديد الظلمة والمسلمون يُعطون النور على قدر إيمانهم، فمنهم من يكون نوره مثل الجبل ومنهم من يكون نوره مثل النخلة وبعضهم يُعطى نوره قدر إبهام قدمه يضيء مرة ويطفئ مرة، روى مسلم وغيره في حديث الشفاعة الطويل أن رسول الله ﷺ قال: (فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيلكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار) والكفار لا يمرون على الصراط وإنما يُلْقَوْنَ في النار ابتداءً، فلا يمر عليه إلا المسلمون وحدهم، وأما المنافقون فيعطيه الله نوراً فإذا أقبلوا على الصراط يخدعهم الله وينطفئ نورهم ويسقطون جميعهم في جهنم ولا يمرون على الصراط، لأنهم كانوا يخدعون الناس بإظهارهم الإسلام وإبطانهم الكفر والجزاء من جنس العمل، وتكون الأمانة والرحم بجانب الصراط يميناً وشمالاً لتشهد على الواصل والقاطع والأمين والخائن، وهذا يدل على عظم شأنهما، وإذا تجاوز المؤمنون الصراط حُسبوا على قنطرة «جسر المظالم» ليقنص الله لبعضهم من بعض بسبب الظلم في الدنيا، ويُنْقَوْنَ مما في صدورهم من الغل والبغضاء لأن الجنة دار النعيم والسلام لا تصلح لغش القلوب، وهذا غير القصاص الأول الذي كان لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم بل حتى بين الحيوانات قبل عبور الصراط، وأما القصاص الثاني في القنطرة فهو خاص

بالمسلمين وحدهم، لأنه لا أحد يدخل الجنة ولأحد عليه تبعة، والله أعلم كيف يكون هذا القصاص، قال الرسول (يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأُحْدِهِمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا) [البخاري]، يعني أنهم يدلّون بيوتهم في الجنة أحسن مما يدلّون بيوتهم في الدنيا، والجنة درجاتها متفاوتة في الارتفاع والفضل وأفضلها أعلاها وهو الفردوس الأعلى الذي سقفه عرش الرحمن، وكذلك النار دركات أشدها عذاباً أسفلها وهو للمنافقين، والجنة والنار أبديتان لا يفنيان هن ومن فيهن لقول النبي: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرّبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرّبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [39] مريم وهو لاء في غفلة أهل الدنيا (وهم لا يؤمنون) [متفق عليه].

الكبش: فحل الضأن.

أملح: لون شعره مختلط بالسواد والبياض.

فيشرّبون: ترتفع أعناقهم، وإذا ذبح الموت فإن حياتهم تكون أبدية.

ونؤمن بالجنة وهي دار المسلمين، أبوابها ثمانية، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، وكذلك باب المتوكلين وباب بر الوالدين وباب التائبين وباب

الذكر، وبعض الصالحين يدخلها من جميع أبوابها أبو بكر الصديق الذي بشره النبي بذلك، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفيها نهر من لبن لم يتغير طعمه بحموضة أو غيرها ونهر من ماء غير متغير من طول مكثه ونهر من خمر لذیذة وليست كريهة أو ننتة كخمر الدنيا ولا تُذهب بعقولهم ونهر من عسل مصفى من الشمع وغيره، والجنة بناؤها من لبنات الذهب والفضة، وملاطها «هو ما يستخدم لربط اللبنة بعضها ببعض ليملاً الفراغات» وهو في الدنيا من طين أو إسمنت وفي الجنة من المسك الأذفر «شديد الرائحة»، وحسبائها وهو الحصى الصغير من اللؤلؤ والياقوت يعني مثلهما في اللون والصفاء وترتبتها الزعفران الناعم الأصفر الطيب الريح وسقفها عرش الرحمن، طعامها فاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، شرابها التسنيم والزنجيل والكافور، أبوابها واسعة فما بين المصراعين مسيرة أربعين عاماً، وأما ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المُجِدُّ السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، وللمؤمن خيمة من دُرّة مجوفة طولها ستون ميلاً، وله فيها أهل لا يرى بعضهم بعضاً من اتساعها، لباسهم فيها الحرير والذهب، وأهل الجنة يتنعمون فيها لا يموتون ولا يمرضون ولا ينامون وما انتهى أحدهم شيئاً إلا آتاه، خدمهم الولدان المخلدون وزوجاتهم الحور «البیض» العين «أعينهن جميلة واسعة» وهن خيرات الأخلاق حسان الوجوه، كل واحدة منهن يرى مُخُّ ساقها من وراء اللحم من شدة البياض والصفاء وشفافية الجلد ولا ينظرن إلى غير أزواجهن مطهرات من الحيض، وبعد الجماع يرجعن ابكاراً، وأهل الجنة قلوبهم نقيه من الحقد والبغضاء عامرة بالمحبة، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون، رشحهم «عرقهم» المسك أي كرائحته، ومجامرهم «مباخرهم» الألوَّة «العود الهندي» على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء، أعمارهم

ثلاثة وثلاثين سنة، وهم في نعيم دائم وملك كبير، حتى إنَّ أحدهم يُعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع، وثلاثي أهلها من أمة محمد والثلث الباقي من سائر الأمم، وأما آيتهم فبعضها فضة وبعضها ذهب، يُلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس، لا كلفة عليهم فيه ولا بد منه لأنها دار نعيم ولذة وليست دار تكليف وعبادة فليس فيها صلاة ولا صوم ولا غيره، وأول طائفة تدخل الجنة تكون كالقمر ليلة البدر وهي ليلة أربعة عشر حين تكمل استدارته ويتم نوره، والطائفة الثانية تشبه في صورتها أقوى الكواكب نورًا وضياءً، وفي الجنة سوق يأتيه المسلمون كل جمعة ليتزاوروا وليأخذوا ما يحتاجونه من غير بيع وشراء.

ونؤمن ونصدق بالنار وأنها دار الكافرين، أعاذنا الله منها، عذابها شديد وقعرها بعيد إلى سبعين سنة، وشررها كالقصر وهو البناء العظيم فكيف بجمرها، والشمس والقمر والكواكب التي عُبِدَت من دون الله مع عظمها مُلقاة فيها لتزيد من حرها وتوبيخًا لعبديها، ونار الدنيا بأكملها جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، لها سبعون ألف زمام وكل زمام يمسك به سبعون ألف ملك، وأشد حر في الصيف وأشد برد في الشتاء هو من أنفاسها، وقودها الناس وحجارة الكبريت ذات الحرارة الشديدة والدخان الكثير، سوداء مظلمة، والنار أبوابها سبعة وهي مغلقة على أهلها لا يخرجون منها فهم في سجن وحبس دائم مخلدين فيها لا يموتون ولا ينامون ولا يخفف عنهم العذاب ولا يتوقف لحظة، تدفعهم الملائكة فيها بعنف، تغطي النار وجوههم فتصبح محترقة سوداء، يُعذبون بزمهريها وبردها كما يعذبون بحرها ولهيها، لباسهم من نحاس ذائب، طعامهم الضريع «شوك» وشجرة الزقوم وشرابهم الحميم وهو الماء الحار والغسلين وهو صديد جروحهم والمهل وهو ماء مثل دردي الزيت وحثالته، فطعامهم وشرابهم كرية غليظ مُر شديد الحرارة، وهم مقيدون

بالأغلال وهي قيود تشد أيديهم إلى أعناقهم، وموثقون بالسلاسل الثقّال، تضيق عليهم جهنم كما يضيق الود في الحائط، وتكون بينهم عداوة حتى إن بعضهم يلعن ويسب بعض ثم بعد ذلك لا ينطقون وتكون أصواتهم الشهيق والزفير التي هي من عادة المغموم وينبحون كالكلاب، وتتسلط عليهم الحيات والعقارب والسباع والهوام «الحيوانات الضارة» وتضربهم خزنة جهنم بالمطارق، وتُدخل السلسلة في دبر الكافر حتى تخرج من منخره، وتصب الماء الحار على رأسه فيخرقه ويخرق بطنه وقدميه، وتأكل النار أجسادهم إلى أن تصل إلى أفئدتهم ثم تنبت لحومهم وجلودهم من جديد ثم تحترق ثم تنبت فهي كذلك إلى أبد الآبدين، لأنه لو احترق القلب حصل الموت ولا موت حينئذ.

❖ ترتيب أحداث يوم القيامة كالتالي: _

- 1- البعث وهو إحياء الموتى وخروجهم من قبورهم.
- 2- الحشر وهو انتقال الناس إلى أرض المحشر ثم يقومون قيامًا طويلاً.
- 3- الحوض في عرصات «المكان الواسع» القيامة وشرب المؤمنين منه.
- 4- الشفاعة العظمى من نبينا محمد لتعجيل الحساب للخلق بعد أن يعتذر عنها كبار الرسل، ويقوم لها خاتمهم محمد ﷺ ويقول: أنا لها، فيسجد لله ويحمده ويدعوه ويأذن الله له بالشفاعة في الخلق، ويحصل له المقام المحمود الذي يحمده عليه الخلق وذلك بعدما تدنو الشمس منهم على قدر ميل، ويلحقهم من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون.
- 5- عرض الأعمال.
- 6- تطاير الصحف ثم قراءة الكتب لقطع المعذرة وقيام الحجة على الناس.
- 7- الحساب.

8- الميزان.

9- انقسام الناس إلى طوائف، فالكفار يساقون إلى النار والمسلمون والمنافقون يتجهون إلى الصراط.

10- الظلمة قبل الصراط، فيُعطي المنافقون نور خداعاً لهم ثم ينطفئ نورهم فيلقون في جهنم ويبقى نور المؤمنين ليمروا على الصراط وحدهم.

11- المرور على الصراط وسقوط بعض الموحدين في النار.

12- القنطرة.

13- الجنة: وأول من يدخلها نبينا محمد ثم فقراء المهاجرين ثم فقراء الأنصار ثم فقراء الأمة ويؤخر الأغنياء بسبب كثرة أموالهم ليسألوا مِمَّ اكتسبوها وفيَمَ انفقوها.

** الفرق بين الساعة والقيامة والآخرة أن الساعة تكون نهاية الحياة الدنيا عند النفخة الأولى، وهي نفخة الفزع ويحدث فيها انشقاق السماء وسير الجبال ثم زوالها وميل الأرض ورجها وتساقط النجوم، وخسوف الشمس والقمر وكل هذا على أرضنا هذه، فالساعة تأتي على ناس أحياء جميعهم كفار ومن ثم يميتهم الله وتُسميت ساعة لسرعة مجيئها فهي تأتي فجأة، ثم بعد ذلك نفخة الصعق وفيها موت كل شيء إلا من شاء الله وهم حملة العرش وجبريل وميكائيل، وإسرافيل وملك الموت وذلك لأنهم يموتون بين النفختين، فإذا مات جميع الخلق ولم يبقَ إلا الله الواحد القهار طوى السماء كطي السجل للكتب وقبض الأرض، ونفخة الفزع «الخوف» ونفخة الصعق «الموت» هي واحدة لأن إسرافيل عليه السلام يمدّها، والقرآن دل على أن الفزع والصعق والبعث نفختين وليست ثلاث، فنفخة الفزع والصعق من الساعة، وأما القيامة فهي قيام الناس من قبورهم وإعادة إحيائهم من أجل حسابهم وبدائيتها عند نفخة البعث، وأما الآخرة فهي تشمل القيامة وما بعد ذلك إلى الخلود الأبدي

في الجنة أو النار.

**** الأرض تُبدل مرتين، المرة الأولى تبديل صفاتها عند نفخة الصعق، والمرة الثانية تبدل ذاتها في المحشر قبل الصراط.**

سادسًا: الإيمان بالقدر خيره وشره: -

القدر شرعًا هو تقدير الله عز وجل الأشياء في القَدَم وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وصفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيتته لها ووقوعها على حسب ما قدرها، وهذه تُسمى مراتب القدر وهي كالتالي: -

- المرتبة الأولى: العلم، والمراد به علم الله الأزلي بما كان وما يكون، وبما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله قد أحاط بكل شيء علمًا ولا تخفى عليه خافية ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة، قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢] الطلاق كما قال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [١١٥] التوبة وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله: أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال (نعم) قال: ففيم يعمل العاملون؟ قال: (كل ميسر لما خلق له) [البخاري ومسلم]، يعني أن الله يسهل عمل الخير لأهل الخير ويسهل عمل الشر لأهل الشر، وهذه الآيات تدل على نفس معنى الحديث ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [١٠] الليل [5-10]

- المرتبة الثانية: الكتابة، يجب علينا أن نؤمن أن الله كتب مقادير الخلائق كلها حتى أدق تفاصيلها في كتاب عنده وهو اللوح المحفوظ، كما قال تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَلِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [٣٨] الأنعام [38] وقال عليه

الصلاة السلام: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة) [مسلم]، وقوله: (إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) [أبو داود].

وهناك كتابات غير هذه الكتابة وهي: -

الكتابة العمرية عند تخليق النطفة في الرحم، فيكتب ذكورها أو أنوثتها والأجل والعمل والشقاوة أو السعادة والرزق لحديث: (إن أحدكم يُجمع خَلْقُهُ في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد) [البخاري ومسلم]، وحديث: (وَكَلَّ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خَلْقَهَا قال أي رب أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه) [البخاري ومسلم]، يعني أكتبه شقياً من أهل النار أم أكتبه سعيداً من أهل الجنة.

الكتابة السنوية: يقدر الله في ليلة القدر ما يكون في السنة إلى السنة القادمة كما قال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ الدخان [3، 4] يُفْرَقُ يعني يُفَصَّل للملائكة من اللوح المحفوظ أقدار سنة كاملة، وهذه هي ليلة القدر قطعاً لقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿١﴾ القدر [1] قال مجاهد: ليلة القدر ليلة الحكم وقال سعيد بن جبير: يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزداد فيهم ولا ينقص منهم.

- المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بمشيئته سبحانه، وأن كل ما يجري في الكون إنما هو بإرادته لا يخرج شيء عنها، فما شاء الله كان

وما لم يشأ لم يكن، كما قال عز وجل: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ التكوين [29، 28] وقال ﷺ: (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصفه حيث يشاء) [مسلم].

- المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بأن كل ما في الكون هو من خَلَقَ الله عز وجل وتكوينه وإيجاده لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) الزمر [62]

فهذه مراتب القدر بالترتيب [علم ثم كتابة ثم مشيئة ثم خلق].

**** القضاء والقدر إذا افترقا اجتماعا وإذا اجتمعا افترقا، بمعنى إننا إذا قلنا القضاء فهو نفس معنى القدر وإذا قلنا القدر فهو نفس معنى القضاء، لكن إذا اجتمعا في جملة واحدة اختلف المعنى فالقدر ما قدر الله قبل حدوثه والقضاء ما يكون عند الوقوع، فقد قدر الله مثلاً إن فلان ينجب ولداً ذكراً وبعد أن يتزوج ويكون جماع الزوجة يقضي الله له بالولد.**

**** القضاء والقدر منشؤه عن علم الرب وقدرته، فمن ينكرهما فهو يتهم الله أنه لا يعلم الأشياء قبل حدوثها ولا يقدر على إيجادها.**

**** لا يكمل إيمان المؤمن حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإن كل شيء بقضاء الله وقدره كما قال عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) القمر [49] فيجب الإيمان بالقدر والتسليم لله والصبر على المصائب لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠) الزمر [10] يعني أن من صبر لله فأجره يوم القيامة بالغرف والحثي وليس بالكيل والوزن، فهو كثير وغير معدود، والصوم يعتبر صبر لله، قال الرسول: (كل عمل بن آدم يُضاعف، الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي،**

للمصائم فرحتان فرحة عند فطرة وفرحة عند لقاء ربه ولخوف فيه (فمه) أطيّب عند الله من ريح المسك) [البخاري، ومسلم واللفظ له] فأصبح أجر الصبر ومنه الصوم أكثر من سبعمئة ضعف.

**** القدر سر الله تعالى في خلقه فهو أمر غيبي، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك يهلك الإنسان ويسبب له وسوسة، فلا يجوز الخوض فيه لأن العقل يقصّر عن إدراك القدر والغيب، وقد قال النبي: (وإذا ذكر القدر فأمسكوا) [الطبراني]، وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن القدر فقال: (شيء أراد الله ألا يطلعكم عليه، فلا تريدوا من الله ما أبى عليكم) يعني ما منعكم من معرفته، والخوض يكون بأمور: -**

1- فيما لا علم للإنسان به من الغيب مثل كيفية صفات الله، ومثل ما يتعلق باليوم الآخر باستثناء ما ذكره النبي من وصف الجنة ونعيمها ووصف النار وعذاب أهلها وأحداث يوم القيامة.

2- مثل قول الجبرية بأن الله أجبر العبد على فعله ومثل قول القدرية الذين ينفون القدر ويقولون أن الإنسان يفعل ما يشاء وأن الله لم يُقدّر ذلك مُسبقًا، والقول الصحيح الذي يثبت الشرع أن الله خالق العباد وخالق أفعالهم، فيضاف الفعل إلى الله خلقًا وتقديرًا ويضاف إلى العبد عملاً واختيارًا، فالعباد فاعلون حقيقه ولهم مشيئة ولكنها تابعة لمشيئة الله ومقيدة بها لقوله تعالى ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ التكوير [28، 29] لكن الإنسان لا يقول أن الله قدّر وكتب كل شيء فلا داعي للأسباب، لأن هذا القول خطأ، والأسباب لها تأثير بلا شك، فمعلوم أن السحاب سبب للمطر والماء سبب للنبات والسعي سبب للرزق، والله سبحانه هو خالق السبب والمُسَبَّب «النتيجة»، والأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله،

فالمؤمن يفعل الأسباب ولا يعتمد عليها بل يعتمد على خالقها، وفعل الأسباب لا ينافي كمال التوحيد، فهذا سيد الخلق نبينا محمد كان يتقي البرد والحر باللباس ويتقي الحرب بالدروع ويحمل الزاد في السفر ويبيع ويشترى ولم يُقلْ يأتي رزقي بلا سعي ولم يعطّل الأسباب وكان أكثر الناس عبادة لله مع أنه قد غفرت ذنوبه ما تقدم وما تأخر منها وكان متوكلاً على ربه حق التوكل.

**** لا يجوز السؤال ب (لَمْ) في باب القدر مثل أن نقول لماذا فعل الله كذا ولماذا لم يفعل كذا، ولا يجوز السؤال ب (كيف) في باب الصفات مثل أن نقول كيف هي يد الله وكيف وجهه، أو ادّعاء معرفة كيفية استواء الله على عرشه وكيف نزوله للسماء الدنيا، فكيف يزعم معرفة كيفية صفات الله من لم يراه، ورؤية الله تكون للمسلمين في الجنة وليست في الدنيا.**

❖ يتساءل بعض الناس ويقول لماذا قَدَّرَ الله علينا الشر وما هي المصلحة منه؟

الجواب: لم يخلق الله الشر المحض «الخالص» من كل وجه، فهو شر جزئي وليس شر كلي، فيكون لإنسان شر وآخر خير أو يكون لنفس الشخص خير وشر في وقت واحد، كما يتلى الله بعض الناس بالمرض ليتوب إليه، فلا بد أن تجد فيه خير من وجه آخر، فيكون خلق الشر لحكمة ومصلحة، والحكمة من خلق الله للخير والشر الاختبار فالمؤمن يشكر الله على الخير ويصبر على الشر عكس الكافر، وهذا (إبليس) رأس الشر خلقه الله ليعلم الناس عقوبة المعصية، والموت مصيبة ومكروه وفيه راحة للمؤمن من تعب الدنيا وراحة من الكافر، وخلق الله الأفاعي والعقارب لأنها تقضي على القوارض ولأن عددًا من العقاقير النافعة تُستخرج من سمّها، وخلق النار لتذكّر النار الكبرى «جهنم» وخطرها، وقال بعض الحكماء: (خلق الله الذباب

ليذل به أنوف الجبابرة) وأعظم حكمة من خلق المخلوقات هو عبادة الله، فجميع الكون وجميع الخلائق يسبحون الله من ملائكة وإنس وجن ونباتات وحيوانات وجمادات وغيره، كل مخلوق حسب صوته ولغته، كما سمع النبي وأصحابه تسبيح الطعام والحصى، واعلم أن الله من أسمائه الحكيم ومن صفاته الحكمة فلا يخلق شيئاً إلا لمصلحة، والواجب علينا أن ننسب الخير إلى الله ولا ننسب الشر إليه تأدباً معه وإن اعتقدنا أنها كلها من تقديره، وسبب الخير رحمة الله وسبب الشر ذنوب العباد.

❖ ❖ الاحتجاج بالقدر: _

قال عليه الصلاة والسلام: (احتجَّ آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطأ لك بيده، أتلومني على أمرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجَّ آدم موسى، فحجَّ آدم موسى) [متفق عليه].

والمعنى الصحيح للحديث هو أن آدم عليه السلام لم يبرئ نفسه من فعل الذنب، بل كان معتقداً أن معصيته لله وخروجه من الجنة كل ذلك حدث بقضاء الله وقدره، وفي هذا استسلام لله ورضا بالقدر، وليس كقول بعض الناس اليوم إذا نصحته وهو في معصية: (هذا أمر قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ) وكأنه يعذر نفسه ويتهرَّب من مسؤولية الذنب، وهذه عقيدة الجبرية، أما آدم فقالها بعد الاعتراف بالذنب والتوبة منه والإقلاع عنه والندم عليه، فالاحتجاج بالقدر على عمل المعاصي أو ترك الطاعات من سوء الأدب مع الله، ولو كان القدر حجة على فعل المعاصي لما كان أحد ملوماً على معصيته، فلا يُلام إبليس ولا عاد ولا ثمود ولا فرعون وقومه، وهو من خصال المشركين، قال الله عنهم ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ

عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ الأنعام [148] فحجة الله على عباده قد قامت بإرسال رسله وإنزال كتبه، ولما أتى إلى عمر رضي الله عنه برجل قد سرق فقال: (ما حملك على السرقة؟ قال: حملني عليها قضاء الله وقدره قال له عمر: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره، فأمر به فقطعت يده)، ولو كان الاحتجاج مقبولا عند الله لما كان لخلق النار فائدة وحكمة، لأن كل عاصٍ سيقول أنت يا ربي قد قدرت ذلك علي، والذي يجوز هو الاحتجاج بالقدر على المصائب كالمرض والفقر من باب التعزي والتصبُّر لا من باب التسخُّط على القدر، فمن أتاه مثلاً خبر وفاة ابنه فقال: الحمد لله هذا من قدر الله، فقله هذا من كمال الإيمان، قال عز من قائل ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ التغابن [11] كما يجوز أيضاً الاحتجاج بالقدر على المعاصي التي تاب العبد منها كما احتج آدم، فأكله للشجرة معصية قد مضت وتاب منها، أما المعاصي التي يُصِرُّ عليها الإنسان فلا يحتج بالقدر عليها.

**** ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: -**

أولاً: طمأنينة القلب وراحته، وعدم القلق عند التعرض للمصائب، لإيمان المؤمن أن كل ذلك مقدر من الله، بخلاف من لا يؤمن بالقضاء والقدر فإنه تأخذه الهموم والأحزان وربما فكر في الانتحار.

ثانياً: الصبر والثبات في مواجهة الشدائد، قال عكرمة رحمه الله: (ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً).

ثالثاً: الرضا بما قسمه الله واحتساب الاجر والثواب، قال عليه الصلاة والسلام: (عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له! وإن أصابته ضراء صبر فكان

خيرًا له!) [مسلم]، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها).

رابعاً: التحلي بالشجاعة والإقدام على كبار الأمور، فإذا علم العبد أن كل شيء مقدر ومكتوب، يتيقن أن المخاطرة لن تقدم مَنِيَّتَهُ والهروب لن يؤخرها، ولكن مع التوكل على الله والأخذ بالأسباب وعدم إهمالها.

مصادر الشريعة: -

اعلم أولاً أنها جميعها ترجع إلى الوحيين القرآن والسنة، فليس لأحد أن يأتي بما يوافق هواه، ولكن هذه المصادر مستنبطة من القرآن والسنة ومن عمل الصحابة لأنهم يتلقون من النبي الذي ينزل عليه وحي ربه، وهي على النحو الآتي: -

أولاً: القرآن [وهو كلام الله وأفضل الكتب التي نزلت على الأنبياء].
ثانياً: السنة [الصحيح منها لأنه ليست جميع الأحاديث صحيحة، أما القرآن فكله صحيح].

ثالثاً: الإجماع [اتفاق مجتهدي هذه الأمة «علمائها» بعد وفاة النبي على حكم شرعي في أي عصر من العصور ولا يُشترط وجوده في كل عصر]، فلا يعتبر اتفاق أكثر المجتهدين من أهل العصر إجماعاً بل لا بد أن يكونوا جميعهم على رأي واحد، والإجماع باعتبار الدلالة نوعين:

1- قطعي: وهو حجة بلا شك، وهو ما قطع بعدم المخالف له، ولا يحتاج هذا النوع إلى استنباط واستقراء، ولا أحد ينكر ثبوته، ويكفر مخالفه إذا كان مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالإجماع على وحدانية الله وإرساله الرسل وإنزاله الكتب واستحقاقه للعبادة وحده وعلمه سبحانه بكل شيء، والبعث والخلود في الجنة للمسلمين وفي النار للكافرين ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة وانتقاض الطهارة بالبول ونحوه، ووجوب الصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام وتحريم الزنى والخمر والسرقة وتحريم بناء الكنائس، إلا من كان حديث عهد بالإسلام أو كان يعيش في بيئة لا يوجد فيها مسلمون فإنه يُعذر بجهله، وأما إنكار الإجماع القطعي الذي هو دون المعلوم من الدين بالضرورة كالإجماع على قتال مانعي الزكاة

والإجماع على تحريم آلات اللهو والمعازف «سوى الدف» وأن القاتل العمد لا يرث من مال المقتول شيئاً، فهذا لا يكفر مخالفه.

2- ظني: هو ما لم نقطع بعدم المخالف له، ولا يعلم إلا بالتبع والاستقراء للكتب وأقوال العلماء، وهذا نحتج به من غير جزم، ولا يكفر منكروه، ومثاله: إجماع العلماء على تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح لكيلا تقع بينهما العداوة وقطيعة الأرحام.
وأما من حيث التصريح فهو نوعان:

1- إجماع صريح: وهو الذي صرح فيه العلماء بالحكم الشرعي بأقوالهم أو أفعالهم، وهو حجة قطعية، مثل الإجماع على حرمة التأمين التجاري بأنواعه، كالتأمين على حياة الإنسان أو يده أو عينه، أو على الممتلكات كالسيارة مثلاً، فهو مُجمع من العلماء على تحريمه لما يشتمل عليه من الغرر «الجهل» والميسر «القمار» وهي نازلة من النوازل في هذا الزمن لم تُعرف من قبل ولكنها حرام لمخالفتها الشرع.

2- إجماع سكوتي: وهو أن يسكت العلماء عن حكم شرعي قد اشتهر لمجتهد من المجتهدين دون إنكار منهم بعد معرفتهم له، مثل عثمان بن عفان لما دخل متأخراً وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما يخطب الجمعة، فقال عثمان: (يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت، فقال عمر: والوضوء أيضاً!) فلم يأمره عمر بالاغتسال مع سكوت الصحابة فدل ذلك على أن غسل يوم الجمعة مستحب، والإجماع السكوتي حجة ظنية، لاحتمال أن من سكت عنه ولم يخالفه أنه خائف منه أو من السلطان، فلذلك لم نجعله قطعي.

ودليل حجية الإجماع قول الرسول (أن الله لا يجمع أمتي على ضلالة) [الترمذي].

فالإجماع حجة خاصةً لإجماع السلف الصالح لأنهم أصلح الأمة وأقربها زمنًا إلى عهد النبي، ونعني بالسلف القرون الثلاثة الأولى المفضلة وهم الصحابة والتابعين واتباع التابعين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فكل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم فإنه يكون خطأ، كما قال الإمام أحمد بن حنبل: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام) مجموع الفتاوى (21/ 291).

** هناك فرق بين الإجماع ونقل الإجماع، فبعض العلماء يحكي عن وجود إجماع وإذا بحثت جيدًا تجد أنه لا يوجد إجماع والمسألة خلافية، وإنما حملة على ذلك أن أكثر العلماء قال به، مع أن الإجماع هو قول الكل وليس قول الأكثر، ولكن يستفيد طالب العلم من هذا حصول غلبة ظن عنده أنه قول الجمهور، فالتسرع في نقل الإجماع أمر خطير، لأن الإجماع لا تجوز مخالفته، فلو سمعت قول: (أجمع العلماء على كذا وكذا) فلا تكنف بهذه الفتوى وراجع بنفسك لتتأكد فربما تجد خلافًا من بعض العلماء، وتزداد معرفة الإجماع صعوبة في زمننا هذا لكثرة علماء المسلمين وانتشارهم في بلدان كثيرة.

رابعًا: القياس [لغةً يأتي بمعنى التقدير ويأتي بمعنى التشبيه واصطلاحًا هو إثبات حكم لم يرد فيه دليل شرعي؛ بناءً على حكم ورد فيه دليل شرعي لاشتراك هذين الأمرين بعلّة واحدة]؛ لأن الشريعة لا تفرّق بين متماثلين ولا تجمع بين مختلفين، والقياس حجة خلافاً لقول الظاهرية الباطل في منع القياس ومخالفتهم العلماء، فقد قال النبي في الحديث الذي رواه البخاري: (لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان)؛ لأن الغضب يشوّش الفكر فيكون ذلك سبباً لضياح حقوق المسلمين، فيلزم من قول الظاهرية أن النهي يختص بحالة الغضب فقط، فلو كان القاضي في حزن مفرط يؤثر عليه تأثيراً أشد من تأثير

الغضب بأضعاف أو كان في جوع أو عطش فإنه يحكم بين الناس، وهذا أمر بعيد عن الصواب، ومثل نهيه عليه السلام عن البول في الماء الراكد في قوله: (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل منه) [متفق عليه]. والذي يمنع القياس سوف يملأ آنية كثيرة من البول ثم يصبها في الماء الراكد أو يتغوط فيه وهذا أمر منكر، والعمل إنما هو بالصحيح منه لأن من القياس ما هو فاسد، فالصحيح منه مثل قياس تحريم المخدرات على تحريم الخمر لأنها كلها تذهب العقل، ومثل قياس طهارة الحمار والبغل والفأر وممن هو مثل حالها على طهارة الهرة لأن الأصل وهو طهارة الهرة له علة معلومة وهي الطواف وكثرة معاشتها ومخالطتها للناس، والتحرز منها فيه مشقة، وهذه العلة موجودة في الحمار والبغل والفأر، قال النبي في الهرة: (إنها ليست بنجس، إنما هي من الطوافين عليكم) [أخرجه الأربعة]، والقياس الفاسد مثل قياس تزويج المرأة نفسها بغير ولي على جواز بيعها وشرائها بغير ولي لأنه صادم النص وهو قول النبي: (لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل) [البهقي].

**** لا قياس مع وجود النص أو الإجماع، ولا قياس في العقائد لأنها توقيفية، إنما هو خاص بالأحكام الفقهية.**

**** العلة ركن أساسي في القياس وإذا لم تعرف فلا يصح القياس.**

**** قال الشيخ بن باز رحمه الله عن الظاهرية: (عليهم نقص ومؤخذات في جمودهم على الظاهر، وعدم رعايتهم للعلل والحكم والأسرار التي نبه عليها الشارع وقصدها، ولهذا غلطوا في مسائل كثيرة دل عليها الكتاب والسنة).**

خامساً: قول الصحابي [إذا لم يكن للرأي والاجتهاد فيه مجال فله حكم الرفع إلى النبي].

لأنه لو اجتهد وقال برأيه في أمر ليس فيه اجتهاد مثل الأمور الغيبية «صفات الله أو ما يتعلق بالآخرة من جنة ونار ومحشر أو الملائكة» فهذا كذب لأن

الصحابي لا يعلم الغيب، ولكن الصحابة لا يكذبون في أمور التشريع؛ وذلك لأنهم كلهم عدول ومعنى عدالتهم أنهم لا يتعمدون الكذب، فإذا تكلم الصحابي فيما ليس للرأي والاجتهاد فيه مجال فقد سمعه من النبي بلا شك، ولكن بشرط ألا يكون أخذ هذا الخبر من الإسرائيليات التي هي ثلاثة أنواع: -

1- ما وافق شرعنا فهذا نصدقه.

2- ما خالف شرعنا فهذا نكذبه.

3- لا يوافق ولا يخالف القرآن والسنة فهذا يُحكى ويُستشهد به ولا يصدق ولا يكذب، لكيلا نصدقه وهو كذب أو نكذبه وهو صدق.

وليعلم أن الصحابة كانوا أحياناً يأخذون من الإسرائيليات ممن أسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ووهب بن منبه وكعب الأحرار وليس من كفارهم، ثم إنهم يتحرون ويتأكدون أن هذه الأخبار صحيحة وموجودة في التوراة والإنجيل قبل التحريف، وأكثر ما يروي الصحابة من الإسرائيليات هي قصص الأنبياء وزهدهم وورعهم وآدابهم وأخبار الأقوام السابقين، فهي لا تخص أمور العبادات والعقائد، ولم يأخذوا منها ما صادم شريعتنا ولم يتوسعوا فيها، وهم حريصون على صحة ما يروون غاية الحرص، فكانت حكايتهم عن بني إسرائيل لا تقدح في عدالتهم، أما إذا كان قول الصحابي فيه مجال للرأي والاجتهاد فهو حجة بشروط وهي: -

- ألا يخالف نصاً شرعياً، فإذا خالفه يقدم النص ولا يعمل بقول الصحابي، وهم لا يتعمدون المخالفة ولكن ربما أن الصحابي لم يسمع بالحديث أو لم يفهمه جيداً، مثال ذلك: ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه إذا كان في حج أو عمرة قبض على لحيته وقص ما زاد عن القبضة، فهذا مخالف لقول الرسول: (أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى) [البخاري 5893 ومسلم 259 واللفظ له]، فلا نعمل بعمل ابن عمر ونعتذر له فهو قد تأوّل «فهم

خطأ» قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ الحج [29]، أو أن الصحابي لم يسمع بالحديث كما حصل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الزنادقة الذين ادّعوا ألوهيته فاستتابهم ولم يتوبوا فأحرقهم بالنار، ولما بلغ ذلك ابن عباس أنكر عليه التعذيب بالنار ولم ينكر عليه القتل، فكان ابن عباس يود لو أنه قتلهم بالسيف لقول الرسول: (أنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار) [سنن أبي داود]، فاختص الله نفسه بالتعذيب بالنار، فالحديث لم يسمع به علي أما ابن عباس فكان يعلمه، وهذا لا ينقص من فضل علي وعلمه ومكانته ولكن تيقن أنه لا أحد يعلم كل حديث عن النبي، ولا يوجد حديث واحد تجهله كل الأمة.

- ألا يخالفه صحابي آخر، ففي هذه الحالة لا يكون قول أحدهم حجة دون الآخر، بل يرجح بين أقوالهم ولا يخرج عنها، مثل قول أبو بكر الصديق رضي الله عنه في أن الإخوة لا يرثون مع وجود الجد إذا كان الأب غائبًا، فهو يرى أن الجد بمثابة الأب فإن وجد الأب حجب الإخوة، وتبعه صحابة كثيرون أيضًا كابن عباس، أما عمر وعلي رضي الله عنهما وصحابة آخرون فإنهم لم يسقطوا الإخوة، فهنا نعمل بأحد القولين، وأما إن اشتهر قول الصحابي ولم يعرف له مخالف من الصحابة فهذا إجماع سكوتي.

**** كيف لا يكون قول الصحابي حجة، والصحابة خير البشر بعد الأنبياء وتلاميذ النبي عليه الصلاة والسلام.**

**** قول الصحابي مقدم على القياس إذا تعارضا.**

سادسًا: شرع من قبلنا [ما أورده شرعنا ولم ينه عنه] سواء أئده شرعنا أم سكت عنه فهو حجة، ولكن لا يعني هذا أن نقرأ كتب التوراة والإنجيل والزيور لأنها أصبحت محرقة؛ ولأن شريعة نبينا محمد نسخت الشرائع التي قبله، ولقد أمر الله نبيه محمدًا أن يقتدي بشرع الأنبياء قبله في قوله: ﴿أُولَئِكَ

الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَّهُمْ أَفْتَدَهُ ﴿٩٠﴾ الأنعام [90] وشرائع الأنبياء متفقة في العقائد مختلفة في بعض الفروع، فالأمر الذي يذكر في شرعنا فنحن ملزمون به، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ ﴿٧٢﴾ يوسف [72]، استدل العلماء على مشروعية الجعالة بقوله: {ولمن جاء به حمل بعير}، والجعالة هي ما يُعطاه الإنسان على أمر يفعله، كأن تقول: من فعل كذا فله كذا من المال، من بيني هذا الحائط له عشرة آلاف ريال، من يجد سيارتي المفقودة له ألف ريال، واستدلوا على مشروعية الضمان بقوله: {وأنا به زعيم} أي كفيل وضامن، وكقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ المائدة [45] وكتبنا عليهم فيها أي في التوراة، وكذلك ما ورد في الحديث المتفق على صحته أن هناك ثلاثة كانوا من إحدى الأمم السابقة، وقصتهم أنهم دخلوا غار فأنحدرت صخرة وسدت فم الغار عليهم فنوسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة، فكان أحدهم بار بوالديه والثاني عفيف من الزنى والفاحشة مع قدرته عليها والثالث كان يؤدّي الأمانات إلى أهلها، فعندما توسلوا إلى الله انفرجت عنهم الصخرة وخرجوا من الغار وهذه الأعمال كلها طيبة، ويحث عليها شرعنا ولا تناقضه وهي بر الوالدين وترك الزنى وأداء الأمانات، أما إذا خالفه شرعنا فهذا لا نقبله ولا نستدل به، كقطع الثوب المتنجنس في شريعة موسى وقرضه بالمقراض فقد جاءت شريعة محمد ﷺ بأمر آخر وهو غسل الثوب من النجاسة، ومثل تجويز قتل النفس عند ارتكاب الذنب العظيم توبة إلى الله كما في الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ

عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ البقرة [54]، أمرهم الله أن يقتل البريء منهم المجرم الذي عبد العجل من قوم موسى، وهذا منسوخ ومُدْغى في شرعنا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿٢٩﴾ النساء [29]، وإنما تكفي التوبة إلى الله من الذنوب وعمل الطاعات، ومن الأمثلة أيضًا سجود إخوة يوسف له فقد أتى شرعنا بنسخه وخلافه وقد كان جائز في شريعة يوسف، مع أن سجودهم ليوسف وكذلك سجود الملائكة لآدم كانا سجود تحية وليس سجود عبادة، لكن قد ثبت في شرعنا أن السجود لغير الله محرم مطلقاً، وكذلك الركوع يجب أن لا يُركع إلا لله وحده، أما لغير الله فهذا شرك، وقد ابتُلينا في هذا الزمن بأناس ينحنون لبعضهم ويعتقدون أن هذا من الاحترام وما هو إلا خلل في عقيدتهم لأن الانحناء هو الركوع.

سابعاً: الاستحسان [العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل خاص من كتاب أو سنة] ولا بد من الجمع بين الأدلة وعدم إهمال أي دليل منها، إلا أن يكون هناك حديث ضعيف أو منسوخ أو دليلين أحدهما عام والآخر خاص أو مطلق ومقيد أو غيرها من الحالات، ومن أمثلة الاستحسان: تضمين الأجير المشترك وهو الذي يكون عمله لعامة الناس وليس لرجل واحد كالغسال والخياط، فيضمن الخياط ما تشقق عنده من ثياب وذلك حفظاً لحقوق الناس، إلا أن يكون الأمر خارج عن إرادته كالحريق مثلاً، مع أنه أمين والأصل أن الأمين لا يضمن إلا إذا فَرَطَ، ولكن بعد أن فسد الناس أفتى كثير من العلماء أنه ضامن حتى لو لم نعلم تفريطه وتقصيره، ومثل تطهير الآبار التي تقع فيها النجاسة بنزح «إخراج» قدر معين من الماء منها حتى يذهب أثر النجاسة من لون وطعم ورائحة، لأنه لا يمكن غسل البئر كما يغسل الإناء والثوب، والقاعدة تقول: «المشقة تجلب التيسير» فالاستحسان يكون بعد

النظر إلى الكتاب والسنة، أما من استحسن على هواه فقد شرّع وهو مخطئ غير مصيب.

ثامناً: سد الذرائع [هو منع المباح لأنه وسيلة إلى الحرام] والذريعة في اللغة: هي الوسيلة التي يتوصل بها إلى الشيء، وعند علماء الأصول هي ما يتوصل به إلى الشيء الممنوع المشتمل على مضرة أو مفسدة، مثل: منع الشرع الحنيف سب الأوثان والأصنام لأن ذلك مفضياً إلى سب المشركين للذات الإلهية مع أن الأصنام تستحق السب وهي باطلة، ومثل منع المرأة من إظهار صوت الخلخال لكيلا تفتن الرجال مع أنه لا يوجد محذور في صوت الذهب، ومثل تحريم بيع السلاح في زمن الفتنة لئلا يؤدي ذلك إلى سفك دماء المسلمين مع أن بيع السلاح جائز، وسد الذرائع يكون بعد النظر إلى الشرع وليس آراء مجردة عنه.

**** المُحرّم تحريم وسائل إذا احتيج إليه وأمن ما يفضي إليه أصبح جائزاً**
تاسعاً: المصالح المرسلة «المطلقة» [هي التي لم يرد في اعتبارها أو إبطالها دليل خاص من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس، لكنها لم تخل عن دليل شرعي عام كلي يدل عليها].

مثل اتخاذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه السجون، ومثل جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه للقرآن الكريم في مصحف واحد وحرق النسخ الأخرى وذلك في عهده وسنّه للأذان الأول في صلاة الجمعة، ومثل قتل الجماعة بالواحد كما أفتى به عمر وعلي، مع أن النبي لم يسبق عمر وعثمان وعلي بهذه الأعمال ولكنهم عملوها بناءً على أحكام الشريعة العامة ولم يتدعوا في الدين ولم يحدثوا فيه شيء جديد، ومن الأمثلة على المصالح المرسلة في زمننا هذا قوانين تنظيم المرور مثل تحديد السرعة واستخدام الإشارة الضوئية لحفظ أرواح وممتلكات الناس، ومثل اتخاذ الميكروفونات في المساجد لرفع صوت الأذان.

عاشراً: العُرف [هو ما استقر من العادات في النفوس وتلقته الطباع السليمة بالقبول وألفته ولم تنكره، وقد تكون أقوال وقد تكون أفعال]، بشرط أن تكون العادة مُطَرِّدَةً «ثابتة دائمة لا تتخلف» والعرف إذا خالف الشرع فهو عرف فاسد مثل بعض المجتمعات التي يكون من عاداتها التعامل بالربا وتبرج النساء، وإذا لم يخالفه فهو عرف صحيح، مثل: تقسيم المهر إلى مقدم ومؤخر، وبعض الأحكام الشرعية لا بد فيها من الرجوع إلى العرف لأن الشرع لم يحددها، بل أطلقها لاختلاف أحوال الناس وظروفهم واختلاف الزمان والمكان، مثل: مسافة السفر المبيحة للجمع والقصر، فبعض العلماء يحددها بعدد الكيلو مترات وبعضهم يرجعها إلى العرف، والراجح أن مرجعها للعرف لعدم تحديد الشرع للمسافة فما عدّه الناس سفر فهو سفر، والسفر عرفاً هو ما كان فيه تعب وشد للرحال وحمل للزاد وتوديع للأهل، ولكن لا بد أن يفارق عمران البلد ليترخّص برخص السفر كقصر الصلاة الرباعية وفطر رمضان، أما بالنسبة لجمع الصلاة فهو أفضل للطاعن، أما من استقر فالأفضل في حقه ألا يجمع ويصلي كل فرض مع الجماعة، وأما عن مدة قصره للصلاة فما دام أنه لم ينوي الإقامة فهو في حكم المسافر وإن طالت المدة ولو بلغ سنين، فيجوز له القصر، بل يُسنُّ له لأن إصابة السنة أفضل من كثرة العمل، وكذلك مثل الحركة الكثيرة التي تبطل الصلاة، نحددها بالعرف، ومثل نجاسة القيح والصدید والقيء إذا كانت في العُرف يسيره يُعفى عنها، ومثل الدم الذي يكون قطرات يسيرة في عرفنا وعاداتنا فهو معفي عنه أيضاً، بشرط ألا يخرج من السبيلين وألا يكون من حيوان نجس «غير مأكول اللحم» أما الدم المسفوح وهو الكثير الجاري، فهذا نجس حتى لو كان من غير السبيلين وحتى لو كان من إنسان أو من حيوان طاهر، وكذلك الموالاة في الوضوء نقدرها حسب العرف، ومن الأمثلة على الأحكام التي تتطلب الرجوع إلى ما تعارف عليه

الناس «الحرز» وهو ما يُحفظ فيه المال عادةً، فهو شرط لقطع يد السارق، أما من أخذ المال من غير حرز فهو آثم ولكن لا تُقطع يده لأن صاحب المال حدث منه إهمال وتضييع لماله، وهذا كمن يجعل سيارته على قيد التشغيل في الشارع أو كمن يضع النقود على طاولة المطعم سواءً كان نسيان أو تهاون، والذي يسرق السيارة من حرز وهي داخل البيت بعد أن يكسر الباب فهذا تقطع يده إذا تحققت فيه شروط القطع الأخرى، ومثله من يسرق النقود التي في داخل البيت أو في المحلات التجارية وهي محفوظة في درج النقود ومقفلة جيداً.

فإذا: كل ما ذُكر في الشرع ولم يُحدّد فيحدده العرف، والقاعدة تقول «العادة مُحَكِّمَةٌ» أي أننا نجعلها حكماً شرعياً.

الحادية عشر: الاستصحاب [الحكم بثبوت أمر في الحاضر بناءً على ثبوته في الماضي حتى يرد دليل على تغييره] يعني أن يُستصحب الأصل عند عدم الدليل الشرعي، ومن أمثلته: إذا لم يجد المجتهد دليلاً على وجوب صوم رجب فيقول: لا يجب لاستصحاب الأصل، وإذا لم يجد دليلاً على وجوب صلاة زائدة على الخمس فإن الأصل عدمه.

القرآن الكريم: -

القرآن لغةً: الجمع، وسُمي قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمها، واصطلاحاً: كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته المُعجز في لفظه وفي معناه وفي أثره، فأما اللفظ: فمن حيث البلاغة والبيان والجزالة والنظم والتركيب، وأما المعنى: فمن حيث الأحكام والتشريعات والدلالات والإخبار عن المغيبات، وأما الأثر: فمن حيث الهداية وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، وقد تحدى الله البشر أن يأتوا بسورة مثله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة [23]، ويحتوي القرآن على 114 سورة تُصنّف إلى مكية ومدنية وفقاً لزمان نزول الوحي، فالقرآن المكي هو ما نزل قبل الهجرة، والقرآن المدني هو ما نزل بعد الهجرة، وأفضل سُورهِ الفاتحة وأفضل آياته الكرسي، ومعنى السورة: القطعة من القرآن، وأما الآية فمعناها: علامة للفصل بين ما قبلها وما بعدها، وجميع آيات القرآن فيها رحمة وهدى وشفاء للثقلين وتنوع الآيات فمنها آيات أحكام تبين الحلال والحرام، وبعضها آيات فيها أخبار عن الأنبياء وقصصهم مع أقوامهم وتحكي كيف نجّى الله المؤمنين وأخزى الكافرين، وهناك آيات فيها إثبات أسماء الله وصفاته وآيات فيها إثبات اليوم الآخر وأحداثه وبعضها فيه وعد ووعد وترغيب وترهيب وبعضها فيه أمثال ضربها الله للعقلاء من أجل الاقتداء بالقُدوات والاعتبار بالهالكين، ومنها ما يذكرنا بآيات الله الكونية وهي مخلوقاته العظيمة كالسماوات والأرض والجبال والبحار التي تدل على وحدانية الله وقدرته، لأن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق الذي أوجده، كما يوجد آيات أخرى تذكرنا بنعم الله علينا التي توجب شكره.

❖❖ فضل القرآن: _

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾
الحشر [21]

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه) [البخاري].
(الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) [مسلم]، الماهر: المتقن للقرآن.
السفرة: الكتبة، وهم الملائكة الذين يكتبون القرآن من اللوح المحفوظ.
الكرام: مُكْرَّمين من الذنوب والأحداث.
البررة: المطيعون لله.
يعني أن الماهر بالقرآن تكون منزلته مع هذه الطائفة من الملائكة.
أجران: أجر التلاوة وأجر التعب.
(إن الله أهلين من الناس، قالوا يا رسول الله: من هم؟ قال: هم أهل القرآن أهل الله وخاصته) [النسائي وابن ماجه والحاكم]، مثلما أن أهل الرجل هم أخص الناس لديه.
(يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) [الترمذي وأبو داود].
صاحب القرآن: الملازم له قراءة أو حفظاً، ولا يشترط الحفظ ولكن لا بد أن يكون عاملاً بما فيه من أحكام ومصدقاً بما فيه من أخبار.
ارتق: في درجات الجنة.
رتل: اقرأ بتمهل وتأني ولا تستعجل.

منزلك عند آخر آية تقرأها: لأن عدد آيات القرآن مساوي لعدد درجات الجنة، ومن أتم القرآن كله فهذا يكون في أعلى درجة في الجنة، وعدد آيات القرآن ستة آلاف آية بالإجماع ثم اختلف فيما زاد على ذلك.
(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن (ألف) حرف و(لام) حرف و(ميم) حرف) [الترمذي].

❖ نزول القرآن على سبعة أحرف: _

قال الرسول: (أقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى على سبعة أحرف) [البخاري ومسلم].

سبعة أحرف أي سبع لهجات ولغات لقبائل العرب، مثل لهجة قريش وهذيل وحمير وهوازن وتميم وغيرهم، وذلك تسهيل لهم لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام وفيهم الكبير الطاعن في السن الذي تشق عليه القراءة بلهجة غيره لأنه قد تعود على لهجة قبيلته لسنوات، ومن الحكمة في تنوع الأحرف تأليف قلوب الناس للقرآن ليقبلوا عليه بخلاف حال الناس اليوم فقد ولدنا والحمد لله على الإسلام ومعرفة القرآن، والاختلاف بين هذه الأحرف للتنوع وليس للتضاد كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: (هو بمنزلة قول أحدكم: هلم - أقبل - تعال) فكان اختلاف الأحرف لفظياً والمعنى واحد، وكذلك اختلاف القراءات: (الصراط - السراط - الزراط «إشمام الصاد بالزاي وليست بالزاي الخالصة»، ومعنى الإشمام هو خلط صوت الصاد بصوت الزاي) [سورة الفاتحة: 6].

فإن المعنى في القراءات الثلاث واحد وهو «الطريق»، وأحياناً يكون تغير في المعنى من غير تعارض وذلك ليزيد في البيان ومثال ذلك: _

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير 24]، قرئت بالطاء وبالضاد والمراد بالقراءتين هو النبي، وذلك أنه إن غير ظنين على الغيب الوحي أي

غير متهم بزيادة أو نقص فيما أخبر به عن الله تعالى، وغير ضنين أي غير بخيل بتعليم ما علمه الله.

❖❖ قال الإمام ابن تيمية: (القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علمًا وعملاً ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض).

❖❖ جمع عثمان بن عفان للقرآن في مصحف واحد بعد مشاورته للصحابه: _

وذلك بعد اختلاف المسلمين حتى إن بعضهم كفر بعض فجمعه وكتبه خاليًا من النقط والتشكيل ليستوعب جميع القراءات، وجمعه على حرف واحد وهو الحرف الذي أقرأه جبريل النبي قبل وفاته يعني إنه آخر عرضة للقرآن، لأن جبريل كان يعرض القرآن على النبي كل سنة مرة وفي العام الذي توفي فيه النبي عرضه عليه مرتين، والعرضة الأخيرة مهمة لأن فيها النسخ والمنسوخ، فالقرآن فيه نسخ سواءً للتلاوة أو الحكم أو كلاهما، فمثلاً آية الرجم التي نسخ لفظها وبقي حكمها كانت في سورة الأحزاب كما عند ابن حبان في صحيحه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: (كانت سورة الأحزاب تعادل سورة البقرة فكان فيها: {الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة})، يعني الثيب والثيبة، وحكمها باقٍ غير منسوخ كما ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: ما أجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة من فرائض الله، ألا وإن الرجم حق، إذا أحصن الرجل وقامت البينة، أو كان حمل، أو اعتراف، وقد قرأتها: {الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة}) رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده) [رواه ابن ماجه]، والنسخ في القرآن على ثلاثة أنواع:

1- نسخ تلاوة وحكم، كنسخ العشر رضعات التي كانت تحرم المرضعة على رضيعها، فنسخ لفظها وحكمها.

2- نسخ التلاوة دون الحكم، كنسخ آية رجم الزاني والزانية التي ذكرناها، ونسخ الخمس رضعات، ونسخ سورتي الحفد والخلع التي ذكرهما السيوطي في كتابه الدر المنثور، وسورة الحفد هي: (اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق).

نَحْفِدُ: نسارع إلى طاعتك.

نرجو رحمتك ونخشى عذابك: فلا بد أن يكون المسلم بين الخوف والرجاء وإذا مال إلى أحدهما هلك، لأن أركان العبادة ثلاثة: المحبة والرجاء والخوف، فمن عبد الله بالرجاء فقط فهذا مرجئ لا يخاف الله ويأمن عقوبته ومكره ويجترئ على معصيته، ومن عبد الله بالخوف فقط فهذا خارجي لا يرجو الله ويصيبه بأس من رحمته، ومن عبد الله بالمحبة فقط فهذا صوفي لا يرجو رحمة الله ولا يخاف عقابه، ومن لم يحب الله فهذا كافر، وأما من عبد الله بالمحبة والرجاء والخوف فهذا هو المؤمن، لأن في الرجاء حسن ظن بالله ومعنى الرجاء الطمع فيما عنده من الثواب، وفي الخوف من الله تعظيم له وفي محبته شعور بحلاوة الإيمان وأنس بعبادته، ولا يوجد تعارض بين أركان العبادة.

الجد: الحق.

مُلْحِق: لاحق بهم.

وكذلك نسخت سورة الخلع: (اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير كله ونشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك).

نثني: نمدح الله ونذكر ماله من صفات الكمال

نخلع: نترك.

يفجرك: يعصيك.

وسورتي الخلع والحفد من ضمن أدعية القنوت، فدعو بهما من غير أن نكتبهما في المصاحف، ولا نقول إن تلاوة كل حرف منهما بحسنة كتلاوة القرآن ولا نتعبد بهما ولا نقرأ بهما في الصلاة سوى في القنوت.

3- نسخ الحكم دون التلاوة، كنسخ هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمُ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة 12]، فقد نسختها الآية التي بعدها ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمُ صَدَقَةٌ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة 13]، ونسخ حكمها مع بقاء تلاوتها لبيان نعمة الله على المسلمين، ففي أول الأمر كان واجب على من أراد مناجاة النبي من الصحابة أن يتصدق من ماله ثم عندما خاف بعضهم من الفقر بسبب الإنفاق وبخلوا رحمهم الله ونسخ الحكم، وهذا مثل نسخ حكم وجوب قيام الليل، فاستمر وجوبه على النبي وصار مستحباً على أمته من أجل التيسير والتخفيف وهي في آخر سورة المزمل، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل 20] فهي ناسخة لقوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل 2] أو أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل 4-2].

ونعود ونستكمل قصة جمع عثمان بن عفان للقرآن، فقد استعان عثمان بزيد بن ثابت رضي الله عنهما لأنه على علم بالعرضة الأخيرة واثنين غيره من الصحابة، وقال لهم إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بحرف قريش ولم يختلفوا إلا

في «التابوت»، فرفعوه إلى عثمان فأمر أن يكتب بلغة قريش لأن أكثره نزل بلغتهم، والقراءات الموجودة اليوم كلها متواترة وكلها وحي من الله، فإن القراء الذين تواترت قراءاتهم عشرة وأما غيرها فهو شاذ، والحرف الذي أقرأه جبريل النبي في العرضة الأخيرة كان حرفاً واحداً متنوعة كلماته من جميع الأحرف بمعنى أنك إذا قرأت القرآن اليوم تجد بعض الكلمات من لهجة قريش وبعضها من لهجة تميم وبعضها من لهجة هذيل كما ذكر ذلك السلف الصالح في تفاسير القرآن، ولا يعني ذلك أن نفس الكلمة تُقرأ بعدة لهجات، فالكلمات التي في مصحف حفص وحمزة وابن كثير وورش وقالون وغيرهم هي نفسها باستثناء أحياناً كلمة «من» أو كلمة «هو» فهذا يسير ولا يعد اختلاف.

**** لو قال قائل من أين أتت القراءات العشر مع أن الأحرف سبعة؟**

نقول: القراءات ليست هي الأحرف وإنما هي جزء من الأحرف، فاختلاف الأحرف عن بعضها في الكلمات، أما القراءات كلماتها واحدة واختلافها يسير، ومع مرور الزمن نتج عن السبع قراءات عشر قراءات، فمثلاً: بعض القبائل عندها إمالة وهمزات وقبيلة أخرى لا تُمِيل ولا تَهْمِز فهذه قراءتين، لكن يأتي بعدهم من القراء من يُمِيل ولا يَهْمِز والآخر يَهْمِز ولا يُمِيل فهذه أربع قراءات، وقل مثل هذا في غير الإمالة والهمز، فأصبح عندنا خليط قراءات ولم يأتوا بقرآن جديد من عندهم لأن الله أخبرنا أنه حفظه في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر 9] وقبل ذلك كانت سبع قراءات لأن كل حرف له قراءة واحدة، أما الأحرف فهي لم تزد عن سبعة ولكن الله أثبت لنا هذا الحرف الذي أقرأه جبريل للنبي في العرضة الأخيرة، وهو الموجود اليوم في مصاحف المسلمين ونسخ بقية الأحرف لانتفاء الحكمة منها، وذلك بعدما تعلم المسلمون القرآن ولكي تسهل تلاوة القرآن وحفظه وتفسيره وتدبره إلى قيام الساعة.

❖ ❖ أوجه اختلاف القراءات: _

أولاً: الأسماء [الإفراد والثنائية والجمع - التذكير والتأنيث] مثل قوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ﴾ البقرة [184]، قُرئ بالإفراد (مسكين) وقُرئ (مساكين) بالجمع.

ثانياً: تصريف الأفعال [ماضي ومضارع وأمر] مثل: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ البقرة [184] قُرئ هكذا (تطوع) على أنه فعل ماضي وقُرئ (يطوَّع) على أنه فعل مضارع، ونحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [4] قُرئ (قال) على أنه فعل ماضي، وقُرئ (قل) على أنه فعل أمر.

ثالثاً: الإعراب، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ البقرة [119] قُرئ بضم التاء ورفع اللام على أن (لا) نافية وقُرئ بفتح التاء وجزم اللام هكذا (تسأل) على أن (لا) ناهية.

رابعاً: زيادة أو نقص حرف ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ آل عمران [133] ولها قراءتين بإثبات وحذف الواو، سارعوا - وسارعوا. خامساً: الإبدال أي جعل حرف مكان حرف ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ يونس [30]، قُرئت بتاء مفتوحة وباء ساكنة وقُرئت بتاءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة (تتلوا).

سادساً: التقديم أو التأخير ﴿وَقَتْلُوا وَفْتَلُوا﴾ آل عمران [195] قُرئت هكذا بتقديم (وقتلوا) وتأخير (وقاتلوا).

سابعاً: الاختلاف في الهجاء كالفتح والإمالة والإظهار والإدغام والتسهيل والتحقيق والتفخيم والترقيق وهكذا، ويدخل في هذا النوع الكلمات التي اختلفت فيها لغة القبائل نحو: (خطوات) تقرأ بتحريك الطاء بالضم، وتقرأ

بتسكينها، ونحو (بيوت) تقرأ بضم الباء وتقرأ بكسرهما، يُنظر كتاب [الميزان في أحكام تجويد القرآن لمؤلفه فريال زكريا العبد].

**** القراءة بالقراءات العشر مستحبة وليست بواجبة، فيجوز القراءة بواحدة.**

**** لا يلزم أن يوجد في كل كلمة سبعة أوجه من الاختلاف في القراءات، فعدد الكلمات التي قرئت على وجهين وثلاثة وجوه كثيرة، والتي قرئت على أربعة وخمسة وستة وجوه قليلة، وليس في القرآن الكريم أي كلمة قرئت على سبعة وجوه.**

**** ترتيب السور والآيات توقيفي وليس اجتهد من الصحابة، فعثمان والصحابة لم يرتبوها من رأيهم بل رتبها لهم الرسول عليه الصلاة والسلام، وأسماء السور أيضًا توقيفية، قال الإمام بن جرير الطبري رحمه الله (لسور القرآن أسماء سمّاها بها رسول الله ﷺ) (جامع البيان) 1/ 100 اهـ، وبعض السور لها اسمين أو ثلاثة أو أكثر، وهذه أمثلة على تعدد الأسماء للسورة الواحدة {سورة البقرة تُسمى سنام القرآن وسورة التوبة تُسمى الفاضحة وسورة الإنسان تُسمى سورة الدهر وسورة الإسراء تُسمى سورة بني إسرائيل وسورة ص تُسمى سورة داود وسورة طه تُسمى سورة موسى وسورة الحشر تُسمى سورة بنو النضير وسورة فاطر تُسمى سورة الملائكة}.**

❖❖ أسماء القراء العشرة وأشهر روااتهم: _

1- نافع: أبو رؤيم قارئ المدينة من تابعي التابعين توفي في المدينة 196هـ.

- راويه:

قالون: عيسى بن مينا المدني.

ورش: عثمان بن سعيد المصري.

2- ابن كثير: عبد الله بن كثير قارئ مكة تابعي توفي بمكة 120هـ.

- راويه:

البيزي: أحمد بن محمد بن بزة المكي.

قنبل: محمد بن عبد الرحمن المكي.

3- أبو عمرو: زيان بن العلاء البصري توفي بالكوفة 154هـ.

- راويه:

الدوري: حفص بن عمر.

السوسي: صالح بن زيان

4- ابن عامر: عبد الله بن عامر تابعي دمشقي توفي بها 118هـ.

- راويه:

هشام: بن عمار الدمشقي

ابن ذكوان: عبد الله بن أحمد القرشي

5- عاصم بن أبي النجود: تابعي قارئ الكوفة وبها توفي 128هـ.

- راويه:

شعبة: أبو بكر بن عياش الكوفي

حفص بن سليمان البزاز الكوفي

6- حمزة بن حبيب الزيات من قراء الكوفة توفي 156هـ.

- راويه:

خلف بن هشام البزار.

خلاد بن خالد الصيرفي.

7- الكسائي: علي بن حمزة النحوي من قراء الكوفة توفي 189هـ.

- راويه:

أبو الحارث الليث بن خلد.

حفص الدوري «الراوي عن أبي عمرو».

8- أبو جعفر يزيد بن القعقاع: تابعي مدني وبها توفي 128 هـ.

- راويه:

ابن وردان عيسى بن وردان المدني.

ابن جمار سليمان بن جمار.

9- يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري توفي بها 205 هـ.

- راويه:

رويس محمد بن المتوكل اللؤلؤي.

روح بن عبد المؤمن البصري.

10- خلف بن هشام البزار البغدادي بها توفي 229 هـ.

- راويه:

إسحاق بن إبراهيم الوراق.

إدريس بن عبد الكريم الحداد.

❖ ❖ شروط القراءة المتواترة: _

1- أن تكون موافقة للعربية ولو بوجه.

2- أن تكون موافقة للمصحف العثماني ولو احتمالاً، لأن بعض القراءات الشاذة كانت قرآنًا يتلى في العهد النبوي، ثم نسخت بالعرضة الأخيرة، فحتى لو ثبتت القراءة عن الصحابي بسند متواتر فلا يُشترط أن تكون باقية، فقد تكون الآية بلغته فقرأها وحفظها ولا يعلم أنها نُسخت في العرضة الأخيرة وهو ما

يزال يقرأ بها، ثم بعد ذلك بزمن يخبره الصحابة بنسخها، فما نُسخَت تلاوته من القرآن لم يكتبه الصحابة في المصحف

3- أن يكون إسنادها متواتر، فلو كان السند صحيحًا، ولكنه لا يصل إلى حد التواتر فهي شاذة، فإذا: التواتر شرط في القرآن، أما الحديث فإذا كان سنده صحيح فهو مقبول حتى الأحاد منه، فلا بد من توفر هذه الشروط الثلاثة وإن اختلف ولو شرط واحد منها كانت القراءة شاذة، فلا يُقرأ بها في الصلاة ولا خارجها ولا يُتعبّد بتلاوتها، ولكن نفسر القرآن بها ونعمل بها في الأحكام الشرعية إذا صح سندها ولم يُنسخ حكمها، وهذه أمثلة على القراءات الشاذة: - قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ المائدة [38] في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه (أيماهما) بدل (أيديهما).

كما قرأ هذه الآية ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ المائدة [89] بزيادة (متتابعات). وكقراءة ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ الكهف [79] حيث قرأها (وكان أمامهم ملك). ❖ ❖ الحروف المقطعة في القرآن: -

هي حروف تتكون منها أسماء الله وصفاته، ذكرها الله بدل الكلمات لأن كل حرف يدل على أسماء وصفات كثيرة، بخلاف الكلمة فإنها تدل على اسم واحد أو صفة واحدة، وهذه الحروف دائماً تكون في أوائل السور لأهميتها وهي على النحو التالي: -

ص: الصمد والمصور وصدق الله

الر: حرف الألف الأحد، وحرف اللام الله واللطيف، وحرف الراء الرحمن والرحيم والرزاق، أو يكون معناها (أنا الله أرى).

طس - طسم: حرف الطاء من ذي الطَّوْل يعني صاحب الفضل والنعم على الخلق وكذلك الطاء من الطَّيِّب، والسين من القدوس والسميع والسُّبُّوح، والميم من الرحمن والمجيد والمجيب وغيره، المهم أن كل حرف يدل على أسماء وصفات كثيرة.

كهيعص: حرف الكاف من الكبير والكريم، والهاء من الله والهادي والمهيمن، الياء من الرحيم والبصير، وحرف العين العليم والعظيم والعفو، والصاد من الصمد.

الم: الألف الله، واللام اللطيف، والميم المقتدر والمجيد، أو معناها (أنا الله أعلم).

ق: القوي والقادر والقدير والقاهر والقريب.

حم: الحاء حكيم وحليم وحميد، والميم ملك ومجيد ومقتدر ونحو ذلك.
حم عسق: حلمه - مغفرته - علمه - سمعه - قوته.

ن: من النصير أو آخر حروف الرحمن.

وبعض السلف يقولون إننا نستخرج اسم الرحمن من {الر - حم - ن} فيكون مأخوذ من ثلاث سور، إذا: الحروف المقطعة في القرآن هي من أسماء الله وصفاته باستثناء كلمتين وهي (طه) ومعناها يا رجل و(يس) ومعناها يا إنسان، والمقصود في هاتين السورتين هو نبينا محمد عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

❖ ❖ القرآن نزل بلغة العرب: _

لكن هناك كلمات أخذها العجم من العرب فيظن ظان أنها أعجمية، وأحياناً هناك ترجمة لكلام غير العرب مثل بنو إسرائيل لغتهم عبرية ومثل فرعون لغته قبطية وبعد الترجمة يصبح كلام عربي، لقوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ

الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ الشعراء [193-195]؛ لأن البعض قد يتساءل ويقول كيف تكلم فرعون وموسى وعيسى بالعربية؟ كما أنه لا يوجد كلام لغير الله، كحكاية القرآن عن قول الأنبياء أو الملائكة أو الإنس أو الجن أو قول الكفار أو قول فرعون، فهو من كلام الله ولكنه سبحانه يذكر ويروي ما صدر منهم، فإذا كان من كلام العرب المعاصرين للنبي فهذا نقل لكلامهم، وإذا كان من كلام العجم كالأقباط أو بني إسرائيل فهذا نقل وترجمة لكلامهم، فجميع القرآن كلام الله بكل حرف فيه، تكلم الله به وسمعه جبريل وأنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم أنزل على نبينا محمد في ثلاثة وعشرين سنة، وكان نزوله مُفَرَّقَ لِحَكَمٍ كثيرة «لثبثت فؤاد النبي عند الكُرْبَات ولكي يرد الله على أسئلة الكفار، ولينزل حسب المواقف والأحداث» وقبل ذلك قد كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض، فهو كلام الله مُنَزَّلٌ غير مخلوق تكلم الله به حقيقة بحرف وصوت، وكلامه لا يشبه كلام المخلوقين، فما دام إنه عربي فلا يجوز قراءته ولا كتابته بغير العربية باستثناء تفسيره باللغات الأخرى، فإذا كان لا يجوز كتابة القرآن الكريم بغير الرسم العثماني، فمن باب أولى عدم جواز كتابته بغير اللغة العربية.

س / إذا نقل لنا القرآن قول أحد فكيف نعرف هل هذا القول محمود أم مذموم؟

الجواب: نعرف هذا من خلال تتبع السياق ومعرفة من هو قائل هذا القول، فإذا صدر من الأنبياء أو الصالحين فهذا محمود وفيه أمر بالاعتداء بهم مثل نقل الله عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي

يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ غافر [28]، وهو قدوة لأنه آمن بالله وبموسى، ومثل نقله عن حبيب النجار مؤمن آل ياسين بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَلْقَومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ يس [20]، ومثل حكاية القرآن عن النبي يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ يوسف [33]، واضح أن هذا القول طيب ومحمود، ومثل أقوال الملائكة عليهم السلام فهي طيبة لأنهم معصومون من المعاصي قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ الزمر [71]، وكحكايته عن قصة مسلمي الجن: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدَىٰ إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ الجن [3-1]، وهؤلاء الجن ءامنوا بعدما استمعوا للنبي وهو يقرأ القرآن في وادي نخلة بمكة، مما يدل على أن كلامهم هذا يرضي الله، أما إذا كان من كلام المشركين فلا شك أنه ذم لهم وفيه نهي عن الاقتداء بهم ومثال ذلك قوله تعالى عن فرعون: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَلْقَومُ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ الزخرف [51]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمُنْ عَلَى الظِّلِّينِ فَاَجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ القصص [38]، وهذه الأقوال مذمومة لأن فرعون ادّعى الربوبية والألوهية وكفر بالله وكذب برسوله موسى،

ومثل قول الكفار: ﴿وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٣﴾

الإسراء [90-93]، وهذا من كلام المشركين المعاصرين للنبي، وأقولهم هذه باطلة، لكفرهم بالله وبرسوله، فقد اشترطوا لإيمانهم أن يتأكدوا أولاً من صدق النبي، وأن يفعل من أجلهم معجزات عديدة مثل تفجير الينابيع وإقامة الجنات وإسقاط السماء وأن يأتي بالله والملائكة يشهدون أن محمداً نبي ورسول من الله، وهذا من طغيانهم، لأن نزول القرآن معجزة عظيمة وحجة دامغة، وانشقاق القمر آية تشهد على أن الرسول مرسل من ربه، فالحاصل أننا ننظر للسياق ومن هو الذي تكلم بهذا الكلام لنعلم هل هو صائب أم لا.

❖ ❖ كيفية تفسير القرآن: _

قال عالم الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: التفسير على أربعة أوجه:

- 1 - تفسير تعرفه العرب من كلامها [مثل كلمة السماء والأرض والجبال والكهف والبحر وغيرها من الكلمات العربية].
- 2 - تفسير لا يعذر أحد بجهالته [يعني كل مسلم يجب أن يعرفه وهو ما يجب اعتقاده أو العمل به، مثل: الصلاة والصوم والإيمان بتوحيد الله والإيمان بالرسول وتصديق البعث والنشور، لأنه فرض عين].
- 3 - تفسير يعرفه العلماء [مثل الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والعام والخاص، لأن هذا فرض كفاية وليس فرض عين].

4 - تفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره [مثل العلم بحقائق صفات الله وكيفيتها، ومثل العلم بكيفية الجنة والنار وتفاصيل اليوم الآخر باستثناء ما وضحه الرسول، ومثل معرفة موعد قيام الساعة].

ما بين الأقواس شرح لكلام ابن عباس.

❖ ❖ أخطاء يقع فيها بعض الناس عند تفسير القرآن: _

- اعتقاد أن اختلاف السلف في تفسير القرآن كله متضاد «ما لا يمكن اجتماع الأقوال فيه»، والصحيح أن اختلاف التنوع «ما أمكن اجتماع الأقوال فيه» أكثر بكثير من المتضاد عند الصحابة والسلف، فإذا قرأ المبتدئ في العلم أقوال السلف أبطل بعضها وهذا لا يجوز، واختلاف التنوع يفيدنا في زيادة التوضيح لمعنى الآيات، وهو مثل قول الله (وقضى ربك) قيل في معناها عدة أقوال [حَكَمَ - وَصَّى - أَوْجَبَ - أَمَرَ] ومثل قول الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [٣٨] ق [38]، فسر السلف معنى اللغوب [النَّصَب - الإعياء - العناء] وهي متقاربة جدًا كما تلاحظ، وأما اختلاف التضاد فمثل قوله عز وجل: ﴿لَا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ البقرة [237]، وهناك اختلاف هل الذي بيده عقدة النكاح الزوج أم ولي المرأة؟

- الاستدلال بالآيات القرآنية لغير ما أنزلت فيه: _

مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُحُوتٌ عَظِيمٌ﴾ [٣٥] فصلت [35].

بعضهم يضع هذه الآية في كرت دعوة للزواج يقصد بها زوجته ولكن المقصود في الآية أنه لا يوفق لمحاسن الأخلاق من الحلم والصبر والعفو إلا من أراد الله له الحظ العظيم.

ومثل هذه الآية: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۖ﴾ [الغاشية 8].

تجدها أحياناً مكتوبة في صوالين الحلاقة، والآية تشير إلى أن وجوه أهل الجنة ناعمة يعني في نعمة.

وبعضهم إذا سئل عن شيء قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ المائدة [101]، والنهي عن السؤال كان وقت نزول الوحي الذي يمكن أن تزيد الأحكام فيه أو تتغير، أما بعد أن توفي الرسول فالواجب أن يسأل المسلم عن كل ما يحتاجه في أمور دينه، وسبب نزول الآية أن رجلاً سأل النبي هل الحج كل عام فقال الرسول: لو قلت نعم لفرضت عليكم، والرسول لا يريد المشقة للمسلمين، ومثل الرجل الذي يهدد خصومه ويقول: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية 25]، [26]، والمقصود من الآية هو حساب الناس يوم القيامة، وأحدهم كتب على بيت يتم تجديد بنائه هذه الآية: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الحشر [2]، وهذا الفعل عبث بالقرآن الكريم واستهزاء، لأن المعنى في الآية هم يهود بنو النضير، ومن المفاهيم الخاطئة للآيات اعتقاد أن هذه الآية تحث على التعلق بالدنيا وملذاتها: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ القصص [77]، والسلف الصالح أعلم من غيرهم يقيناً، كانوا يفسرونها أن النصيب من الدنيا هو طاعة الله لأنه هو الذي سيبقى للإنسان فقط، وقريب منه من يستشهد بهذه الآية: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف 46]، وهي ليست مدح للمال والبنون بل هي ذم لأموال الدنيا وأن الفضل في تقوى الله وخشيته، فالمال والبنون لا تقرب من الله ما لم يتصدق المؤمن بماله ويربي أولاده على طاعة الله، لأن السياق الذي قيلت فيه هو سياق ذم، ودلالة السياق من أقوى الدلالات، وكذلك الاستشهاد الخاطئ من البعض بهذه الآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [٦] .

الكافرون [6]، معناها البراءة من الكفار ومن عملهم ولا تعني حرية الأديان، فكل إنسان مأمور أن يدخل في دين الإسلام ويترك سائر الأديان الأخرى، كما أن الآية لا تعني أبطال الجهاد إذا توفرت شروطه، ومن المشهور على السنة الناس قول هذه الآية عند موت شخص يكرهونه حتى لو كان مسلماً: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿١٩﴾ الدخان [29]، والمسلم إذا مات بكى عليه مكان عبادته وذكره الله ومُصَلَّاه من الأرض، وهذا يشمل جميع بقاع الأرض التي عبد الله فيها ويبكي عليه كذلك مكان مصعد عمله وهو باب في السماء، وهذا بكاء حزن وفقد بعد توقف عمله وعبادته، ويستمر البكاء أربعين يوماً، أما الكافر فلم يقدم أعمالاً صالحة فلا تبكي عليه السماء والأرض، فالآية خاصة بمن يموت على الكفر.

- تحريف الآيات القرآنية بأنواعه: -

1 - تحريف لفظي: وهو كفر بالإجماع، ومثاله قوله تعالى عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ الشورى [11]، أراد بعض المعطلة نفي صفة السمع والبصر عن الله بتحريف هذه الآية، وقال: (ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم) وهذه جُرْأَةٌ على الله والعياذ بالله، وكذلك قوله سبحانه: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ ﴿المعارج [1، 2]، وهي عند الرافضة هكذا (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين بولاية علي ليس له دافع) وهذا من كفرهم وضلالهم.

2 - تحريف معنوي: ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٠﴾ الفتح [10]، قال الأشاعرة أن يد الله هي نعمته أو قدرته، وهذا خطأ، لأن اليد في اللغة معلومة والسلف لم يحرفوها كما علمتم، ومثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

أَسْتَوَى ﴿٥﴾ طه [5] تحريف معنى الاستواء إلى الاستيلاء خطأ، ومعناها الصحيح علا على العرش، ومثل قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة [191]، تحريف معنى الفتنة إلى النيمة غلط، لأن المراد بالفتنة في الآية الشرك بالله، والقتل أشد من النيمة بكثير، مثل الآية: ﴿لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ البقرة [251]، هذه الآية أحياناً تقال إذا مات أحد من الناس ومرادهم أن كثرة الناس تفسد المعيشة في الأرض، والمعنى الصحيح أنه لولا الجهاد لفسدت الأرض بانتصار الكفر على الإسلام.

- اقتطاع الآيات: -

يجوز أن نقطع الآية إذا أردنا أن نستشهد بجزء منها بشرط ألا نُخِلَّ بالمعنى، أما إذا كان هناك إخلال بالمعنى فلا يجوز، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ محمد [19]، اقتطاعها هكذا (فاعلم أنه لا إله لا يجوز لأن هذا فيه نفي وجود أي إله وهو كفر وإلحاد.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾

المائدة [17]

اقتطاعها وقول (إن الله هو المسيح ابن مريم) هذا كفر صريح.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ

وَاحِدٌ﴾ المائدة [73]

أما قول (إن الله ثالث ثلاثة) فهو شرك بالله.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَا لَكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ

نَجْرِي الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء [29]

من قال (إني إله) فهذا قد جعل نفسه إله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ

اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ البقرة [258]

قول (أنا أحيي وأميت) هذا شرك ربوبية.

وقول (فبهت الذي كفر والله) هذا كفر، وقبيح جداً.

الحديث الشريف: -

إن ما يتميز به الحديث كونه أصلاً عظيماً من أصول الدين، ومصدراً أساسياً للمسلمين، وكونه شارحاً ومبيناً للكتاب الحكيم، على نحو لا يمكن الاستغناء عنه بحال، وأن فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد، وله من الأهمية ما يوازي القرآن، فيجب العمل بسنة النبي ولا فرق بينها وبين القرآن في التشريع لأنها كلها وحي، فمن أنكر حديثاً واحداً صحيحاً أو آية واحدة وهو عالم بذلك فقد كفر، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧﴾ الحشر [7]، وقال الرسول عليه السلام (لا أُلْفِينَ أَحَدَكُمْ مَتَكِّئًا عَلَى أَرِيكْتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) [رواه الترمذي]، في هذا الحديث يحذر النبي من ترك العمل بالسنة والاكتفاء بالقرآن فقط، ولقد اعتنى المسلمون بأحاديث النبي غاية الاعتناء وبيّنوا صحيحها وضعيفها وناسخها ومنسوخها، ووضعوا شروطاً قوية جداً للتأكد من صحة الحديث وهي: -

- 1- عدالة جميع رواته فلا يكون فيهم فاسق ولا مبتدع ولا مبهم ولا مجهول، بل لا بد أن يكون الراوي مسلم بالغ عاقل معروف بالصدق والأمانة وسالم من خوارم المروءة وحصل على تزكية من أهل العلم.
- 2- تمام ضبط رواته لما يروون، فلا يكون الراوي سيئ الحفظ ولا فاحش الغلط ولا مغفلاً ولا كثير الأوهام، والضبط نوعين: ضبط حفظ وضبط كتابة.
- 3- اتصال السند من أوله إلى منتهاه من غير انقطاع، بحيث يكون كل راوٍ قد سمع الحديث ممن فوقه، ولا يقول الراوي: حدثني فلان أنه سمع فلان يقول كذا، بل لا بد أن يسمع التلميذ من شيخه مباشرة.

4- سلامة الحديث من الشذوذ في سنده وامتته، ومعنى الشذوذ: أن يخالف الراوي من هو أرجح منه.

5- سلامة الحديث من العلة في سنده وامتته، والعلة: سبب خفي يقدح في صحة الحديث، يطلع عليه الأئمة المتقنون.

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: (إن الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء) وقال الإمام بن باز رحمه الله: (علم الرجال والنظر في الأحاديث باقٍ ولم يمضِ، بل لا يزال، فأهل الحديث عليهم أن يعتنوا بهذا ويراجعوا الأحاديث ويميزوا بين صحيحها وسقيمها ويرشدوا الناس إلى ذلك، ولا يقفوا عند ذكر فلان أو فلان، بل يتابع، مثل المنتقى، مثل بلوغ المرام، مثل السنن الأربعة، مثل مسند أحمد، يراجع الأسانيد ويعتني بها، ويعرف صحيحها من سقيمها حتى يستفيد من ذلك ويفيد غيره) مجموع الفتاوى والمقالات (25 / 65).

❖ ❖ يقسم الحديث من حيث قائله أو من أسند إليه إلى أربعة أقسام: _

الأول: الحديث القدسي:

هو ما نُقِلَ إلينا عن النبي ﷺ مع إسناده إياه إلى ربه عز وجل، يقول فيه الراوي: قال رسول الله فيما يرويه عن ربه عز وجل.

الثاني: الحديث المرفوع:

هو ما أضيف إلى النبي من قول، أو فعل، أو صفة، أو تقرير، والتقرير معناه هو: عدم إنكار النبي قولاً أو فعلاً قيل أو فعل بين يديه أو في عصره وعلم به، وقد يكون التقرير بالقول أو بالإشارة.

الثالث: الحديث الموقوف:

هو ما أضيف إلى الصحابي من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، ومثاله قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (أحب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغضك يومًا ما وأبغض بغضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما) [رواه البخاري في الأدب المفرد].

الرابع: الحديث المقطوع:

وهو ما أضيف إلى التابعي أو أضيف إلى من أتى بعده من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، ومثاله: قول مسروق بن الأجدع: (كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلًا أن يعجب بعلمه).

**** لا بد من التسليم لأدلة الشرع، لأن بعض الناس ينكر الأحاديث التي يعتقد أنها تعارض العقل وهي لا تعارض العقل ولكن الخلل في فهمه وعقله هو، فالعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، فمن قَدَّم العقل على النقل هلك، كما حصل لابن النبي نوح في قوله سبحانه: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ٤٢﴾ قَالَ سَاوِيَ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ٤٣﴾** هود [42، 43]، فقول ولد نوح: (ساوي إلى جبل يعصمني من الماء) هذا عقل، وقول نوح عليه السلام: (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) هذا وحي، وقول الله: (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) هذه نتيجة من يعتمد على عقله ويهمل الوحي، فالعقل ليس مُشرِّع، لكنه يستخدم لفهم النقل وليس لمعارضته، وهذه أمثلة على ذلك:

- قال النبي ﷺ: (من أصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر) [رواه البخاري ومسلم]، وهذا الحديث أنكره الجهلة فقال بعضهم لو كان صحيح لما أصيب أحدٌ بالسم والسحر لتوفر التمر

وسهولة الحصول عليه، وقال آخر: أنا أتحدى من يأكل العجوة وأعطيه مبلغ مالي كبير مقابل أن يشرب السم، وقال ثالث: لو صح هذا لما سحر اليهود النبي والمدينة لا تخلو من تمر العجوة، والرد عليهم أنه قد وردت أحاديث أخرى تُقَيِّدُ هذا التمر بعجوة المدينة وليس من خارجها، وهذا بسبب طيب تربتها وهوائها ومائها وهو أمر غير مستغرب فقد سماها النبي (طابه - طيبه) وأما وجود العلاج في العجوة وتميزها عن غيرها من التمور فهذا بسبب غرس النبي لها بيده الشريفة ودعوته لربه بأن يبارك فيها، وفي أحاديث أخرى أن هذا يخص عجوة العالية «الجزء الجنوبي من المدينة» قال عليه السلام: (إن في عجوة العالية شفاء أو أنها ترياق أول البكرة) [مسلم]، فلا بد إذاً: أن يكون التمر سبع عجوات من منطقة العالية في المدينة المنورة وتكون على الريق قبل أن يأكل أي شيء في الصباح ويستمر هذا الترياق إلى الليل، فالنبي ربما أنه لم يأكل العجوة في ذلك اليوم أو أنه كان صائماً، وكان من هديه كثرة الصيام، أو كان سحر اليهود له في الليل، وكذلك أكله للشاة المسمومة ربما حدث ليلاً، فالواجب علينا الجمع بين أدلة الشرع لأن كل دليل له دلالات ومعاني ليست في غيره وهذا من كمال شريعتنا.

- حديث الذباب: (إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء) [رواه البخاري].

الذباب: اسم يطلق على كثير من الحشرات المعجنة ومنها الذبابة المنزلية، وسمي ذباب لأنه كلما دُبَّ «أبعد» آب «عاد»، وهذا الحديث ليس فيه ما يوهم معارضة العقل، لأن الذباب الميت لا يفسد الشراب ولا يغير طعمه، والفقهاء يقولون أن الحيوان الذي ليس له نفس «دم» سائله فهو طاهر ولا ينجس لا حياً ولا ميتاً بشرط أن يكون متولداً من طاهر، مثل صراصير البئر فهي طاهرة لأنها لا تأكل العذرة وكذلك الصرصار المتولد من الخشب والدود المتولد من

الجبن والفاكهة، أما المتولدة من النجاسة فهي نجسة وإذا لامست الثوب أو اليد وجب غسلها، وهذه كالصراصير التي تخرج من البالوعة وأماكن الخلاء ومثل الدود الذي يتولد من البراز أو يتولد من الجرح فهو نجس حيًّا وميتًّا إلا إذا شق التحرز والتحفظ منها فيجوز ترك غسل ما وقعت عليه من الملابس، ومتى ما شك المسلم هل هي متولدة من طهارة أم من نجاسة فالأصل هو الطهارة، ومن الأمثلة على الحيوانات التي ليس لها دم يسيل {النمل - النحل - الذباب المنزلي - الصراصير - البعوض - الخنافس - العناكب - الدبابير - البق - البراغيث}، وهذه ومن هو في حكمها إذا جرحت أو قتلت لا يسيل منها دم، ومن أسباب تحريم الميتة انحباس الدم فيها ولهذا تصدر رائحة كريهة من ميتة الغنم والإبل ولا تصدر هذه الرائحة من البعوض والنمل، وهذا هو سبب طهارة ما ليس له دم يسيل، ثم إن النبي لم يوجب شرب الإناء الذي سقط فيه الذباب ولكنه أمر بأن لا يشرب منه قبل أن يغمس الذباب بجناحيه لأن الجناح الذي فيه داء إذا انغمس وحده سيسبب تلوث للماء أو العصير لأنه يحمل الجراثيم والأمراض أما إذا غمست الجناح الآخر معه وهو الذي فيه شفاء فسيعالجه بإذن الله، ولما في ذلك أيضًا من توفير للطعام وبعد عن الإسراف، وهناك فرق بين الطهارة والاستقذار، فمن يستقذر الماء الذي سقط فيه الذباب ويتقزز منه وتعافه نفسه فيجوز له أن لا يشرب من هذا الإناء ولا يأثم بذلك ولكن من غير أن ينتقد حديث النبي أو يكذبه، ألا ترى أنك تستقذر أطعمة هي لذیذة عند غيرك من الناس فلننتبه لهذا، ولقد أثبت الطب الحديث أن في أحد جناحيه داء والآخر دواء وهو اكتشاف متأخر بقرون كثيرة عن كلام النبي المتلقى من الله الخارج من مشكاة النبوة، وإن كنا لا ننتظر تصديق الطب للأحاديث ولكن نرد عليهم بأدلة عقلية ونقيم عليهم الحجة لأنهم كافرون بالنقل.

- حديث العرنين الذي رواه البخاري، وهم الذين أرشدهم النبي إلى شرب

أبوال وألبان الإبل لِدَاءٍ في بطونهم وهو الاستسقاء «انتفاخ البطن بسبب تجمع سوائل كبيرة فيه» فشفاهم الله، وبعد ذهاب سقمهم نعلم أنه يوافق العقل الصريح ولا يخالفه، فلو كان في بول الإبل ضرر لانتبه له أهل الإبل العارفين بها ولكن لا يخفى عليهم أنه ينفع ولا يضر وهذا من خلال تجارب سنين وليست حالات فردية، ومشهور عند الناس أن بول الإبل مفيد لغسل الجروح ليطهرها، وينفع لنمو الشعر، ومرض الجدري، والذي يستبعد طهارة بول الإبل دفعه ذلك أنه استخدم القياس الفاسد وقال: إن بول الإنسان الذي هو خير من الإبل نجس فكيف يكون بول الإبل طاهر؟ وهذا مخطئ لأن القياس لا وجود له في حال كان عندنا نص شرعي، ومراد الزنادقة من ذلك هو الطعن في سنة الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام، وإلا فإن الأحاديث لا تخالف الواقع.

- ليلة الإسراء والمعراج وما حدث فيها من أمور عظيمة لكنها يسيرة على ربنا تبارك وتعالى، فقد أنكرها الكفار وقالوا هذا لم يحدث في أي زمان ومكان آخر، وسنوضحها في قسم الشُّبُه بالتفصيل.

*** لا بد من الرجوع إلى الأحاديث لمعرفة العبادات والعقائد وهدى النبي وأفعاله وغزواته وعدد ركعات الصلوات الخمس ونواقض الوضوء وشروط النكاح وذكر اليوم الآخر والجنة والنار بالتفصيل وكيفية الصوم ومعرفة نصاب الزكاة وغيرها الكثير، لأن هناك أحكام وأخبار لم تُذكر في القرآن أو ذكرت ولم تُفصّل ولا غنى للمسلم عنها، وشروط قبول عمل المسلم هي الإخلاص لله والمتابعة للرسول وإلا بطل العمل، أما من ترك العمل بالسنة فليس بمسلم، وهناك طائفة أحيث من اليهود والنصارى، لا يحتاجون بأحاديث النبي لأنهم كافرون بها ويسمّون أنفسهم قرآنيون لأنهم يؤمنون بالقرآن وحده، ولا شك أنهم كافرون بالقرآن الذي أمرنا الله في محكم آياته باتباع النبي، كما قال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ ﴿٨٠﴾ النساء [80]، وشبهتهم في هذا أن السنة اجتهاد من النبي وليست

بوحى، والذي يثبت أنها وحى أمور كثيرة من أهمها إخبار النبي بقصص الأنبياء وقصص الأمم السابقة، وكذلك إخباره بأمور مستقبلية وقعت بعد وقت طويل وكثير منها وقع بعد وفاته، ومعلوم أن الغيبات لا تدرك بالاجتهاد، ومن هذه الأحداث المستقبلية: _

1- إخباره بانتشار الإسلام بقوله: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكثرين الأحمر والأبيض) [رواه مسلم]، وقوله زوى: أي جمعها لي حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب، والآن الإسلام في كل دولة بعد أن كان في الحجاز فقط، والكثرين الأحمر والأبيض: هما كنز الذهب والفضة والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام، وقد حصل هذا بالفعل بعد وفاة النبي وبعد وفاة أبو بكر في زمن عمر بن الخطاب، وهذا من دلائل صدق نبوته وأن السنة وحى ينزل من الله علام الغيوب سبحانه.

2- أنه أخبر بموت ابنته فاطمة رضي الله عنها (فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارّها فبكت، ثم سارّها فضحكت، فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارك به رسول الله فبكيت ثم سارك فضحكت قالت: سارني فأخبرني بموته فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحكت) [رواه مسلم]، وكانت أول أهله لحاقاً به، فقد توفيت بعد وفاته بستة أشهر فقط.

3- أخبر أن الحسن بن علي رضي الله عنهما سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من أمته، فقال: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) [البخاري]، وقد حصل ذلك بأن تنازل الحسن رضي الله عنه عن الحكم لمعاوية رضي الله عنه وتم الصلح عام 41 للهجرة أي بعد وفاة النبي بثلاثين سنة! فمن الذي علم النبي بهذا؟ أليس الله سبحانه.

4- في حديث جبريل المعروف عندما سأل الرسول ﷺ عن الساعة وقال: (أخبرني عن أمارتها، فقال النبي: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) [مسلم]، وتنافس رعاة الغنم الفقراء في ارتفاع المباني موجود الآن بكثرة، وكذلك عقوق الأمهات.

**** يتساهل بعض الناس في نشر أحاديث موضوعة ومكذوبة وخاصة في الإنترنت وهذا من أعظم الذنوب، فقد ثبت الوعيد الشديد لمن كذب على النبي (إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) [البخاري]، فيجب التأكد قبل نسبة أي شيء إلى النبي هل هو حديث أم لا؟ وهل الحديث صحيح أم لا؟**

أما صحيح البخاري ومسلم فقد تلقت الأمة ما جاء فيهما من الأحاديث بالقبول وأجمعوا على صحة كل ما فيهما وأنهما أصح الكتب بعد القرآن، وأما سائر كتب الحديث فإنها لا تخلو من وجود أحاديث ضعيفة في ثناياها، بعضها نبه عليها صاحب الكتاب، وبعضها بينها غيره من العلماء، ولا فرق بين حديث الآحاد إذا كان صحيحاً وبين الحديث المتواتر في القبول سواءً في العقائد أو في الأحكام أو في الأخبار، والدليل على حُجِّيَّة خبر الآحاد إرسال النبي الآحاد من الصحابة للأمصار يدعونهم ويبينون لهم أحكام الدين، والأمثلة كثيرة على عمل الصحابة في الاحتجاج بأخبار الآحاد، كعمل عمر بن الخطاب بخبر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما في أخذ الجزية من المجوس، وعدم العمل بأخبار الآحاد يلزم منه تعطيل كثير من أحكام الدين.

**** أحاديث النبي صالحة لكل زمان ومكان وليست خاصة بزمانه أو بأهل الحجاز، لأنه آخر الأنبياء ولا نبي بعده، ولأن شريعته لجميع الثقلين.**

❖ الفرق بين القرآن والسنة: _

1- القرآن كله كلام الله، أما السنة فمنها ما هو كلام الله وهي الأحاديث القدسية ومنها ما هو كلام النبي ومنها ما هو من كلام الصحابة يصفون أفعال النبي ﷺ.

2- القرآن هو المعجزة الكبرى التي بُعث بها النبي وتحدى الله بها الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء 88]، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (ما من الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) [متفق عليه]، يعني أن كل نبي أُعطي معجزات «خوارق العادات» تجعل من يشاهدها يصدقها، وأما معجزة نبينا العظمى وليست الوحيدة فهو القرآن الذي لم يُعط أحد مثله، وهو معجز في لفظه وفي معناه وفي أثره، أما السنة فهي معجزة في معناها وأثرها دون لفظها، وقوله: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة، لأن القرآن لم ينته بوفاة النبي بخلاف سائر معجزات الأنبياء فهي لأهل زمانهم فقط وكانت محسوسة شاهدها ولم تستمر، أما القرآن فهو مستمر إلى قيام الساعة.

3- القرآن متعبّد بتلاوته، وقراءة حرف واحد منه بحسنة والحسنة بعشر أمثالها، أما السنة فلا يُتعبّد بتلاوتها، وإنما وردت فيها أجور مخصوصة في الالتزام بقراءة الأذكار، كما أن تعلّم معانيها وأحكامها يدخل في صلب طلب العلم النافع وهو من الأعمال الصالحة التي يُؤجر عليها العبد.

4- القرآن كله منقول بالتواتر، أما السنة فمنها ما هو متواتر ومنها ما هو من أخبار الآحاد.

5- القرآن يُتغنّى بتلاوته، ويُجود، كما أخبر النبي ﷺ بذلك في قوله: (ما

أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجره به) [البخاري ومسلم].

ما أذن الله: ما استمع الله.

يتغنّى: يُحَسِّن تلاوته.

أما السنة فليس مطلوباً فيها التغنّي والتجويد.

6- لا تجوز رواية القرآن بالمعنى، أما السنة فلا بأس بروايتها بالمعنى بشرط ألا يؤدي ذلك إلى تغيير المراد من الحديث أو تحريف معناه، إلا ما جاء في بعض المواطن الخاصة كالأذكار المقصودة بلفظها، ومن ذلك أن البراء بن عازب رضي الله عنهما غير لفظاً في ذكر من الأذكار التي تقال قبل النوم وقال (ورسولك) فصاح له النبي وقال له (لا، ونبئك الذي أرسلت) والحديث عند البخاري.

7- لا تجوز قراءة القرآن في الركوع والسجود، أما السنة فتُشرع أذكارها في مثل هذين الموضعين، لأن القرآن أشرف الكلام إذ هو كلام الله، وحالة الركوع والسجود ذل وانخفاض من العبد، فمن الأدب ألا يقرأ كلام الله في هاتين الحاليتين.

8- لا يجوز للجُنُب قراءة القرآن سواءً لمس المصحف بيده أو حتى لو كان من قلبه، باستثناء الحائض والنفساء فيجوز لهما قراءة القرآن ومس المصحف ولكن من وراء القفازين، لأن مدة الجنابة يسيرة وليست كالحيض والنفساء، ولأن الجُنُب يقدر على الاغتسال في أي وقت، وأما أحاديث النبي فيجوز قراءتها للحائض والجنب والنفساء

❖ أسباب تعدد الروايات للحديث الواحد:

1- تعدد الحادثة: وليس اختلاف الروايات عيباً في الحديث إذا كان المعنى واحداً، لأن النبي ﷺ صحَّ عنه أنه إذا كان يُحدِّث بحديث كرَّره عدة مرات للتأكيد، فينقل كل إنسان بحسب ما سمع.

2- الرواية بالمعنى: وهو أكثر ما يسبب تعدد الروايات للحديث الواحد، فإن المهم في نقل الحديث أداء مضمونه ومحتواه، أما ألفاظه فليست تعبدية كالقرآن، مثاله: حديث (إنما الأعمال بالنيات) فقد روي بلفظ (العمل بالنية) ولفظ (إنما الأعمال بالنية) ولفظ (الأعمال بالنية) وهذا التعدد سببه الرواية بالمعنى، فإن مخرج الحديث واحد، وهو يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة عن عمر رضي الله عنه، والملاحظ أن المعنى الذي يفهم من هذه الجمل واحد، فأبي ضرر في تعدد الروايات حينئذ؟! ولكي يطمئن العلماء أكثر إلى أن الراوي نقل المعنى الصحيح للحديث كانوا لا يقبلون الرواية بالمعنى إلا من عالم باللغة العربية، ثم يقارنون رواية الراوي برواية غيره من الثقات.

3- اختصار الراوي للحديث: أي أن يكون الراوي حافظاً للحديث كله، ولكن يكتفي بذكر جزء منه في حال، ويذكره كاملاً في حال أخرى، مثاله: روايات حديث أبي هريرة في قصة نسيان الرسول ﷺ ركعتين من صلاة الظهر، فكلها جاءت عن أبي هريرة، وهي قصة واحدة، وذلك يدل على أن اختلاف الروايات سببه اختصار بعض الرواة، انظر صحيح البخاري (714) (715) (1229).

الصحابة: -

أهل السنة والجماعة يحبون جميع أصحاب النبي لأن محبتهم من محبة رسول الله ومحبة رسول الله من محبة الله، ويشنون عليهم ويترضون عنهم ويستغفرون لهم وذلك للأسباب التالية:

أولاً: أنهم خير القرون في جميع الأمم بعد الأنبياء، روى البخاري ومسلم أن النبي قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) فلن يصل أحد إلى فضلهم أبداً، حتى الشهيد وحتى حافظ القرآن، لأنهم فازوا بصحبة النبي، وهذا فضل لا يُدرکه غیرهم.

ثانياً: هم الواسطة بين رسول الله وبين أمته فمنهم تلقت الأمة عنه الشريعة، فالمنهج الصحيح للمسلم هو الإيمان بالقرآن والسنة على فهم سلف الأمة
ثالثاً: ما كان على أيديهم من الفتوحات الإسلامية الواسعة العظيمة للكثير من البلاد.

رابعاً: أنهم نشروا الفضائل بين هذه الأمة من الصدق والنصح والأخلاق والآداب، قال تعالى مُثْنِيًا عَلَيْهِمْ وَمَذْكِيهِمْ فِي صَرِيحِ كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُتَحِدِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٠٠﴾ التوبة [100]، أي رضي الله عنهم وعن عملهم ورضوا عن الله وعن ثوابه، وقال كذلك عنهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ١٨﴾ الفتح [18]، وهؤلاء هم أهل بيعة الرضوان في صلح الحديبية وكانوا خير أهل الأرض حينها وعددهم ألف وأربعمئة، وقال أيضاً: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّاءًا

سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ * [الفتح 29]، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام في الصحيحين (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدكم ولا نصيفه).

أحد: جبل بالمدينة المنورة.

المُدَّ: ملء الكفين.

ضاعف الله حسناتهم لما علم فيهم من إخلاص لله واقتداء بالنبي وصبر على الفقر وعلى الأذى الشديد من الكفار وصدقهم وقوة يقينهم وتوحيدهم لله.

خامسًا: اختيار الله لهم بأن يصحبوا خير الخلق رسوله محمد عليه الصلاة والسلام.

سادسًا: السبق إلى الإسلام

** قال الإمام ابن باز رحمه الله (من أهم أصول أهل السنة والجماعة محبة الصحابة والترضي عنهم والكف عما شجر بينهم فإن الرافضة يسبون الصحابة، يسبون أبا بكر وعمر، يسبون جمهور الصحابة، ويلعنونهم، وهذا من أعظم البلاء والعياذ بالله وهذا من جهلهم وضلالهم وانحرافهم عن الهدى نسأل الله العافية) انتهى من كلامه.

وسب جمهور «أكثر» الصحابة واتهامهم في دينهم وعدالتهم كفر، وأما السب الذي ليس فيه قدح في عدالتهم ولا في دينهم كأن يصفهم بالجن أو البخل فهذا فسق وضلال ويستحق فاعله أن يؤدب ويعزر بالجلد أو السجن أو غيره سواء سب أفرادهم أو غالبيتهم.

**** أول من أسلم من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً هي خديجة بنت خويلد ثم ورقة بن نوفل ثم أبو بكر الصديق، ومن أوائل من أسلم علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضوان الله عليهم، ثم تتابع إسلام البقية، وأما أفضلهم فهو أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة «لأنهم أفضل هذه الأمة، لكن الذين بشرهم الرسول بالجنة كثيرين، كخديجة وعائشة وعبد الله بن سلام وعكاشة بن محصن وغيرهم» ثم بعد العشرة أفضلهم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية ثم بقية الصحابة، وممن له مزية أهل العقبتين من الأنصار والسابقون الأولون وهم من صلى إلى القبلتين، وقد ذكر أبو زرعة الرازي أن عدد الصحابة مئة وأربعة عشر ألف كما رواه عنه الخطيب البغدادي في «الجامع» (2/ 293).**

**** منهج أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً هو الكف عما حصل بين الصحابة مثل معركة صفين والجل، واعتقاد أنهم جميعهم أرادوا الحق، ولم يكن بينهم عداوة كما هو مفترى عليهم، ولم يكن الصحابة يريدون القتال فيما بينهم، فقد أتوا للإصلاح بين المسلمين فقط، مثل عائشة رضي الله عنها التي جاءت وكان هدفها وقف الخلافات، ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان، والبداية كانت في عهد عثمان عندما قام المنافقين والشيعية بزرع المشاحنات بين المسلمين، ورأس الفتنة هو عبد الله بن سبأ اليهودي مؤسس فرقة السبئية وهي فرقة شيعية تعتقد أن علي إله ورب، فقد بدأ بإشعال الفتنة بالكذب على عثمان عند الناس الذين يعيشون خارج المدينة ولا يعرفون شيئاً عن ما يحدث في المدينة وكان يقول: (إن عثمان حرق المصاحف وولى أقرابه المناصب ولم يعطكم منها شيئاً) ومن هذه الأباطيل حتى ثار الخوارج على عثمان**

رضي الله عنه وقتلوه قتلهم الله، والخليفة بعد عثمان هو علي، فبدأت المطالبات بقتل قتلة عثمان وخاصة من معاوية الذي كان من أقارب عثمان، ولكن علي رضي الله عنه أدرك بحنكته وذكائه أن يؤخر القصاص من غير أن يعطله لأسباب كثيرة من أهمها أن من قتلوا عثمان غير معروفين بأعيانهم فكل واحد يقول فلان هو الذي قتله ويبرئ نفسه فكيف يقتل عليّ آلاف الناس! ومن الأسباب أيضًا أن علي بن أبي طالب يريد أن تستقر الأمور بعد اختلال الأمن وانتشار الفوضى، ولا يريد أن يضيع أمر الأمة وأمنها، وفي الجهة المقابلة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ومن معه يريدون تعجيل القصاص وتطبيق شرع الله، ولو كان الصحابة بينهما نزاع وكرامية لاقتتلوا بعد وفاة النبي مباشرة، ولكن هذه الأحداث هي اتفاق بين اليهود والمنافقين والخوارج على تفريق الصحابة تطبيقًا لمقولة (فرق تسد) فإذا: يجب احترام جميع الصحابة وعدم الانتقاص منهم، فعثمان وعلي من المبشرين بالجنة، ومعاوية كاتب الوحي وخال المؤمنين، ويجب توقيفهم وعدم القدح فيهم لأن القدح فيهم قدح في الرسول وكأنه اتهام له بأنه لا يحسن اتخاذ أصحاب صالحين، فيجب التزام الصمت عن هذه الأحداث وعدم إنتاج المسلسلات التي تحكيها، كما أن إظهار الصحابة في المسلسلات وتمثيلهم حرام ولا يجوز سواء كان في معركة صفين والجمال أو في أي أمر آخر، لأن هذا الممثل قد يكون فاسق أو كافر فكيف يقوم بتمثيل الصحابة الكرام! أضف إلى ذلك أن الممثلين يكذبون على الصحابة وينسبون لهم أقوالًا وأفعالًا لم تصدر منهم ولا يعرفون سيرتهم وإنما هدفهم هو جمع المال، وسيرة الصحابة نعرفها من خلال قراءة كتب العلماء وليست من المسلسلات الماجنة، وأشد من ذلك حُرمة تمثيل الأنبياء عليهم السلام.

مقاصد الشريعة: -

وهي الغايات والأهداف والحكم التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها من خلال الأحكام الشرعية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا، ودفع شر الشرين إذا لم يمكن أن يندفعا) مجموع الفتاوى (343/23) اهـ، ومن واجبنا إيضاح حكم الشريعة لغير المسلمين ليعلموا صواب هذا الدين، ولو كانت الأحكام بدون أهداف لكانت لعباً وعبثاً والله منزّه عن ذلك، وبشكل عام فإن أحكام الشريعة تهدف إلى جلب المنافع ودفع الضرر، وبشكل خاص يجب تعلم هذه المقاصد، ونحن مأمورون بالعمل بالشرع والامتثال لأمر الله حتى لو خفيت علينا الحكمة، فلا يشترط معرفة حكمة كل حكم لأنها قد تخفى أحياناً، فمن سأل عن الحكمة وكان سؤاله فيه انتقاد وتشكيك في تشريع الله ورسوله فهذا محرم ويفتح باب للشيطان كقول البعض: لماذا الطواف سبعة أشواط وليس خمسة ولماذا نضع الكعبة عن يسارنا ولماذا صلاة العصر أربع ركعات والمغرب ثلاث ولماذا الصوم في رمضان وليس في شهر شعبان، ولماذا الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، وأما السؤال عن الحكمة من أجل التفقه في الدين من غير معارضة وتعنُّت فله فوائد كثيرة وهي: -

1- زيادة الثقة واليقين والقناعة بما نعمل وهذا ما يميز العلماء عن العوام، فنعلم لماذا شرعت العبادات، فالذي يصلي ويعلم أن الصلاة صلة بين العبد وربّه ويصوم معتقداً أن الصوم يكسر الشهوة ليبعد عن الفواحش، ويمنع الكبر والغرور، ويخرج الزكاة ويستشعر أنها تُنمّي المال وتمنع جرائم السرقة ليس مثل الذي يجهل هذه الأهداف المفيدة، فربما يتكاسل عن شيءٍ منها، وكذلك

المرأة التي تستر جسدها ووجهها وعرفت أن الحجاب من أجل أن لا تتسبب في فتنة الرجال فتزيد الفواحش التي تغضب الله، عندها تكون أكثر ثباتاً من غيرها من النساء اللواتي لا يعلمن ذلك، والذي يعلم أن تحريم الخنزير لأنه خبيث يأكل الزبالة والفضلات ويصبح أكل لحمه «ديوث» ويسبب سرطان القولون وأمراض القلب وأمراض أخرى، فمُحال أن يأكله ولو أهدي له.

2- المصالح المرسلّة فهمها العلماء بعد النظر المتكرر إلى مقاصد وأهداف القرآن والسنة، وقد ذكرناها في قسم مصادر الشريعة.

3- الترجيح عند تعارض الأدلة ظاهراً وتعذر الجمع، ولا يوجد تعارض بين أدلة الشرع وإنما هو قصور في الفهم عند بعض الناس أو أن أحد الأدلة غير ثابت، ومثال ذلك: شق بطن الأم الميتة لإخراج الجنين فبين مانع لذلك يرى حُرمة إيذاء الميت وبين مجيزٍ يرى إنقاذ ولدها والأرجح هو شق البطن وإخراج ابنها، لأن حفظ النفس من الموت أوجب من عدم إيذاء الميت، ومن القواعد المقررة عند العلماء (الجمع مقدّم على الترجيح) وقاعدة (الأعمال أولى من الإهمال).

4- التطبيق الصحيح للأحكام في الواقع، مثال ذلك - القصاص، فنقول: هل كل من يقتل يُقتل؟ الجواب: لا، إذا تعمد وقصد قتله وضربه بما يقتل عادة وغالباً كالسكين أو الحديد أو الخشبة الكبيرة أو أحرقه بالنار أو أغرقه في الماء فهذا يُقتل قصاصاً، أما لو قتله خطأ بغير عمد كما لو دعسه بالسيارة ولم يراه فهذا لا يجري عليه القصاص لأنه لم يتعمد، والذي لا يفهم المقاصد يقول لماذا يتناقض المسلمون في ذلك، والمقصد من القصاص هو حفظ النفوس فالذي تعمد القتل إذا لم يُقتل سوف يتمادى مستقبلاً ويقتل الكثير من الناس لأنه مجرم والذي لم يتعمد ففعله هذا لن يتكرر في الغالب، والقاعدة تقول (الأمر بمقاصدها) يعني أن الأعمال وإن اتفقت صورها في الظاهر إلا أنها

تختلف صحةً وبطلاناً على حسب ما يكون في قلب صاحبها، وهذا قصد القتل والآخر لم يقصد، فقد دعه ولم يراه أو لم يتمكن من إيقاف السيارة أو مثل من كان يصيد الطيور بالبندقية ولم يشعر بوجود المقتول، أو مثل من حفر بئر وسقط فيها إنسان، وكذلك الصغير في السن إذا قتل أحداً فلا يقص به لأنه غير مكلف، ومثال آخر على قاعدة الأمور بمقاصدها لو أن اثنين صلياً جميعاً فأحدهما تقبل صلاته لأنه مخلص لله والآخر لا تقبل لأنه يصلي لغير الله، وأما القتل شبه العمد فليس فيه قصاص وهو أن يضربه بما لا يقتل عادة كالعصا الصغيرة أو بقبضة اليد، فهذا قصد الضرب ولم يقصد القتل، فيأثم لتعمده الضرب والإيذاء ولكن لا يجب عليه حد القصاص لأنه لم ينوي القتل، وأما الدية فتغلظ في العمد في حال العفو من الولي وتغلظ في شبه العمد.

5- معرفة الفتوى في النوازل بما يتفق مع مقاصد الشريعة، والنوازل هي المسائل الجديدة التي لم تكن موجودة في العصور السابقة مثل طفل الأنابيب وبنوك الحليب ونقل الأعضاء والصلاة في الطائرة، وقد أفتى فيها العلماء بناءً على المقاصد التي أخذوها من أدلة القرآن والسنة، وليست من آرائهم وأهوائهم.

*** هناك فرق بين العلة والحكمة، فالعلة هي الأمر الظاهر المنضبط الذي بنى عليه الحكم الشرعي وهي معلومة عند العلماء ومن خلالها يعرفون الأحكام وذلك بالقياس، وأما الحكمة فهي الغاية والثمرة من الحكم الشرعي وتكون خافية أحياناً، وخفاؤها اختبار من الله ليعلم من يتبع أمره ممن يحمده، عنه، مثال ذلك: علة القصاص القتل العمد والعدوان، وحكمته حفظ النفوس، وعلة قطع اليد السرقة، وحكمته حفظ المال، والعلة من القصر والفطر هي السفر وأما الحكمة منه فهي رفع المشقة، فمن الخطأ اعتقاد أن العلة والحكمة مترادفتين، والأحكام الشرعية لها صلة بالعلة لا بالحكمة، والقاعدة تقول

(الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا) فاستنباط الأحكام يسهل على من عرف العِلل، مثل نهى النبي عن الصلاة في حضرة الطعام، وهذا لأن المصلي قد يفكر في الأكل وتتوق نفسه إليه ويشوش ذلك عليه ويذهب خشوعه فحينها يقدم الطعام، أما من كانت نفسه لا ترغب في الأكل في ذلك الوقت فيقدم الصلاة أفضل له لأن العلة هي انشغال ذهن المصلي، ومثل شراب البيرة الموجود في الأسواق التي تحتوي على نسبة قليلة من الكحول ولا تسكر مهما أكثر الإنسان من الشرب منها فهذه حلال، أما التي تسبب سُكْر فهي حرام ونجسة وعلة تحريمها أنها تذهب بعقل الإنسان، ومثل الجلالة وهي الحيوان الذي يأكل النجاسة، فقد نهى النبي ﷺ عن أكل لحمها، لكن إذا حبست وأكلت الأعلاف الطيبة حتى تطيب زال النهي عنها باتفاق المسلمين، والذي يجهل العلة يرى أن لحم الجلالة منهي عنه حتى بعد حبسها، ومثل التصوير الفوتوغرافي أباحه كثير من العلماء لأن علة تحريم التصوير هي المضاهاة والمشابهة لخلق الله وهذه العلة ليست موجودة فيه، وإنما هو عبارة عن لمس الشاشة وضغط الزر وهذا يفعله حتى الطفل الصغير، وليس كالتصوير المحرم الذي يحتاج إلى دِقَّة وفن وتعلّم كتصوير المجسمات والتماثيل والرسم على الورق، والعلة علمناها من قول ربنا تبارك وتعالى في الحديث القدسي: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة) [البخاري 5953 ومسلم 2111]، وعن بن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من صَوَّر صورة في الدنيا، كُلَّف أن يَنفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ) [متفق عليه].

وهذا فيه تحدي من الله وتعجيز للمصورين بأن ينفخوا الروح في تصاويرهم أو يخلقوا من العدم ذرة أو شعيرة تُزرع وتنبت وتنمو فضلًا عن أن يخلقوا الإبل أو المخلوقات العظيمة، كما قال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴿٧٣﴾ الْحَج [73]، والتصوير المحرم فيه مشابهة لخلق الله، حتى لو ادّعى بعض المصورين أنه لم ينو ذلك.

❖ ❖ أنواع المقاصد: -

- المقاصد الضرورية: -

وهي التي لا بد منها لقيام مصالح الدنيا والآخرة، وفقدانها يؤدي إلى الفساد والهلاك، وهي خمسة أنواع: -

1- حفظ الدين: وهو أهم المقاصد وبضياعه تضيع بقية المقاصد، فقد أمرنا الشرع بالدعوة إلى الإسلام ونشره في أنحاء الأرض وتحكيم الأمراء لشرع الله، كما أمرنا بتوحيد الله والحث على طلب العلم والجهاد في سبيل الله، والقيام بالعبادات كالصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها، وتحريم الشرك والمعاصي، ونصر الدين بالقوة وبالحُجة وبدحض الشبهات المثارة حوله من أعدائه، كما حثنا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، والاجتهاد في رد البدع.

2- حفظ النفس: وذلك من خلال تحريم قتل النفوس وتحريم الانتحار، وتشريع القصاص من القاتل، وتحليل أكل الميتة للمضطر، والفطر في رمضان للمريض والمسافر والحامل والمرضع إذا خشيتا على أنفسهن أو على أبنائهن.

3- حفظ النسل والعرض: من خلال تشريع الزواج والتعدد لإنجاب الذرية التي تعبد الله، والابتعاد عن ما يؤدي لقطع النسل، وتحريم الزنى ومقدماته كالنظر والتقبيل وتحريم التبرج، وذلك لكيلا تختلط الأنساب، وتحريم اللواط المُنافي للفطرة والذي يمنع التناسل، وتحريم القذف «الاثام بالزنى أو باللوواط» وإقامة الحد على من ارتكب جريمة الزنى بجلد غير المحصن مائة جلده وتغريبه عام «أي يُنفى ويُبعد الرجل سنةً كاملة عن بلده عقوبةً له ولكي

يبتعد عن المكان الذي حصل له فيه إثارة للشهوة حتى وقع في الزنى، فيتم إبعاده إلى مكان آمن من الزنى ولم تنتشر فيه الفواحش»، وأما المحصن فحده في الشرع الرجم بالحجارة حتى الموت رجلاً كان أو امرأة، وأما عقوبة من يقذف ويتهم بريئاً بالزنى أو باللواط فهي ثمانين جلده، واللواط عقوبته قتل الفاعل، وكذلك قتل المفعول به إن كان راضياً وليس مُجبراً.

4- حفظ العقل: من خلال تحريم الخمر والمخدرات والحشيش والقات وكل ما يذهب العقل أو يفسده، ومعاقبة من شرب الخمر والكحول بأن يجلد أربعين جلده كما فعل النبي وإذا رأى ولي الأمر أن المصلحة أن يزيد على ذلك زاد كما فعل عمر وجلد ثمانين، وعقوبة شارب الخمر تعزير وليست حد، ولو كانت حد ما تجاوزها عمر، وأما بائعها فيُعزَّر بالسجن أو بغيره، وكذلك بائع أو مُروِّج المخدرات يعزر بحسب ما يراه ولي الأمر من سجن أو جلد أو غرامة مالية أو بهما جميعاً، وإن تكرر ذلك منه زاد في تعزيره لردعه ولو أدى ذلك إلى قتله.

5- حفظ المال: من خلال تشريع البيع والشراء والسعي لطلب الرزق، لأن المال عصب الحياة، وكتحريم السرقة والربا والغش والخداع والرشوة والإسراف والتبذير وعدم إعطاء السفهاء الأموال، والمحافظة على مال اليتيم، ووجوب الحد على السارق بقطع يده، وكذلك حد الحرابة على قاطع الطريق وهي (إن قتل قُتِل وإن سرق قطعت يده ورجله من خلاف «أن تقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى» ومعنى الخلاف هنا المخالفة وليس معناها من وراء، وأما إن قتل وسرق صُلب، والصلب هو رفعه بعدما يقتل على خشبة أو ما شابهها لكي يتعظ من يراه، وإذا أخاف الناس ولم يسرق ولم يقتل يُنفى من الأرض).

- المقاصد الحاجية: -

وهي التي تهدف إلى رفع الحرج والمشقة عن المسلمين، وذلك من خلال تشريع الرخص كجمع الصلاة في السفر أو المرض أو المطر الشديد أو الخوف، وفي قصرها عند السفر فقط، والتميم بدل الوضوء في حال عدم وجود الماء أو العجز عن استخدامه بسبب مرض أو برد شديد، ومثل العذر بترك صلاة الجماعة لمرض أو خوف ومثل إباحة الطلاق، وتحليل الصيد، وجعل الدية على العاقلة في القتل الخطأ تخفيفاً عن القاتل.

- المقاصد التحسينية: -

وهي التي ليس في فقدانها هلاك ولا مشقة ولكن فيها تجميل لحياة الإنسان فهي تأمر بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق مثل: -

1- ستر العورة: المغلظة منها والمخففة، في جميع الأحوال في الصلاة وخارجها وعند الاغتسال والنوم لأن في سترها حياء وأدب ومنعاً للفتنة.

2- آداب الطعام: فأمرت الشريعة المسلم بالتسمية قبل الأكل، وأن يأكل بيده اليمنى، ويأكل مما يليه من الصّحفة وألا يأكل متكئاً ولا يعيب طعاماً، ويشكر الله الذي أطعمه.

3- آداب اللباس: كلبس الأبيض من الثياب وأن تكون الملابس نظيفة حسنة، كما نهينا عن الإسراف والإسبال ولباس الشهرة، ولبس الحرير والذهب للرجال، وستر المرأة لجميع بدنّها أمام الأجانب.

4- آداب البيوت: وهي الاستئذان ثلاثاً قبل الدخول، والسلام على أهل البيت، وعدم إدخال الكلاب والصور، وعمارة البيوت والمجالس بعبادة الله.

5- آداب الخلاء: كالتسمية وعدم استقبال القبلة أو استدبارها، والاستنجاء باليد اليسرى، وألا يقضي المسلم حاجته في طريق مسلوكة أو ظل نافع أو مورد ماء، وأن يستتر من الناس.

** المقاصد مرتبة حسب أهميتها، الضرورية ثم الحاجة ثم التحسينية، والضروريات متفاوتة، الدين ثم النفس ثم النسل ثم العقل ثم المال، فإذا تعارضت نقدم أهمها مثال ذلك: {إباحة كشف العورة لضرورة العلاج، فيه تقديم الضروري «حفظ النفس» على التحسيني «ستر العورة»} ومثل {إباحة شرب الخمر إذا لم يوجد غيره وخاف الهلاك، فيه تقديم حفظ النفس على حفظ العقل}.

الصلاة: _

الصلاة لغة تعني الدعاء، وشرعاً هي عبادة تشتمل على أقوال وأفعال مخصوصة تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم، ولها منزلة كبيرة في الإسلام لا تصل إليها أية عبادة أخرى، ويدل على ذلك:

1- إنها عمود الدين الذي لا يقوم إلا به لقوله عليه الصلاة والسلام: (ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟) قلت: بلى يا رسول الله قال (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد) [الترمذي]، الصلاة عمود الدين يعني أنها تحمل الإسلام كما يحمل العمود الخيمة فإذا سقطت العمود سقطت الخيمة وبدون الصلاة يخرج المرء من الإسلام، والجهاد ذروة سنام الإسلام يعني إن عزَّ المسلمون في إقامته ومذلتهم في تركه بانتصار الكفار عليهم، لأن السنام أعلى وأرفع شيء في البعير.

2- تأتي منزلة الصلاة بعد الشهادتين لتكون دليلاً على صحة الاعتقاد وسلامته وبرهاناً على صدق ما قرأ في القلب، قال عليه السلام: (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان) [البخاري ومسلم]، وإقام الصلاة هو أدائها بأركانها وواجباتها وشروطها وسننها.

3- للصلاة ميزة خاصة من بين سائر العبادات لمكان فرضيتها، فلم ينزل بها ملك إلى الأرض، ولكن شاء الله أن ينعم على رسوله محمد بالعروج إلى السماء وخاطبه ربه بفرضية الصلاة مباشرة، فقد فرضت ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين وفرضت خمسين صلاة ثم حصل التخفيف في عددها إلى خمس، وبقي ثواب الخمسين في أداء الخمس وهذا دليل على محبة الله لها وعظيم منزلتها.

4- كونها سبباً لمحو الذنوب لقوله عليه السلام: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟) قالوا: لا يبقى من درنه شيء؟ قال: (فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) [متفق عليه].

الدَّرَن: الوسخ.

5- أنها آخر ما يُفقد من الدين، فإن ضاعت ضاع الدين كله لحديث (لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة) [أحمد والطبراني].

6- (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) [رواه مسلم]، والمقصود هو الكفر الأكبر، وقد حكى أكثر من واحد من أهل العلم الإجماع على كفر تارك الصلاة، قال إسحاق بن راهويه: (هو رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى زماننا هذا) (الاستذكار) (2 / 150)، ويعنون بذلك من تركها بالكلية واستمر على ذلك، فلا يصلي أبداً، أما من ترك بعض الصلوات كأن يترك صلاة في اليوم أو يترك ثلاث صلوات أو أربع في الأسبوع فهذا لا يكفر ولكن عمله هذا من أكبر الكبائر.

7- أنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة لقول الرسول: (إن أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صَلُحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فُكِّمَل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك) [النسائي والترمذي]، المقصود أنها أول ما يحاسب عليه الإنسان من حقوق الله، أما ما يخص حقوق العباد فأولها محاسبة هي الدماء، وسبب تقديم الصلاة والدماء في الحساب عن غيرها أن الصلاة أعظم حقوق الخالق والدماء أعظم حقوق المخلوقين، والنوافل تكمل النقص الحاصل في

الفرائض في جميع العبادات، من صلاة وصوم وزكاة، فنافلة الصلاة تجبر النقص والخلل في فريضة الصلاة سواءً كان النقص في أعدادها للذي كان لا يصلي في بعض فترات حياته أو كان النقص والتقصير في صفة الصلاة بأن أخلَّ في الخشوع أو في بعض واجبات الصلاة أو كان يسهو فيها، مع العلم أنه لا يحق لأحد ترك الفرائض لأن النوافل لا تسد مكانها ولكن المقصود هو من قرَّط في سابق حياته ثم تاب وندم إلى ربه، فهذه فرصة له بأن يكثُر من التطوع، وحتى الذي لم يترك فروض الصلاة فلا يقدر أن يجزم ويتيقن بأن صلاته لا نقص فيها، فالنوافل تقرب إلى الله وهي علامة على محبة الله للعبد وهذه أفضل أمنيات المسلم، وفي الحديث الحث والإرشاد إلى المحافظة على النوافل وبيان فضلها، وأيضاً تطوع الصوم كالأيام البيض ويوم الإثنين ويوم الخميس أو الصيام المطلق يكمل نقص صوم رمضان، وحج التطوع يكمل حج الفريضة، والصدقة تجبر الخلل في الزكاة.

8- أحب الأعمال إلى الله، فقد سئل النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال (الصلاة على وقتها) قال ثم أي؟ قال (ثم بر الوالدين) قال ثم أي؟ قال (الجهاد في سبيل الله) [البخاري]، على وقتها يعني أول وقتها كما عند أبو داود.

9- أنها نور لصاحبها لما ثبت عن النبي: (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة إلى يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وأبي بن خلف) [أحمد وغيره].

10- أنها أول عبادة أمر الله بها بعد البعثة النبوية، فقد فرضت ركعتين بالغة «أول النهار» وركعتين بالعشي «آخر النهار» وكذلك صلاة الليل كانت مفروضة في بداية البعثة ثم نسخت فرضيتها وصارت نافلة.

11- أنها لا تسقط عن المسلم في جميع أحواله، حتى في المرض والسفر وعند نزول المطر يشرع الجمع ولا يتركها، ويشرع القصر للمسافر وحده، ولا تسقط في حالة جهاد الكفار وتشرع حينها صلاة الخوف للمسلمين «إذا كانوا مواجهين العدو» لذا يجب على المسلم أن يحرص على أداء الصلاة في أوقاتها وألا يتكاسل أو يسهو عنها لأن الله قد توعد من ضيع الصلاة فقال: ﴿وَفَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسُوفَ يَقْتُونَ غِيًّا﴾ مريم [59].

12- قال عليه السلام: (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله) [البخاري].
حبط عمله: بطل ثواب يومه فقط وليس جميع ثواب عمره، فهي أفضل الصلوات الخمس وهي الصلاة الوسطى المذكورة في القرآن ومعنى الوسطى الفضلى.

13- (من صلى البردَين دخل الجنة) [البخاري ومسلم].

ولا يعني هذا الاكتفاء بهما عن بقية الصلوات الخمس وتركها وهي الظهر والمغرب والعشاء، ولكن في هذا زيادة أجر لمن صلى البردَين وهما الفجر والعصر، وسُمِّيَا بذلك لأن الفجر أبرد وقت في الليل والعصر أبرد وقت في النهار، وخصهما بالفضل لاجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار فيهما وتعاقبهم وصعودهم إلى السماء بأعمال الناس إلى الله عز وجل، والصلاة كغيرها من العبادات لا تصح إلا بالإخلاص لله والمتابعة للنبي، فيجب علينا أن نتبع ولا نبتدع، لأن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فلا بد من معرفة شروط الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها، قال عليه السلام: (صلوا كما رأيتموني أصلي) [البخاري]، وقال: (خذوا عني مناسككم، لعلِّي لا أراكم بعد عامي هذا) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (10/ 102)، وهذا

أمر لنا أن نصلي كما صلى النبي ونحج كما حج، والاقتراء بالنبي واجب بل هو شرط في جميع أمور الدين.

14- قال رسول الله ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، والحمد لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وسبحان الله والحمد لله تَمْلَأُنْ أَوْ تَمْلَأُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه، فمعتقها، أو موبقها) [مسلم].

الطهور: أصله من الطهارة وهي في اللغة النظافة.

شطر: نصف.

يعني أن الإيمان شطرين، شطر في طهارة الباطن وهو القلب وتكون بترك الذنوب والعقائد الفاسدة، وتكون بتوحيد الله، وشرط في طهارة الظاهر وهو البدن وتكون بالوضوء والغسل، فكانت هي الشطر والجزء الثاني من الإيمان.

تملاً الميزان: بالثواب يوم القيامة عندما توزن أعمال العباد.

الصلاة نور: وهذا النور يكون في قلب ووجه وقبر من يصلي، ويوم المحشر أيضاً.

الصدقة برهان: دليل على الإيمان، فالمؤمن يتصدق لاعتقاده أن الله سيخلفه بالأجر، وهو يختلف عن المنافق الذي لا يعتقد ذلك، وعبر عنها بالبرهان لأن المال يحبه الناس بكثرة، ومن قدّم أحب شيء إلى قلبه كان دليلاً على قوة إيمانه.

الصبر ضياء: الضياء هو النور الذي يكون معه حرارة وإحراق كضياء الشمس، أما القمر فله نور وليس له ضياء لأن نوره بدون حرارة، وذلك لأن الصبر فيه مشقة على الإنسان فناسب التعبير عنه بالضياء دون النور، والصبر ثلاثة أنواع: صبرٌ على طاعة الله وصبرٌ عن معصيته وصبرٌ على أقداره «تحمل

الشر والمصائب» وقد جعل الله اجر الصابر بالغرف والحثي فليس له عدد كالأجر على غيره من الأعمال الصالحة لصعوبة الصبر وقلة من يصبر من الناس، والصبر على قدر الله واجب والرضا به سنة والجزع والتسخط عليه محرم.

القرآن حجة لك أو عليك: أي يكون دليل لبعض الناس يوم القيامة بأنهم قاموا بتلاوته وحفظه وتدبر معانيه والعمل بأوامره واجتناب نواهيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه وتحكيم أحكامه، كما يكون دليل على أناسٍ آخرون لم يقرؤوه ولم يفهموه ولم يعملوا به، وكل هذا يعتبر هجر، لأن الهجر أنواع وليس هجر التلاوة فقط، وهو شاهد أيضًا يوم القيامة لقول النبي: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه) [مسلم].

كل الناس يغدو: يعني يبكر، والغدو هو سير أول النهار.

بائع نفسه: يعني كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته، ومنهم من يبيعها للشيطان أو للهوى بمعصية الله.

معتقها: مخلصها من العذاب

موبقها: مهلكها في العذاب

❖ ❖ شروط الصلاة: _

الشروط قسمين: شروط وجوب وشروط صحة، أما شروط الوجوب فهي الإسلام والبلوغ والعقل والخلو من الموانع كالحيض والنفاس للمرأة، وأما شروط الصحة فهي دخول الوقت والطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر وإزالة النجاسة وستر العورة واستقبال القبلة والنية، وهي على النحو التالي: _

1- الإسلام: وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، فالكافر عمله غير مقبول، وصلاته باطلة وكذلك جميع عمله

لقله تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ خَيْرًا وَجَعَلْنَاهُ حَبَآءً مَّنْثُورًا ۖ﴾^(٢٣)
الفرقان [23].

2- العقل: فلا تصح من مجنون فهو غير مكلف، والدليل قوله عليه السلام (رُفِعَ القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل) [أبو داود والترمذي]، يعني قلم التكليف هؤلاء الثلاثة لا إثم عليهم، ومثلهم الشيخ الخرف الذي كبر سنه وأصبح يهذي.

3- التَّمييز: وضده الصغر دون سبع سنين فلا يؤمر بالصلاة لأنه لا يدرك معناها ويصعب عليه تعلمها، قال الرسول: (مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع) [أحمد وأبو داود]، ضرب تأديب لا ضرب إيذاء وجرح للجلد وكسر للعظم، لكي يتدرب عليها فإذا بلغ كانت سهلة عليه، والتفريق في الفُرْش يمنع الفواحش.

4- رفع الحدث الأكبر والأصغر:

والحدث الأكبر هو ما يوجب الغسل كالحيض والجنابة والنفاس ويمنع المسلم من كل ما يمنعه منه الحدث الأصغر إضافةً إلى دخول المسجد والبقاء فيه والجماع للحائض والنفاس، ويمنع الجُنُب وحده من قراءة القرآن حتى لو كان من قلبه، أما الحائض والنفاس فلا بأس بقراءتهما القرآن ولو لمسا المصحف بشرط وجود حائل «القفاز» لأن مدتهما أطول من الجنابة، والحدث الأصغر هو ما يوجب الوضوء ويمنع المسلم من الصلاة ومس المصحف بدون حائل وطواف البيت الحرام، قال عليه السلام (لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ) [البخاري].

❖ ❖ ❖ صفة الوضوء: _

الوضوء الكامل هو أن ينوي المتوضئ بقلبه رفع الحدث ويسمي بالله تعالى ويفرغ الماء على يديه «الكفين» ثلاثاً، ويتمضمض ويستنشق ويستنثر كل ذلك

ثلاثاً، ويغسل وجهه ثلاثاً، ويغسل يديه إلى المرفقين ثلاثاً، ويمسح برأسه مرة واحدة يبدأ بمقدم رأسه، ثم يذهب بيديه إلى قفاه، يقبل بهما ويدبر، ويمسح أذنيه، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين ثلاثاً، وصفة الوضوء المجزئ هو غسل الوجه مع المضمضة والاستنشاق والاستنثار، وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح الرأس والأذنين «يمسح داخلهما بسبابتيه وظاهرهما بإبهامي» دون أن يرصها حتى تتألم ولا يتتبع الغضاريف، وغسل القدمين، كل ما سبق مرة واحدة، مع النية والترتيب والموالاتة وهي متابعة غسل الأعضاء بلا فاصل زمني طويل بينها بحيث لا ينشف العضو الذي قبله.

**** يجب إيصال الماء إلى جميع أجزاء أعضاء الوضوء، ومن ترك شيئاً ولو قليلاً لم يصح وضوؤه لأن النبي ﷺ أمر الصحابي الذي ترك موضع ظفر أن يعيد وضوؤه كما في صحيح مسلم، كما يجب أن يصب الماء على اليد من أطراف الأصابع إلى المرفق، إلى أول العضد، وأن يصبه من أطراف الأصابع على كل القدمين إلى الكعبين إلى أول الساق، فيغسل جميع المرفقان والكعبان، كما يجب إزالة أي شيء يمنع وصول الماء إلى البشرة فلو كان على اليد أو القدم أو أي عضو من أعضاء الوضوء عجين أو صبغ أو جص أو غراء أو مادة صمغية لها جرم، تمنع وصول الماء إلى الجلد فلا بد أن يزيلها، مثل صبغ الأظفار عند النساء المسمّى (المناكير) كل هذا يجب إزالته لأن ما تحته لا يصله الماء فيكون غير مغسول فلا تتم الطهارة، أما الخاتم فإذا كان واسعاً بحيث يدخل الماء إلى ما تحته فيستحب تحريكه في الوضوء والغسل، وإذا كان ضيقاً بحيث لا يدخل الماء إلى ما تحته إلا بخلعه وجب خلعه، وكذا الساعة، كما يجب غسل الجزء الكائن بين الأذن وبين شعر الرأس وشعر اللحية وإن عدّه بعض الناس يسيراً.**

❖ سنن الوضوء: _

- التسمية، وهناك فرق بين التسمية والبسملة، البسملة آية قرآنية وهي قول (بسم الله الرحمن الرحيم) وأما التسمية فمواضعها قبل أكل الطعام وقبل الوضوء وذبح الذبيحة، وعند دخول البيت أو الخلاء وغيره وهي قول (باسم الله).

- غسل الكفين ثلاثاً في أول الوضوء قبل غسل الوجه.

- السواك عند المضمضة.

- البدء بالمضمضة والاستنشاق قبل غسل الوجه، وأن يبالغ فيهما إن كان غير صائم ومعنى المبالغة في المضمضة: إدارة الماء في جميع فمه، وفي الاستنشاق: جذب الماء إلى أقصى أنفه.

- تخليل اللحية الكثيفة بالماء حتى يبلغ داخلها، وتخليل أصابع اليدين والرجلين، وغسل البراجم «المفاصل والعقد التي تكون في ظهور الأصابع ويجتمع فيها الوسخ»، ويستحب غسلها خارج الوضوء أيضاً لأنها من سنن الفطرة، قال النبي عليه السلام: (عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء)، قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة زاد قتيبة: قال وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء [رواه مسلم].
والأمر الجامع لهذه الخصال العشر الطهارة والنظافة.

- التيامن، وهو البدء باليمنى من اليدين والرجلين قبل اليسرى.

- الزيادة على الغسلة الواحدة إلى ثلاث غسلات في غسل الوجه واليدين والرجلين.

- ذلك الأعضاء، والواجب هو وصول الماء للجلد.

- الذكر بعد الانتهاء من الوضوء لحديث عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة) أخرجه مسلم والترمذي وزاد: اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

❖❖ يُشَرع التيمم عند فقدان الماء أو العجز عن استخدامه لمن كان مريضًا أو من خشي على نفسه من البرد الشديد، وصفته أن يضرب على الأرض ضربة واحدة بكفِّه ثم ينفخ فيهما لكيلا يكون قد علّق فيهما حصى أو شوك أو غيره ثم يمسح وجهه كله، ثم يمسح ظهر كفه اليمنى ثم يمسح ظهر كفه اليسرى، والتسمية مستحبة في التيمم والغسل والوضوء.

❖❖ نواقض الوضوء: _

- كل ما خرج من السيلين قليلًا كان أو كثيرًا (البول والغائط والريح والدم والمذي والودي).

- ما كثر من القيء والقيح والصدید والدم «الخارج من غير السيلين»، أما القليل من هذه الأشياء فهو طاهر وغير نجس ولا ينقض الوضوء، بشرط أن يكون فيه مشقة كمن يتكرر خروجها منه، مثل الأم التي لديها ابن رضيع ويقيء كثيرًا على ملابسها.

- مس الفرج «الدَّكْر أو القُبْل أو حلقة الدُّبُر» سواءً لمس فرجه أو فرج غيره بدون حائل.

- الردة عن الإسلام، وهي تنقض وتبطل جميع الأعمال وليس الوضوء وحده.

- أكل لحم الإبل: لأنها مخلوقة من الشياطين يعني تشابهه معها في صفات الغضب والتوحش، والجن مخلوقين من نار والماء يطفئها.

- زوال العقل بجنون أو سُكر أو إغماء، أو نوم عميق لأنه مظنة الحدث وهو النوم الذي لا يشعر الإنسان فيه بالحدث لو أحدث ويزول عنه الإحساس، أما النعاس أو النوم الخفيف «الغفوة» فلا ينقضه لعلمه أنه لم يحدث.

**** لا ينتقض الوضوء بلمس النجاسة، والواجب غسل ما أصابه منها.**

**** الشك الذي يكون أثناء الصلاة هذا من الشيطان ليصرف المسلم عن صلاته، لقوله ﷺ في الرجل الذي يخيل إليه أنه أحدث في الصلاة: (لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً) [متفق عليه]، والشك الذي يكون بعد الفراغ من الصلاة بمدة لا يلتفت إليه، والظاهر أنه قد أتى بما شك فيه على الوجه الصحيح، لأن الإنسان من طبعه النسيان، فلا يفتح المسلم عليه باب فيبدأ الشيطان بالوسوسة له، وكذلك الشك إذا كان يسير جداً ليس له تأثير ولا يُبنى عليه حكم.**

❖❖ المصاب بالسلس الذي يخرج منه البول أو الريح بغير اختياره له حالتين: -

الحالة الأولى: أن يكون الخارج مستمرّاً، بحيث لا ينقطع وقتاً يتسع لوضوئه وصلاته، فهذا يلزمه أن يغسل مكان البول ويتحفظ بشيء يمنع انتشار البول كقطعة قماش مثلاً ويتوضأ بعد دخول وقت الصلاة، ولا يضره ما يخرج منه من البول أو الريح حتى لو تيقن خروجه، ثم يصلي مع الجماعة كسائر الناس، إلا إذا خاف تلوّث المسجد فإنه لا يحل له دخوله ويصلي في بيته جماعة إن تيسر له أو منفرداً ويبقى على طهارته، حتى يخرج وقت الصلاة التي توضأ لها فيلزمه وضوء جديد إن كان قد انتقض وضوؤه وإلا فلا يلزمه، فمثلاً لو توضأ للظهر فإنه يصلي الظهر ويتنفل بما شاء ويمس المصحف فإذا أذن العصر انتقض وضوؤه إن كان قد أحدث وإن لم يحدث فلا ينتقض، وله أيضاً

جمع الظهرين والعشاءين، والمستحاضة لها نفس حكم صاحب السلس في الوضوء وجمع الصلاة.

الحالة الثانية: أن يكون الخارج ينقطع عنه زمنا يتسع لوضوئه وصلاته كمن علم أنه بعد قضاء حاجته بنحو ساعة مثلاً يتوقف عنه خروج البول، فهذا يلزمه أن يؤخر الصلاة إلى وقت انقطاع البول ولو أدى ذلك إلى تركه الصلاة مع الجماعة.

**** على المسلم ألا يلتفت إلى وساوس الشيطان لأن ذلك يسبب له غلو في الطهارة وربما الانقطاع عنها، قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إني أجد بلاءً إذا قمت أصلي فقال ابن عباس: (انضح بكأس من ماء وإذا وجدت من ذلك شيئاً فقل: هو منه) فذهب الرجل فمكث ما شاء الله ثم أتاه بعد ذلك فزعم أنه ذهب ما كان يجد من ذلك [السنن الكبير للبيهقي 1/ 467]، فانظر لعلم بن عباس كيف أذهب عن الرجل وساوس الشيطان وحفظه من كيده.**

**** خروج المذي والودي يوجب الوضوء ولا يوجب الغسل.**

❖ ❖ صفة الغسل: _

الغسل الكامل هو أن يأتي فيه بعشرة أشياء: النية، وغسل ما به من نجاسة، والتسمية، وغسل كفيه ثلاثاً، والوضوء، ويحشي على رأسه ثلاثاً يروي بها أصول شعر رأسه، ويفيض الماء على سائر جسده، ويبدأ بشقه الأيمن، ويدلك بدنه بيده، وينتقل من موضع غسله فيغسل قدميه «هذا إذا كان ماء الغسل يجتمع ويبقى تحت قدميه كمن هو في الصحراء أما إذا كان الماء لا يجتمع ويذهب في البالوعات أو غيرها فلا ينتقل من مكانه» وأن يخلل أصابعه ولحيته، والموالاة، وأما الغسل المجزئ فهو أن ينوي رفع الحدين، ثم يغسل ما أصاب بدنه من نجاسة ثم يعمم جسده بالماء مرة واحدة مع المضمضة والاستنشاق والاستنثار.

****** من اغتسل غسل نظافة وتبريد ولم يكن على جنابة فلا يجزئه ذلك، بل لا بد من الوضوء، وأما من كان على جنابة فيكفيه الاغتسال بدون وضوء بشرط أن ينوي رفع الحدث الأصغر والأكبر، ولو جمع بين الوضوء والاعتسال فهو أفضل.

❖ ❖ موجبات الغسل: _

- خروج المني وهو ماء يخرج دفقاً عند اشتداد الشهوة ويكون مع خروجه لذة ثم تفتت الشهوة، وهو طاهر وليس بنجس، وماء الرجل أبيض غليظ رائحته كرائحة طلع النخل وماء المرأة أصفر رقيق، سواء خرج المني بجماع أو باحتلام «بشرط أن يرى المحتلم المني» أو خرج باستمنا، كما أن خروجه بالجماع أو بالاستمنا أو بالنظر المتكرر يفسد الصوم لأنه عن عمد أما المحتلم فصومه صحيح.

- التقاء الختانين بتغيب الحشفة «رأس الذكر» في الفرج حتى لو لم يحصل إنزال للمني.

- إسلام الكافر، فإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل.

- الحيض.

- النفاس.

- الموت، فيجب تغسيل الميت.

****** يستحب الغسل يوم الجمعة والعيدين وعند الاجتماع بالناس وصلاة الكسوف والاستسقاء وعند الاحرام، والوقوف بعرفة وعند رمي الجمار في أيام التشريق ونحو ذلك من مجامع الناس في عباداتهم أو عاداتهم، كما يستحب الغسل أيضاً لمن غسّل الميت.

❖ ❖ المسح على الخفين والجوربين: _

الخُفُّ هو ما صُنِعَ من الجلد، والجَوْرَبُ هو ما صُنِعَ من غير الجلد كالصوف أو القماش أو غيره، والمسح عليهما قد أتت به شريعتنا السمحة، فهو رخصة من الله ورحمة لعباده المؤمنين وتيسير لهم، وذلك للحاجة إليه، وهو جائز في كل وقت من أوقات السنة في الشتاء والصيف وفي كل وقت، وتزداد الحاجة إليه في الشتاء أو عند السفر أو المرض، وحكمه أنه سنة حتى من غير ضرورة، وهو أفضل من خلعهما ثم غسل القدمين وكلاهما لا حرج فيه، ودليل سنيته قول جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ بال، ثم توضأ ومسح على خفيه) [رواه البخاري ومسلم]، وصفته أن يبلل كفيه بالماء ثم يمسح على ظهر الخفين أو الجوربين مسحاً خفيفاً، فيمرر يده من أطراف أصابع الرجلين إلى جميع القدمين والكعبين حتى يبدأ في أول الساق، فيمسح ظاهر قدمه اليمنى بيده اليمنى، ويمسح ظاهر قدمه اليسرى بيده اليسرى مرة واحدة، أما من كانت قدميه مكشوفة فيجب عليه غسلهما ولا يمسحهما كالذي عليه جورب، وأما مسح باطن القدم أو العقب فهذا خطأ كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه) [رواه أبو داود]، يعني أن الدين بالنقل وليس بالعقل والرأي.

❖ ❖ شروط المسح على الخفين والجوربين: _

الشرط الأول: أن تكون طاهرة ليست بنجسة، فلا يصح المسح على خف صُنِعَ من جلد حيوان غير مأكول اللحم مثل جلد الذئب أو الحمار الأهلي، أو يكون صنع من جلد شاة ميتة لم تُذَكَّ ولم يطهر جلدها بالدباغ، وكذلك إذا أصاب الخف أو الجورب بول أو أي نجاسة أخرى فلا يجوز المسح عليهما إلا بعد غسلهما.

الشرط الثاني: أن يلبسهما على طهارة، أي بعد أن يتوضأ، ولا يشترط اللبس بعد الوضوء مباشرة، فلو لبسها بعد وضوئه بعدة ساعات فهذا جائز بشرط أن يكون وضوؤه باقياً، قال المغيرة رضي الله عنه في الحديث المتفق عليه: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأهويت لأنزع خُفَّيه، فقال: (دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين) فمسح عليهما.

الشرط الثالث: أن يسترا محل الفرض، وهو كل القدمين وكل الكعبين، أما الشقوق في الجورب فمفعفي عنها إذا كانت صغيرة وقليلة عرفاً، لكن إذا كان الشق واسع وكبير، أو كانت شقوق كثيرة فلا يمسح عليها.

الشرط الرابع: أن يمكن تتابع المشي بهما عادة، بأن يكونا قويين وثابتين وضيقين على القدمين، فلا تكون واسعة فتسقط، ولا تكون متحركة ولا تثبت فتكشف شيئاً من القدمين، ولا تكون رقيقة تتمزق في اليومين والثلاثة التي هي مدة المسح، فإذا كان الشُّراب أو الخُف واسع أو رقيق أو غير ثابت فلا يمسح عليه لأنه لا يمشي عليه في العادة.

الشرط الخامس: أن يكون الجوربان صفيقين «سميكين» بحيث لا يرى جلد القدم من ورائهما، لأن حكم الجورب حكم الخف، والخف لا يكون إلا صفيقاً، ولا يمكن للجورب أن يُنَزَّل منزلة الخف، إلا إذا كان مثله، أما الجورب الشفاف فلا يجوز المسح عليه لأنه يكون في حكم القدم المكشوفة.

الشرط السادس: أن يكون مسحهما في الحدث الأصغر لا في الحدث الأكبر.

الشرط السابع: أن يكون المسح في الوقت المحدد شرعاً وهو يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام لبلاليهن للمسافر، لقول علي رضي الله عنه: (جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم) [رواه مسلم]، والمدة تبتدئ من أول مسح بعد الحدث وتنتهي بعد أربعة وعشرين ساعة بالنسبة

للمُقيم، واثنين وسبعين ساعة بالنسبة للمسافر، فمن توضأ ثم لبس الجوربين بعد العشاء ليلة الأحد ثم نام واستيقظ ثم توضأ ومسح عليهما الفجر فإنه يمسح عليهما إلى فجر يوم الإثنين، هذا إذا كان مقيم، وإذا كان مسافر فيمسح إلى فجر يوم الأربعاء، ولا ينتقض وضوؤه إذا انتهت مدة المسح، بل له أن يصلي ما شاء ما دام أنه لم ينتقض وضوؤه، ولا ينزع الجورب إذا كان لم يجد الماء وأصبح يتيمم ولو استمر ذلك أكثر من أربعة أو خمسة أيام، وخلع الجورب بعد لبسه على طهارة وقبل الحدث لا ينقض الوضوء، ولكن خلعه بعد الحدث ينقض الوضوء ولو لم تنتهِ المدة، لأنه بعدما خلعهما أصبحت القدمين مكشوفتين، فلا هي مغسولة ولا عليها شيء ممسوح، كما نبّه إلى بطلان هذه المقولة: (إن مدة المسح خمسة صلوات) فهذا قول بعض العوام وهو غير صحيح ولم يقل به أحد من السلف أو الخلف.

س / متى يبطل المسح على الخفين؟

ج / يبطل بحدوث أحد هذه الأمور: -

1- خلع الخفين أو الجوربين سواءً خلعهما من قدم واحدة أو من القدمين، أو ظهور بعض محل الفرض وهو جميع القدم إلى الكعبين، حتى لو كان الذي انكشف جزء يسير من القدم فإنه يبطل المسح وينتقض الوضوء، والمقصود هو من خلعهما بعد الحدث، أما الخلع قبل الحدث فلا يبطل المسح ولا ينقض الوضوء.

2- انقضاء مدة المسح، فيبطل المسح ولا ينتقض الوضوء، لأن المسح عبادة مؤقتة من قبل الشرع، فلا تجوز الزيادة على المدة المشروعة للمقيم والمسافر.

3- وجوب الغسل أثناء مدة المسح كمن احتلم وهو نائم مثلاً، فهذا يلزمه الغسل، يخلعهما ثم يغتسل ثم يلبسهما إذا أراد، لأن المسح على الخفين هو

في الطهارة الصغرى فقط، فعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ يأمرنا إذا كنا سفرًا ألا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهنَّ إلا من جنابة، ولكن من غائط وبول ونوم) [أخرجه النسائي والترمذي واللفظ له]، فمن خرج منه بول أو غائط أو نام فلا يبطل المسح في حقه ما دام أنه في أثناء المدة وأنه لم يخلع الجورب.

**** من لبس خُفًا على خف قبل الحدث فإن الحكم يكون للخف الأعلى سواء لبسه بعد الأول مباشرة أو لبسه بعده بعدة ساعات، وإن لبس الخف الثاني بعد الحدث فإن الحكم يكون للذي في الأسفل، وقل مثل ذلك في الجوارب.**

**** من مسح على خفٍّ فوق خفٍّ، أو خفٍّ فوق جوربٍ، أو جوربٍ فوق جوربٍ، ثم خلع الأعلى منها فعليه أن يخلع الأسفل لأن وضوءه قد انتقض.**

❖ ❖ المسح على الجبيرة: _

الجبيرة هي ما يوضع على مكان الكسر لجبر العظام، كالجبس مثلاً، أو ما يوضع على مكان الجرح ليبرأ، كالضماد المسمى بلزقة أو لصقة الجروح، وكذلك الشاش يدخل في حكمها، ولا يشترط أن يكون وضعها على طهارة، وإذا علم بوجود بقايا دم تحت الشاش فينزعه ويزيل الدم إلا إذا كان النزح يضره فلا ينزعه، والجبيرة ليست محدودة بزمان كالخفين والعمامة، بل يمسح عليها المريض حتى يتعافى ولو استمر وقت طويل، ومسحها يكون بإمرار اليد المبللة بالماء على الجبيرة كلها أو على الشاش مرة واحدة فقط من غير تكرار.

**** إن كان الجرح مكشوف فالواجب غسله بالماء إن أمكن، فإن كان الغسل يضره أو يسبب ألم أو يؤخر البرء أو يسبب التهاب فيجب مسح الجرح فقط مع غسل بقية أعضاء الوضوء أو غسل بقية البدن إن كان غسل جنابة، فإن كان المسح يضر الجرح، فإنه يُبقي هذا الجرح بلا غسل وبلا مسح، ثم إذا**

انتهى من الوضوء أو الاغتسال تيمم بنية الجزء الذي تركه، وأما إن كان الجرح مغطى باللصقة أو الشاش أو الجبيرة ونحوها وكان لا يشق عليه النزاع نزعها إذا أراد الوضوء أو الاغتسال من الجنابة ثم يتوضأ أو يغتسل ثم يعيدها، وأما إن كان في نزعها مشقة أو ضرر فإنه يغسل الجزء الصحيح ويبل يده بالماء ويمسح على اللصوق أو الجبيرة، فإن ضره المسح على الجبيرة فإنه يترك مكان الجبيرة فقط ويغسل الجزء الصحيح وبعد أن يتوضأ تيمم بنية الجزء الذي تركه، ولا يُجمع بين المسح والتيمم للجبيرة، وإن كان المسح من أسفل يضر بالجرح أو يضر بالجبيرة فإنه يمسح على الأعلى ثم تيمم بنية الجزء الأسفل، ومن توضأ وترك موضع الجرح ودخل في الصلاة وذكر في أثنائها أنه لم يتييم، فإنه يتييم ويستأنف الصلاة، ولكن ما مضى من صلاته قبل التيمم غير صحيح، ومنه تكبيرة الإحرام، فلم يصح دخوله في الصلاة أصلاً، لأن الطهارة شرط من شروط صحة الصلاة، وأما إن ترك الجرح من غير غسل ولا مسح مع عدم وجود ضرر عليه فيقطع صلاته ويتوضأ من جديد، والخلاصة: أن أول واجب هو الغسل فإن تعذر فالمسح فإن تعذر فالتيمم.

عن جابر رضي الله عنه قال: (خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر، فشجّه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتييم، ويعصب على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده) [رواه أبو داود].

❖ ❖ إرشادات في المسح على الجبيرة: _

أولاً: ألا تتجاوز الجبيرة قدر الحاجة، وهو موضع الجرح أو الكسر، وما قرب منه، ويدخل في الحاجة كل ما يحتاج إليه للجبيرة أو اللصقة، فلو كان

الكسر في الإصبع مثلاً، واحتيج لربط راحة اليد لتثبيت الجبيرة فلا بأس بذلك، وأما ما لا يُحتاج إليه كأن يلف جميع يده إلى المرفق مع أن الكسر في الكف فقط فيجب نزعه، ومثل هذه الجبيرة لا يجوز المسح عليها لأنها قد تجاوزت موضع الحاجة، والواجب عليه حينئذ أن ينزع ما تجاوز قدر الحاجة لأن الواجب فيه الغسل، وأما موضع الجبيرة الذي لم يتجاوز قدر الحاجة فهو الذي يُمسح.

ثانياً: بعض الناس إذا كانت الجبيرة في عضوٍ من أعضاء الوضوء يكتفي بالمسح عليها، ولا يغسل بقية العضو الذي لم تصل إليه الجبيرة، فمثلاً: إذا كان في يده كسر، ووُضِع عليه جِبْس فإنه يمسح موضع هذا الجبس، ولكن أطراف أصابعه التي لم تصلها الجبيرة لا يغسلها بالماء، وهذا لا تصح طهارته لأنه ترك قدرًا من مواضع الوضوء لم يغسله بالماء.

ثالثاً: بعض الناس لا يبالي بالجبيرة أو اللصقة إذا كانت صغيرة ولا يمسحها، أو إذا كان الجرح يسير تهاون فيه، فهذا لا تصح طهارته، لأن الواجب تعميم جميع أعضاء الوضوء بالغسل إن أمكن، أو بالمسح إن لم يمكن الغسل، وأما أن يترك بدون غسل ولا مسح، فإن هذا لا تصح طهارته، وقد رأى النبي رجلاً وفي قدمه قدر الدرهم، وفي رواية قدر اللمعة، لم يصبها الماء، فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة، ومثله من يغتسل من الحدث الأكبر ولا يمسح الجبيرة الصغيرة فهذا لا تصح طهارته أيضاً.

رابعاً: لا يجوز الاكتفاء بالتميم عن المسح على الجبيرة، فمن كان قادراً على المسح على الجبيرة فإن الواجب عليه المسح ولا يقيم.

خامساً: لا ينبغي تكرار المسح، فجميع الممسوحات وهي الرأس والعمامة وخمار المرأة والخف والجورب والجبيرة يكفي مسحها مرة واحدة، وكذلك الشاش واللصقة ومن هو في حكمها.

سادساً: يكفي في الجبيرة أن يمسح عليها، أما غسلها فلا ينبغي لأنها قد تتلف أو تتعفن.

❖ الفرق بين المسح على الخفين والمسح على الجبيرة: _

1- المسح على الخفين مقدر بمدة معينة، وأما المسح على الجبيرة فللمريض أن يمسح عليها ما دامت الحاجة داعيةً إلى بقائها لأنه معذور.

2- الجبيرة لا تختص بعضو معيّن، والخف يختص بالقدم فقط.

3- يشترط لجواز المسح على الخفين أن يلبسهما على طهارة، بخلاف الجبيرة فلا يشترط لها الطهارة.

4- الجبيرة يمسح عليها في الحدث الأصغر والأكبر في حال كان نزعها يضر أو يشق، بخلاف الخف، فلا يُمسح عليه إلا في الحدث الأصغر.

❖ المسح على العمامة والخمار: _

العمامة هي ما يلفه الرجل على رأسه، والخمار هو ما تغطي به المرأة رأسها، وقد ورد في السنة ما يدل على مسح النبي على العمامة، فقد روى البخاري عن عمرو بن أمية (أن النبي مسح على عمامته وخفيه) وروى مسلم عن المغيرة بن شعبة (أن النبي توضأ فمسح بناصيته، وعلى العمامة، وعلى الخفين) وروى الحسن عن أمه (أن أم سلمة كانت تمسح على الخمار) [ابن أبي شيبة في «المصنف»]، ومدة المسح على العمامة والخمار هي مثل مدة المسح على الخفين يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام لبياليهن للمسافر، ويجب مسح ما ظهر من الرأس، وما خفي منه مسح على العمامة، وهكذا بالنسبة للخمار.

❖ شروط المسح على العمامة والخمار: _

الشرط الأول: أن تكون العمامة ساترةً لجميع الرأس، إلا ما جرت العادة

بكشفه، كمقدم الرأس والأذنين، وجوانب الرأس، فهذا يُعفى عنه، وكذلك الخمار يشترط أن يكون ساتراً لجميع الرأس.

الشرط الثاني: أن تكون العمامة مُحَنَكَة «ملفوفة ومشدودة تحت الحنك» أو ذات ذُؤَابَة «لها طرف مرخي من الخلف أو على الكتفين»، وإذا لم تكن مُحَنَكَة ولا ذات ذُؤَابَة وهي التي يسمونها الصَّمَاء فلا يمسح عليها، لأنها لا يشق نزعها، ولأنها ليست من عمامم العرب، ولم تكن عِمَّة المسلمين فيما مضى، وكذلك خمار المرأة يشترط أن يكون مُدَارًا تحت الحلق، ويشق نزعها، إما لصعوبة إنزاله، أو لشدة البرد، أو لمرض أو لغير ذلك، فما دام أنه يشترط للمسح على العمامة التحنيك والذؤابة فلا يجوز المسح على القلنسوة «الطاقية» والقبعة والشماع والغترة والكوفية والطربوش والكاب لأنها ليست كذلك، إذ لا يشق نزعها.

الشرط الثالث: لبسهما على طهارة، ومتى ما تم نزع العمامة أو الخمار بعد المسح عليهما انتقض الوضوء وبطل المسح، إلا أن يكون الخلع يسيراً كحكة الرأس أو كرفع العمامة قليلاً لأجل الوضوء فلا بأس بهذا.

****** من وضع على رأسه حِنَاء فيكفيه أن يمسح عليه ولا يغسله، وإن كان فوق الحناء قرطاس فيزيل هذا القرطاس أو البلاستيك ليمسح على رأسه في حال كان الحناء قد يبس وجف، أما إن كان رطب ومبتل أو يشق إنزال القرطاس لمرض ونحوه فيمسح على القرطاس، ولكن بشرط أن يكون القرطاس يغطي جميع الرأس كما قلنا في العمامة والخمار، أما لو كان بعض الرأس ليس عليه قرطاس فيمسح ما انكشف من رأسه، وقد مسح الرسول على رأسه وقد لبَّده بصمغ أو غسل، فالواجب هو مسح جميع الرأس، فما ظهر منه مسحه وما خفي منه اكتفى بمسح ما غطاه.

****** من أحل بأي شرط من شروط المسح على الخفين والجوربين أو الجبيرة أو العمامة أو غير ذلك فعليه إعادة الوضوء لبطلانه.

5- إزالة النجاسة، فمن صلى وعليه نجاسة عالمًا بها فإن صلاته لا تصح، وإن تذكر النجاسة أثناء الصلاة ألقى ثوبه أو نعله، وإن كانت النجاسة في البدن أو في ملابس يلزم من إنزالها كشف العورة، فيقطع صلاته ويزيل النجاسة ويتوضأ ويصلي، ويجب على المصلي أن يجتنب النجاسة في ثلاثة مواضع: -

1- في البدن، فلا يكون على بدنه شيء من النجاسة (مر النبي على قبرين فقال: أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتره من البول) [رواه مسلم]، التنزه: البعد، يعني لا يتحفظ من البول وإذا أصابه منه شيء لا يغسله، وكذلك حديث (أكثر عذاب القبر من البول) [رواه الحاكم]، لأن من لم يتطهر من البول فصلاته غير مقبولة، فكان مستحقًا للعذاب.

2- في اللباس، جاءت امرأة إلى الرسول ﷺ فقالت: أرأيت إحدانا تحيض في الثوب، كيف تصنع؟ قال: (تَحْتُهُ ثُمَّ تَقْرُصُهُ بِالْمَاءِ وَتَنْضَحُهُ وَتَصَلِّي فِيهِ) [متفق عليه].

3- في المكان الذي يصلي فيه (جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد فزجره الناس فنهاهم النبي فلما قضى بوله أمر النبي بذنوبٍ من ماء فاهريق عليه) [البخاري].

والنجاسات هي: -

- جميع الخارج من السبيلين قليلة وكثيرة، كالبول والغائط والدم، والمذي «الماء اللزج الرقيق الذي يخرج بعد التفكير في الجماع أو بعد المداعبة وليس له رائحة ويخرج بدون دفع ولا تفتت الشهوة إذا خرج ولا يُشعر بخروجه غالبًا»، ويكفي فيه النضح يعني الرش بدون غسل وفرك، فيرش المسلم ما

أصاب ملابسه وبدنه من المذي بالماء، وأما الذكر والخصيتين فيرش جميع أجزائهما حتى لو لم يصبهما مذي، وكذلك الودي نجس وهو ماء ثخين يخرج بدون شهوة وخروجه يكون بعد إنزال المني، وليس له رائحة وله أحكام البول كالنجاسة ونقض الوضوء، أما المني فهو طاهر وليس بنجس، وأما الريح فلا يجب غسل البدن والملابس بعد خروجهما.

- ما كثر من القيء والدم والقيح «السائل اللزج الأصفر الذي يخرج من الجرح» والصدید «ماء الجرح الرقيق قبل أن يغلظ ويصير قيحاً».

- الكلب والخنزير نجسان بجميع أجزائهما، سواء اللُّعاب أو العرق أو الشعر أو غيره، في حال الحياة والموت، وكذلك جميع الحيوانات التي لا يؤكل لحمها فهي نجسة في حياتها وسورها وعرقها وشعرها وجميع بدنها، ونجسه إذا ماتت من باب أولى، ولا تطهر جلودها بذكاة ولا بدباغ، ولكن يستثنى منها ما كان مخالطاً للناس ويشق التحرز والتحفظ منه كالهرة والفأر والحمار والبغل فهذه إذا لمسها الإنسان فلا تنجس يده، هذا في حال حياتها أما إذا ماتت فهي نجسة كسائر ما لا يؤكل لحمه، وأما الحيوان الذي ليس له نفس سائلة والنفس هنا معناها الدم وهي مثل الذباب والنمل والنحل والصراصير والعناكب وأشباهاها فهذه طاهرة حية وميتة بشرط أن تكون متولدة من طاهر وليست متولدة من نجس كصراصير المراحيض، وأما الحيوان مأكول اللحم فهو طاهر أثناء حياته عرقه وسوره وحتى بوله وروثه، وهو طاهر أيضاً بعد الموت إذا كان قد ذُكِّي ذكاة شرعية، ولكن الميتة منه نجسة باستثناء جلدها إذا دُبغ، مع العلم بأن جميع ميتة البحر طاهرة وأكلها حلال بدون تذكية، باستثناء التمساح لا يجوز أكله لأنه يعيش في البر وله ناب، وباستثناء الضفدع فلا يحل أكله لأن الرسول نهى عن قتله، وأما كلب الماء والسلحفاة فهي حلال الأكل بشرط التذكية، فالحيوان البحري الذي لا يعيش في البر أبداً فهو حلال الأكل،

وإذا كان يعيش في البر والبحر معاً فإن حكمه حكم الحيوانات البرية فيحرم أكل لحمه إذا كان له ناب أو كان من الفواسق كالحية أو إن كان في أكل لحمه ضرر، لأن عندنا قاعدة أن الحيوان الذي يعيش في البر والبحر فإنه يأخذ حكم حيوانات البر احتياطاً.

- الخمر ونجاسته حسية ومعنوية، فإذا أصاب الثوب شيء منه وجب غسله، وقد وصفه الله في كتابه بأنه رجس أي نجس، وكذلك الكحول نجسة لأنها خمر.

❖ ❖ تنقسم النجاسة من حيث درجتها إلى ثلاثة أقسام: _

الأولى: النجاسة الخفيفة: مثل المذي ومثل بول الصبي دون الجارية، وهو الرضيع الذي لم يأكل الطعام إذا أصاب الثوب ونحوه، وكيفية تطهيرها: أن يرش عليها الماء حتى يغمرها، أما بول الجارية فيجب غسله وفركه ولا يكفي فيه الرش.

الثانية: النجاسة المتوسطة: مثل بول الأدمي وغائطه، ودم الحيض والنفاس، والخنزير والذئب وكل حيوان حرام أكله وغالب النجاسات من هذا النوع وكيفية تطهيرها: أن تغسل بالماء وتفرك حتى تزول، وإن كان لها جرم أزاله قبل ذلك، ولا يضر بقاء اللون بعد الغسل.

الثالثة: النجاسة الغليظة: وهي نجاسة لعاب الكلب وكيفية تطهيرها: أن يغسل ما ولغ فيه الكلب سبع مرات وتكون أول غسله بالتراب والماء، أما بقية أجزاء الكلب كعرقه وشعره وبوله وروثه فيكفي لها غسله واحدة، فالتسبيح خاص في لعاب الكلب إذا ولغ ولحس شيئاً بلسانه.

** يجب على المسلم بعد قضاء الحاجة أن يزيل النجاسة من مخارج السبيلين حتى يرجع المكان نظيف كما كان وذلك بالاستنجاء «بالماء» الطاهر بيده اليسرى، أو بالاستجمار «بغير الماء» بالأحجار وما يقوم مقامها من

مناديل أو خشب أو خِرَق أو كراتين أو غيره، ولكن لا بد أن يكون بشيء طاهر وينقي وينظف المكان ويكون جامدًا صلبًا غير مائع ولا مبتل كما يُمنع استخدام العظام لأنه طعام إخواننا المسلمين من الجن، وتمنع الأرواث كذلك لأنها علف دواب الجن، ويشترط أن يكون الاستجمار بثلاث قطع سواءً حجر أو خشب أو أي شيء، أو أكثر إذا لم تكفِ الثلاثة حتى يطهر المحل ويزيل الأذى وأن تكون آخر مسحة ليس عليها نجاسة، والاستجمار جائز حتى مع وجود الماء لأن المهم هو أن تزول النجاسة بأي طريقة، ولكن الماء أفضل منه، ومن أصابته نجاسة في بدنه أو ملابسه وكانت سائلة كالبول فإنه يصب الماء بكثرة ثم يفركه ويعصره بحيث لا يبقى للنجاسة أثر، وإن كانت النجاسة جامدة كالغائط أو الدم فإنه يزيل عين النجاسة أولاً ثم يصب الماء بكثرة ويعصر ويفرك الثوب، وإذا بقي أثر للنجاسة من ريح أو لون وتعسرت إزالته عُفِيَ عنه.

*** ملامسة اليد الطاهرة للثوب النجس لا تنجسها إذا كان كلاهما ناشف، أما لو كان أحدهما رطب ومبتل فتنتقل النجاسة.

6- ستر العورة: فمن صلى وهو كاشف لعورته أو صلى بثوب شفاف يبين لون الجلد ويصفه أو به شقوق فإن صلاته لا تصح، والعورة عورتان: عورة نظر «هي ما يحرم كشفه أمام من لا يحل النظر إليه»، وهذا القسم يُستر لأن في كشفه قبح وفحش، وهو سبب لشهوة الرجال للنساء، والنوع الثاني هو عورة صلاة «هي ما يجب ستره في الصلاة» وهذا القسم يُستر لأن فيه حق لله وتعظيم للقيام بين يديه، ألا ترى أن الرجل يستحب له أن يستر عاتقيه في الصلاة، وأما خارجها فلا يستحب له ذلك، وكذلك المرأة لو صَلَّتْ لوحدها وجب عليها الاختمار مع أنها خارج الصلاة يحل لها أن تكشف رأسها إذا كانت لوحدها أو أمام محارمها، وعلى عكس هذا يجب عليها تغطية وجهها خارج الصلاة أمام

الأجانب ولكنها تكشفه في الصلاة إذا كان لا يراها رجال أجانب، والتفصيل على النحو التالي: -

- الصغير والصغيرة أقل من سبع سنين ليس لهما عورة.

- الذكر المميز من سبع إلى عشر سنين عورته الفرجان داخل وخارج الصلاة.

- البنت الحرة المميزة من سبع إلى تسع سنين عورتها في الصلاة وكذلك خارج الصلاة إذا كانت أمام محارمها ما بين السرة إلى الركبة، وأما خارج الصلاة أمام الأجانب فجميع بدنها عورة إلا الوجه والرقبة والرأس واليدين إلى المرفقين والساق.

- الذكر الذي بلغ عشر سنين فصاعدًا عورته ما بين السرة إلى الركبة داخل وخارج الصلاة، وأما ستر العاتق «هو ما بين المنكب والعنق» للرجل في الصلاة فهو سنة.

- المرأة الحرة التي بلغت تسع سنين فصاعدًا عورتها في الصلاة جميع بدنها إلا وجهها «لكن إذا كان يراها رجال أجانب فتغطي وجهها حتى في الصلاة». وأما خارج الصلاة أمام الأجانب فكلها عورة، وأمام محارمها لها كشف الرأس والوجه والرقبة واليدين إلى المرفقين والقدمين، وعورتها أمام النساء من السرة إلى الركبة.

- الأمة «العبد المملوكة» عورتها داخل وخارج الصلاة ما بين السرة إلى الركبة إلا إذا خيفت الفتنة فتصبح مثل عورة الحرة، وذلك لقاعدة (كل ما زاد التشريف زاد التكليف) والحرة أفضل من العبد فزاد تكليفها، وكذلك كُلَّف

الرجل بأمور لم تكلف بها المرأة كصلاة الجماعة والجهاد والمهر والنفقة، وأفضل تشريف هو تشريف الأنبياء ومن ذلك أن قيام الليل واجب في حق نبينا مستحب في حقنا، وكذلك الفرار من القتال فيجوز للمسلم أن يفر من الكفار في حال كانوا أكثر من الضعف، أما النبي فلا يفر مهما كان العدد.

7- الوقت: قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ النساء [103] أي لها وقت محدود ومعين يجب أن تُصلى فيه، لأن أدائها في غير أوقاتها ينافي تعظيم الله ويخالف أمره، ومن رحمة الله أن جعل هذه الأوقات ليست قصيرة لتكفي للطهارة وأداء الصلاة، كما هيأ أسباباً لمعرفة دخول الوقت وخروجه وهي العلامات الكونية كروية الفجر الثاني الصادق والشروق والزوال واصفرار الشمس والغروب ومغيب الشفق الأحمر ونصف الليل، وهي معلومة ولا تخفى على أحد، أضف إلى ذلك هذه الساعات الحديثة المعاصرة والميكروفونات في المساجد، فلا يصعب على أحد معرفة أوقات الصلوات، أما من لا يصلي إلا إذا فرغ من نومه أو أشغاله الدنيوية فهذا والله قد أثر الحياة الدنيا على الآخرة وعمل للعاجلة الزائلة ونسي الدار الباقية، وسنذكر الأوقات في قسمها.

8- استقبال القبلة، فمن صلى إلى غير القبلة وهو قادر على استقبالها عالم باتجاهها فإن صلاته باطلة بالإجماع بدليل قوله تعالى ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ البقرة [144]، وقال ﷺ في حديث المسيء صلاته (ثم استقبل القبلة فكبر) [رواه البخاري]، فاستقبال القبلة من شروط الصلاة في الفرض، وكذلك في صلاة النافلة هي شرط باستثناء من كان في سفر وكان على دابة (كالبعير أو الحصان، وكذلك السيارة والطيارة ولكن متى ما تيسر له استقبال القبلة استقبالها فهي متزنة وليست كالحيوان)، فمثل هذا لا يشترط له استقبال القبلة، فلو صلاها على

دابته والقبلة خلفه فلا بأس، أما الفرض فلا بد من استقبال القبلة للمسافر والمقيم ولا تجوز صلاتها على الدابة إلا إذا كان لا يقدر كمن سافر على طائفة ولم يتمكن من الصلاة إلا على الكرسي وخشي خروج وقت الصلاة فهذا معذور، يصلي على كرسيه ولكن عليه أن يتجه للقبلة، أما إذا لم يخشى خروج الوقت وعلم أنه سيتمكن من الوقت فيؤجل الصلاة حتى ينزل من الطائرة ويصليها لأن القيام ركن في صلاة الفريضة، ومن الأحوال التي يسقط فيها شرط استقبال القبلة، من كان مريضاً لا يقدر على استقبالها أو كالذي لا يعلم اتجاهها ولم يجد أحداً يدلّه ويرشده أو كان مسافراً في البر والسماء فيها غيوم أو في الليل فهذا يتحرى ويرجح ويصلي، ولا تشترط أيضاً لمن صلى صلاة الخوف وكان يخشى هجوم العدو وعجز عن استقبال القبلة بحيث كان جيش الكفار في غير اتجاه القبلة، فهؤلاء جميعهم تصح صلاتهم لغير القبلة لجهلهم بها أو لعجزهم عنها.

****** من كان يشاهد الكعبة بعينه أو كان من أهل مكة العارفين بها استقبال عينها بكل بدنه ولا يستقبل يمينها أو شمالها لأن القبلة هي الكعبة وليست المسجد الحرام، ومن كان بعيداً عن الكعبة أو كان قريباً ولكن لا يمكنه مشاهدتها بسبب الأعمدة أو الجدران أو الازدحام الشديد استقبال جهتها، ومن كان على مداخل مكة استقبال المسجد الحرام، ومن كان خارج مكة استقبال مكة، المهم أن المسلم يجتهد لإصابة عين الكعبة فإن تعذر ذلك استقبال جهتها.

****** من كان بعيد عن مكة فإن الانحراف اليسير لا يضره ما لم يستدبر الكعبة أو يضعها على أحد جنبيه، ويكفيه في ذلك غلبة الظن، فمثلاً: من كان من أهل المدينة المنورة وصلى إلى الشرق أو الغرب أو الشمال فصلاته باطلة لقول النبي: (ما بين المشرق والمغرب قبله) [رواه الترمذي وابن ماجه ومالك]، هذا لمن كان جنوب أو شمال مكة، أما من كان شرق أو غرب مكة

فقبلته ما بين الشمال والجنوب، لأن إصابة العين مع البعد متعذرة وهذا تيسير من الله، والحديث يدل على عدم التدقيق والتكلف والتشديد الزائد في تحديد اتجاه القبلة لمن كان بعيد عن الكعبة، إلا أن يكون هناك تقنية حديثة كما هو موجود الآن كبرامج الجوال فلا نقول حينها أن جهة الغرب كلها قبلة لمن كان شرقاً عن مكة، بل نستفيد من العلوم الحديثة التي هي نعمة من الله، لأن البرامج والتطبيقات دقيقة جداً وصائبة يقيناً بإذن الله وقدرته، أما من كان بعيداً عن مكة وكان جاهلاً بالقبلة ولا أجهزة لديه ولا جوال ولا ناس يسألهم فهذا هو المقصود في الحديث، وأن صلاته صحيحة إذا صلى جهة الجنوب وكان شمالاً عن مكة، كما أن تشكيك الناس في قبلتهم إذا اجتهدوا لا ينبغي، فمن اجتهد وصلى ثم اتضح له بعد الصلاة أنه أخطأ في القبلة فلا إعادة عليه.

*** كان النبي في مكة يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ويستقبلهما جميعاً وبعد الهجرة لم يقدر على الجمع بينهما لتوسط المدينة بين مكة وبيت المقدس، فاستقبل بيت المقدس ستة عشر شهراً لكي يؤلف قلوب اليهود ويسلموا، وكان يتمنى أن يستقبل الكعبة لأن مكة هي أحب البلدان إلى قلبه، فأمره الله أن يستقبلها لأنها أفضل بقاع الأرض وأول مسجد بُني في الأرض، فقد تم بناؤه قبل بيت المقدس بأربعين سنة وبانيهما هو آدم عليه السلام، وإبراهيم هو من أعاد بناء الكعبة، وأما بيت المقدس فالذي أعاد بناءه هو سليمان عليه السلام، وأيضا هناك سبب آخر غير الأفضلية وهو ليعلم الله «علم وقوع وظهور بعد أن علمه بعلمه السابق» من يمثل لأمره وأمر رسوله فأما المسلمون فاستسلموا لله كما هي عادتهم، وأما اليهود فكفروا واعترضوا على تغييرها فوبخهم الله وقال لهم: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة 142]، يعني أن اليهود كذبوا بالرسول لمجرد أنه حول

وجهه بأمر ربه إلى البيت الحرام، ناسين أن الأرض والجهات كلها لله، فهذه هي الحكمة من تحويلها، وحتى لو كانت الحكمة خافية كما هو ملاحظ في بعض الأحكام الشرعية فلا ضير في ذلك لأن خفاء الحكمة اختبار من الله، كما أن المقصود الأسمى هو طاعة الله وليست الجهات، وإن كان لهاتين القبلتين فضل ومزية.

****** للقبلة مكانة عظيمة، فجهة الكعبة هي أشرف الجهات، لأنها قبلة الصلاة والحج والعمرة والطواف، فيجب تعظيمها بتجنب كل ما يمس قدسيته ومقامها، أو ما يخل باحترامها، قال عليه الصلاة والسلام: (من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة تفلّه بين عينيه) [رواه أبو داود]، فلا يجوز التفل والبصاق تجاه القبلة داخل وخارج الصلاة، ونهى النبي أيضاً عن استقبالها أو استدبارها عند قضاء الحاجة في الصحراء، وفي البنيان كذلك ينحرف المسلم عن استقبالها ما استطاع، كما يستحب استقبالها عند قراءة القرآن وعند الذكر والدعاء أو حتى لو كان مجرد جلوس.

9- النية: ومحلها القلب دون التلفظ بها، والتلفظ بها بدعة كقول البعض (اللهم إني نويت أن أصلي الظهر أربع ركعات أو اللهم إني نويت أن أطوف على الكعبة سبعة أشواط أو أن يقول هذا وضوء لصلاة الضحى) ومن صلى بلا نية فصلاته باطلة، ويُلحَق به من أُجِبَ بالقوة والإكراه على الصلاة فهو مثل من لم يصل، والنية مأمور بها العبد في جميع الأعمال لقول الرسول: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) [البخاري]، فلا يقبل الله أي عمل إلا بنية، وبعض الناس ربما يصلي أو يصوم لغير الله يرائي ويسمّع فهذا ليس مخلص لله، والرياء شرك أصغر فأمره خطير، أو يذهب للحج من أجل السفر والتنزه أو يتصدق ليقال عنه كريم فهذا يُؤزّر ولا يُؤجّر، ولا بد من تحديد العبادة في النية، فمن صلى العصر ثم تذكر في وسط الصلاة أنه لم يصل الظهر فلا يغير النية للظهر، بل لا بد أن يقطع صلاته وينوي الظهر ويصلها، فلا بد أن

ينوي أنها صلاة الظهر مع تكبيرة الإحرام ولو نوى قبل الإحرام فلا بأس، لأن النية لا بد أن تكون مصاحبة للعمل من أوله إلى آخره، وليُعلم أن الأصل وجود النية «هذا وجودها أما صلاحها فليس هو الأصل»، فلا يعقل أن أحدًا يصلي بلا نية، فالذي ذهب للمسجد أو قام ليصلي بعد أذان المغرب فماذا يريد إلا صلاة المغرب، فلا ينبغي التشدد في وجود النية لئلا يصيب الإنسان وسأوس، ويشترط أن تكون نية المسلم للمعمول له أي إخلاص العمل لله وحده دون غيره، كما يشترط أيضًا أن تكون نيته في العمل بتميز العبادات عن العادات، «مثال ذلك أن الشريعة أمرتنا بتعجيل الإفطار في رمضان لأن مجرد الأكل في أي وقت هو عادة»، وتكون نيته بتميز العبادات بعضها عن بعض «يعني أن يعلم ما هي الصلاة التي سيصليها وينوي ذلك مع تكبيرة الإحرام، أو أن يعلم وينوي لماذا صام هذا اليوم هل لأنه يوم الإثنين أم لأنه من الأيام البيض أم لأنه يوم عاشوراء أم أنه نذر»، وكذلك يجب أن تكون نية المؤمن بتميز وفصل الفرض عن النفل «مثل كوننا مأمورين أن لا نصل صلاةً بصلاة إلا بعد الكلام أو التحول من المكان الذي صلينا فيه، فلا يجوز لمن صلى الظهر مثلاً أن يقوم مباشرة فيصلّي الراتبة التي هي النافلة لئلا يتوهم أحد أنها من الفريضة، ومثل آخر يومين من شعبان فلا يجوز صومها إلا لمن كان عليه قضاء، أو إذا وافق يوم الثلاثين أو التاسع والعشرين من شعبان صيامه المعتاد كيوم الخميس أو كان من عادته أن يصوم يوم ويفطر يوم فلا بأس بصيامها».

*** نية المؤمن خير من عمله، لأن النية لا يدخلها الفساد، والعمل يدخله الفساد، كأن ينسى واجبًا من واجبات الصلاة أو يخدم والديه خدمة ناقصة لا ترضيهما أو ربما فعل الصائم بعض الذنوب أثناء صومه، أما النية فما دام مخلصًا لله وصادقًا ولا يستثقل الطاعة أو يتجزع منها فهذه نية طيبة لا فساد فيها، ولأن النية واحدة فمتى ما صلحت فهي طيبة، أما العمل فهو متعدد وكثير ويحتاج إلى مجاهدة وضبط للنفس ومعرفة للأحكام الشرعية، ولأن النية

بدون عمل قد تكون طاعة إذا نوى المؤمن العمل الصالح ومنعه عذر من مرضٍ ونحوه وكانت نيته خالصة لله لا رياء فيها، ولكن العمل بدون نية أو بنية لغير وجه الله لا يمكن أن يكون طاعة، وفي الحديث أن الرسول كان في غزاة فقال: (إن في المدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض) وفي رواية (حبسهم العذر) وفي رواية (إلا شركوكم في الأجر) [البخاري ومسلم واللفظ له]، وقال أيضاً (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً) [البخاري]، لأن نيته أن لا يقصر في العمل فلما مرض أو سافر نقص عمله فكتب الله له مثل عمله قبل المرض والسفر، فينبغي التنبه لأهمية النية فهي روح العمل، ولا يصلح العمل إلا بصلاح النية.

*** للنية أهمية كبيرة، حتى إن العادات والمباحات يؤجر عليها العبد إذا نوى بها كف نفسه عن الحرام أو التقوى على طاعة الله تعالى، فإنه مع الاحتساب تصبح العادات كالأكل والشرب والإنفاق على العيال عبادات يؤجر عليها المسلم، حتى نومه يؤجر عليه إذا احتسبه، والجماع يكون عبادة إذا نوى به إعفاف نفسه وإعفاف زوجته وطلب ولد صالح، فالأكياس عاداتهم عبادات والحمقى عاداتهم عادات وقال بعض السلف: (حبذا نوم الأكياس وفطهرهم يغبنون به سهر الحمقى وصومهم)، والذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين.

❖ ❖ تغيير النية في الصلاة له صور: _

1- من معيّن لمعيّن: وهو مثل من أراد أن ينتقل من سنة الضحى إلى راتبة الفجر التي يريد أن يقضيها، فكبر بنية أن يصلي ركعتي الضحى ثم ذكر أنه لم يصلي راتبة الفجر فحولها إلى راتبة الفجر وهذا لا يصح، لأن راتبة الفجر لم ينويها من أول الصلاة، كذلك أيضاً رجل دخل في صلاة العصر وفي أثناء الصلاة ذكر أنه لم يصل الظهر فنواها الظهر: هذا أيضاً لا يصح، لأن المعين لا

بد أن تكون نيته من أوله إلى آخره.

2- من مطلق لمعيّن: وهو مثل من يصلي صلاة نافلة مطلقة ثم ذكر أنه لم يصلّ الفجر أو لم يصلّ سنة الفجر فحوّل هذه النية إلى صلاة الفجر أو إلى سنة الفجر فهذا أيضًا لا يصح.

2- من معيّن لمطلق: يجوز لعذر أو لمصلحة وهو مثل أن يبدأ الصلاة على أنها راتبة الفجر وفي أثناء الصلاة تبين له أنه قد صلاها فهنا يصح أن يغيرها إلى نافلة مطلقة لأنه معذور، ومثل من صلى صلاة المغرب لوحده ثم دخل إلى المسجد جماعة فيجوز أن يغير نيته إلى نافلة مطلقة ويكملها ثم يسلم ويصلي مع الجماعة لينال الأجرين أجر النافلة وهي الصلاة الأولى وأجر الجماعة وهي الصلاة الثانية وهذه مصلحة، أو كمن دخل مع الجماعة في التشهد الأخير فهذا قد فاتته الجماعة لأن الجماعة تدرك بركعة والركعة تدرك بالركوع فحينها يجوز له أن يقلب نيته إلى نافلة مطلقة ويصليها خفيفة ليسلم ويلحق بالجماعة التي ستقام ثانيًا، وهذه الحالة للمصلحة أيضًا، وذلك لأن نية الصلاة المعينة متضمنة لنية مطلق الصلاة، فإذا ألغى التعيين بقي مطلق الصلاة.

*** يعتقد البعض أن صلاة الجماعة شرط من شروط صحة الصلاة وهذا اعتقاد خاطئ، الصحيح أن صلاة الجماعة في المسجد واجبة على الرجال غير المعذورين كعذر المرض أو السفر أو الخوف وغيره إذا كانوا قريبين من المسجد بحيث يسمعون الأذان بدون مكبر الصوت «الميكروفون» فمن تخلف عن الجماعة منهم فهو آثم وصلاته صحيحة، ونعني بالمسافر الذي ما زال يسير أما من وصل إلى بلد وسمع النداء فتلزمه صلاة الجماعة في المسجد ❖ ❖ أركان الصلاة: _

1 - القيام مع القدرة في صلاة الفرض، فيقف المسلم معظمًا لله سبحانه ولا يقف متكئًا على الجدار بل لا بد أن يقوم من غير شيء يتكئ عليه، أما مع

العجز لمرض أو كبر سن فلا بأس في عدم القيام، قال الرسول: (صلّ قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب) [البخاري]، أي مضطجعاً على جنبك، أما النافلة فتجوز صلاتها للقاعد حتى من غير عذر، لكن له نصف أجر القائم.

2- تكبيرة الإحرام وهي قول الله أكبر.

3- قراءة سورة الفاتحة للإمام والمنفرد، أما المأموم فيقرأها في الصلاة السرية ولا يقرأها في الصلاة الجهرية لأنه يستمع لإمامه، قال عليه السلام (كل صلاة لا يُقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام) كررها ثلاثاً [مسلم]، خداج: فاسدة.

4- الركوع: وأقله أن ينحني بحيث يمكنه مس ركبتيه بكفيه، وأكمله أن يمد ظهره مستوياً ويجعل رأسه حياله.

5- الرفع من الركوع والاعتدال قائماً.

6- السجود على الأعضاء السبعة «الجبهة والأنف والكفين والركبتين وأطراف القدمين» لأن الجبهة والأنف عضو واحد، وأقله وضع جزء من كل عضو، وأكمله تمكين الأعضاء من محل سجوده، ولا يجوز رفع أي عضو من الأعضاء السبعة أثناء السجود، مثل من يجد رائحة على موضع سجوده فيغير مكان سجوده أو يريد أن يحك قدمه بيده فلا يجوز هذا.

7- الرفع من السجود.

8- الجلسة بين السجدين.

9- التشهد الأخير «التحيات».

10- الجلوس للتشهد الأخير.

11- الصلاة على النبي في التشهد الأخير، والذي يجزئ هو قول: «اللهم

صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ» وما زاد على ذلك فهو سُنَّةٌ وأكمل الصَّيغ هي الصلاة الإبراهيمية.

12- التسليمتان وهي أن يقول مرتين: السلام عليكم ورحمة الله.

13- ترتيب الأركان.

14- الطمأنينة ومعناها سكون واستقرار الجسم في الأركان بقدر الذكر الواجب مثل قول: سبحان ربي العظيم في الركوع، وألاً يسرع عند التنقل بين الأركان.

❖ ❖ واجبات الصلاة: _

1- التكبير لغير الإحرام وهي تكبيرات الانتقال التي تكون عند الخفض والرفع في الصلاة.

2- قول (سمع الله لمن حمده) للإمام وللمنفرد، عند الرفع من الركوع.

3- قول (ربنا ولك الحمد) للإمام والمنفرد يقولونها بعد قول (سمع الله لمن حمده) وأما المأموم فيقولها بعد الرفع من الركوع.

4- قول (سبحان ربي العظيم) مرة في الركوع.

5- قول (سبحان ربي الأعلى) مرة في السجود.

6- قول (رب اغفر لي) مرة بين السجدين.

7- التشهد الأول «التحيات».

8- الجلوس للتشهد الأول.

❖ ❖ بعض سنن الصلاة: وهي ما عدا الأركان والواجبات، وسنن الصلاة القولية هي: _

- دعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام وله عدة صيغ، الصيغة الأولى

(سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك) [أبو داود والترمذي].

سبحانك: أنزهَكَ عن كل ما لا يليق بك من النقص ومن الكمال الذي أقل مما تستحق.

بحمدك: أثني عليك.

جَدُّكَ: عظمتك وغناك،

والصيغة الثانية هي (اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني بالثلج والماء والبرد) [البخاري ومسلم].

ففي أول الأمر تطلب من الله ألا تقترب الذنب ثم في حال إنك فعلته تطلب من الله أن ينقيك منه ثم مرحلة غسل الذنب وذهابه بالكلية، والأفضل أن نقرأ بهذا أحياناً وبهذا أحياناً ونجمع بين الأدلة ونعمل بها كلها ولا نسقط أو نهمل شيئاً منها، لكن لا يفهم من ذلك أننا نقرأ بالاثنتين في صلاةٍ واحدة، ومن اقتصر على دعاء واحد واستمر على قراءته فلا شيء عليه.

- التعوذ: وهو قول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

- البسملة: وهي قول بسم الله الرحمن الرحيم، وهي آية من القرآن نزلت للفصل بين السور ما عدا سورة التوبة، ولكنها ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور فمن تركها فصلاته صحيحة.

- قول (آمين) بعد الفاتحة ومعناها اللهم استجب.

- قراءة سورة بعد الفاتحة.

- الجهر بالقراءة للإمام.

- قول (اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما

وملء ما شئت من شيء بعد) [رواه مسلم]، وله صيغ أخرى وردت عن النبي، وهذا الدعاء سنة وأما الواجب فهو قول (ربنا ولك الحمد).

- ما زاد على المرة في تسبيح الركوع.

- ما زاد على المرة في تسبيح السجود.

- ما زاد على المرة في قوله بين السجدين (رب اغفر لي).

- قول عدة أدعية بعد التحيات والصلاة الإبراهيمية أي قبل التسليم، روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: (إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال).

والدعاء الثاني: (اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم) [متفق عليه].

وكذلك هذا الدعاء: (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت) [مسلم]، وهذه الأدعية ألفاظها متعددة ونقول فيها كما قلنا في تعدد صيغ الاستفتاح.

أما سنن الصلاة الفعلية فهي: -

- رفع اليدين مع تكبيرة الإحرام.

- وضع كفه اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد وجعلهما تحت سرتة مباشرة، والحكمة منه هو كف اليدين عن العبث بهما والشعور بالخشوع والتذلل لله تعالى.

- نظره إلى موضع سجوده لكيلا يسهو في صلاته.

- تفرقته بين قدميه قائمًا.
- رفع اليدين عند الركوع.
- رفع اليدين عند الرفع من الركوع.
- رفع اليدين إذا قام من التشهد الأول إلى الركعة الثالثة.
- قبض ركبتيه بيديه مفرجتي الأصابع في ركوعه ومد ظهره بحيث يكون مستوي وجعل رأسه حيال ظهره فلا يخفضه ولا يرفعه عنه.
- تمكين أعضاء السجود من الأرض «أي تمكين كل جبهته، وكل أنفه، وكل بقية أعضاء السجود، والتمكين أبلغ من الملازمة» ومباشرتها لمحل السجود «يسجد بدون حائل»، فإذا سجد على حائل متصل كالشماغ مثلاً فيجوز للعذر مثل حر الرمضاء وغيره ويكره لغير العذر، وإذا سجد على حائل غير متصل مثل السجادة فيجوز إذا كانت ليست مرتفعة كثيراً عن الأرض أو كانت مرتفعة لكنها تنضغط بحيث لا تكون أعضاء السجود مرتفعة عن الأرض وتكون أعضاؤه مستقرة، وأما إذا كانت مرتفعة كثيراً ولا تنضغط ولا تستقر أعضاؤه على الأرض فلا يجوز السجود عليها وتبطل صلاته، ومثله أيضاً من يسجد على طاولة مرتفعة لا تلامس الأرض فصلاته باطلة لأن سجود الأعضاء السبعة على الأرض ركن من أركان الصلاة وهذا قد سجد في الهواء، وأيضاً ممنوع السجود على شيء رخو يغوص فيه وجه المصلي ولا يستقر عليه مثل العشب الطويل أو الإسفنج الناعم، وأما الركبتين فيكره مباشرتهما لمحل السجود بل يسترهما، والركبة ليست عورة فلا يجب سترها في الصلاة ولكن كشفها مكروه، كما يسن له في السجود مجافاة عضديه عن جنبيه وبطنه عن فخذه وفخذه عن ساقيه وتفريقه بين ركبتيه وإقامة قدميه ووضع أطرافها على الأرض والتفريق بينهما، ووضع يديه حذو منكبيه مبسوطة مضمومة الأصابع، وأن يضع ركبتيه قبل يديه عند سجوده.

- الافتراش في الجلوس بين السجدين وفي التشهد الأول ومعناه: أن ينصب قدمه اليمنى قائمة على بطون الأصابع ويفرش رجله اليسرى ويجلس عليها.

- وضع اليدين على الفخذين مبسوطتين مضمومتين الأصابع بين السجدين، وكذا في التشهد إلا أنه يقبض من اليمنى الخنصر والبنصر ويحلق إبهامها مع الوسطى ويشير بسبابتها عند ذكر الله.

- التورك في التشهد الأخير وله صفتين، أن يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى ويخرجهما من الجانب الأيمن ويجعل إتيته على الأرض أو أن يفرش القدمين جميعاً.

- التفاته يميناً وشمالاً في تسليمه.

****** من ترك شرطاً ناسياً أو جاهلاً أو متعمداً لزمه أن يعيد الصلاة لأنها قد بطلت، إلا لعذر كالمريض الذي لا يقدر أن يستقبل القبلة، أو الذي لا يعرف القبلة ولم يجد أحداً يرشده إلى اتجاهها، ومثل الذي لم يجد ما يستر به عورته ****** من ترك ركناً متعمداً مع قدرته على أدائه بطلت صلاته، وإن تركه لعجزه عنه كالمريض الذي لا يقدر على القيام فهذا معذور ويصلي جالساً، وإن تركه نسياناً ولم يذكره إلا بعد فراغه من الصلاة وطال الفصل بطلت الصلاة وعليه إعادتها، وإن لم يطل الفصل لم تبطل الصلاة ولكن يلزمه أن يأتي بركعة تامة، إلا أن يكون المنسي التشهد والسلام، فإنه يأتي به ويسلم ثم يسجد لسهوه ولا يأتي بركعة تامة، وإذا ترك الركن وتذكره وهو في صلاته فإن الركعة التي ترك منها ركناً من الأركان لا تبطل إذا لم يصل إلى نفس المحل من الركعة التالية، وعندها يرجع ويأتي بالركن ويكمل صلاته ويسجد للسهو، مثال ذلك: كأن ينسى الركوع، ثم يتذكره في السجود من نفس الركعة، أو يتذكره في

قراءة الركعة التالية، فيترك السجود أو القراءة ويركع، ثم يتم ركعته، وأما إذا ذكر الركن المنسي بعد الوصول إلى موضعه من الركعة التالية، ألغى الركعة الناقصة، وجعل هذه محلها، وأتم صلاته، وذلك كأن ينسى الركوع من الأولى، ثم يتذكره عند ركوع الثانية، فتلغى الركعة الأولى، وتكون الثانية هي الأولى بالنسبة له، وأما من ترك الركن جاهلاً فهذا يعيد الصلاة.

****** من ترك واجب عمداً بطلت صلاته، وإن تركه نسياناً سقط عنه الواجب وعليه أن يسجد للسهو قبل السلام، وإن كان جاهلاً فصلاته صحيحة، ولا إثم عليه وهو معذور، ما لم يحصل منه تقصير في سؤال العلماء.

****** من ترك سنة من سنن الصلاة عامداً فلا إثم عليه ولا يسجد للسهو، وأما إن تركه نسياناً فلا يسجد للسهو إلا إذا كانت هذه السنة من عاداته أن يفعلها فيستحب له سجود السهو.

****** الأركان والشروط لا تسقط إلا في حالة العجز عنها فقط.

****** يخلط بعض الناس بين الطمأنينة «السكون والاستقرار» وبين الخشوع «خوف وتذل القلب ويظهر على الجوارح»، وبين حضور القلب «الفهم والانتباه»، فحضور القلب إذا نقص نقص الأجر وإذا زاد زاد وإذا ذهب الحضور بالكلية بطل الثواب ولم تبطل الصلاة، وتبرأ ذمة المسلم بأدائها، قال عليه الصلاة والسلام: (إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها) [أبو داود والإمام أحمد في المسند واللفظ له]، والنبي يقصد أن نقص حضور القلب سواء كان السبب التفكير أو غفلة تمنع فهم القرآن والذكر في الصلاة أنه ينقص الأجر، وقال ابن القيم رحمه الله (وهذا بإجماع السلف أنه ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها وحضره بقلبه) اهـ «بدائع الفوائد» (2/ 696)، فمن عقل

صلاته كلها كتب له كامل الأجر، وأما الخواطر التي تمر سريعاً فلا تؤثر على الصلاة وقُلَّ من يسلم منها ولكن الأفضل والأكمل أن يسلم المصلي منها، أما الخشوع فحكمه أنه مستحب يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، فالذي يخشع يزيد أجره، والذي لا يخشع لا يأثم لأن القلب بيد مقلب القلوب سبحانه وحده، قال ابن جزي رحمه الله في التفسير: (الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون، والإقبال على الصلاة، وعدم الالتفات، والبكاء والتضرع... والصواب أنه أمر زائد على حضور القلب، فقد يحضر القلب ولا يخشع) وأما الطمأنينة فهي من أركان الصلاة كما ذكرنا مسبقاً.

❖ ❖ بعض مكروهات الصلاة: _

- الالتفات بالرأس أو بالعين لغير حاجة، وهو مكروه وينقص أجر المصلي ولا يبطل صلاته، لأنه يشتت الذهن ويذهب الخشوع، وأما إذا احتيج إليه فعندها يجوز وتزول عنه الكراهة كمن خاف على نفسه من العدو أو على ماله من السرقة، وكذلك من أراد التعوذ بالله من الشيطان الرجيم الذي يوسوس له فلا حرج عليه أن يلتفت بل هو مستحب، وهناك نوع ثاني وهو الالتفات بالبدن وهذا مبطل للصلاة لأن استقبال القبلة شرط من شروط صحة الصلاة.

- رفع البصر إلى السماء.

- تغميض العينين، لأنه خلاف السنة في مشروعية رمي العينين إلى موضع السجود، ولأن لكل عضو حظه من العبادة وكذلك العينان.

- افتراش الذراعين في السجود.

- الإقعاء بين السجدين وهو أن يضع إليته «مقعده» على الأرض

وينصب ساقيه ويضع يديه على الأرض كما يقعي الكلب وهذا مكروه، وأما الإقعاء المسنون الذي فعله النبي فهو أن يضع إتيه على عقبه سواءً نصب القدمين أم افترشها، ويضع يديه على ركبتيه، ولكن الافتراش أولى منه لأنه كان أكثر فعل النبي، والأفضل أن نجمع بينهما ويكون الافتراش هو الأغلب والإقعاء المسنون أحياناً.

- الحركة اليسيرة لغير حاجة، إما لحاجة فلا بأس، فقد حمل النبي أمانة بنت زينب وهو يصلي بالناس، فهذه حركة لضرورة وكانت متفرقة أيضاً وليست متتابعة فقد حملها ثم بعد ذلك حطها، لكن إذا كثرت حركته بدون عذر فصلاته باطلة.

- العبث وهو عمل ما لا فائدة فيه ولا حاجة له سواءً كان برجل أو يد أو لحية أو ثوب أو مسح التراب من جبهته ومن موضع سجوده، أو فرقة الأصابع وتشبيكها.

- كف «جمع» الشعر للرجل، وكف الثوب وتشمير الكم عند الركوع أو السجود، لكي يركع ويسجد مع المصلي جميع شعره وثوبه.

- التلثم «تغطية الفم أو الأنف بالعمامة أو الكمامة ونحوهما» وهو مكروه لأنه مشابه لفعل اليهود، ولأن فيه عدم تأدب مع الله، كما أنه يجعل المصلي يسجد على حائل متصل وهذا مكروه، وأما إذا كان هناك حاجة له كبرد شديد أو روائح كريهة أو غبار زالت عنه الكراهة وجاز للمصلي أن يتلثم.

- السدل: وهو مكروهٌ بنوعيه، فيكون في الثياب ويكون في اليدين، أما سدل الثوب فهو أن يطرح الرداء على كتفيه ولا يرد أحد طرفيه على الكتف الأخرى فيكون مرتخي كما يفعل المعتمر، وأما سدل اليدين فهو خلاف القبض وهو

إرسالهما وإنزالهما عند القراءة، أما بعد الرفع من الركوع فهو مُخَيَّر بين سدل يديه وقبضهما، والسدل بنوعيه ينقص الأجر لأن فيه نقص لتعظيم الله كما أن القبض فيه زيادة لتعظيم الله والتأدب معه وزيادة في الأجر، والقبض يمنع العبث باليدين فلا تكثر حركته ولا ينشغل عن صلاته، وقيل إن سبب كراهية السدل لأن فيه تشبه باليهود، ونحن قد أمرنا في مواضع كثيرة بمخالفة الكفار، ومن صور السدل في الثياب عدم إدخال اليدين في كُم الجاكيت أو الكوت أو المشلح أو الفرو.

- اشتمال الصماء: أن يشتمل بثوب ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على أحد منكبيه، وهو مثل الاضطباع في الطواف الذي يخرج فيه أحد الكتفين، وهو مكروه لأنه قد يؤدي إلى كشف العورة، وأما إذا لم ينكشف أحد الكتفين وكان يستره ثوب آخر تحته فلا يكره حينئذ.

- أن يصلي والطعام حاضر ونفسه تشتهيه، أو يكون حاقناً للبول، لأن ذلك يُخل بالخشوع، قال ﷺ: (لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان) [مسلم].

لا صلاة: لا صلاة كاملة أي أن أجره في صلاته ناقص وليس بكامل.

الأخبثان: البول والغائط.

❖ ❖ مبطلات الصلاة: _

- ترك ركن أو شرط أو واجب عمداً، أما الجاهل والناسي والعاجز فقد ذكرنا أحكامهما.

- الأكل أو الشرب.

- الكلام متمداً عالمًا ذاكراً، أما الناسي والجاهل والمخطئ فلا تبطل صلاتهم.

- الحركة الكثيرة المتوالية لغير حاجة، ولا تبطل إذا كانت الحركة لحاجة مثل: (دفع المار بين يدي المصلي وقتل الحية والعقرب).

- الضحك عمدًا، لكن من كان ضحكه قد غلبه ولم يتمالك نفسه بحيث لا يقدر على رد الضحك، فهو معذور ولا تبطل صلاته، مع العلم بأن هذا نادرًا ما يحدث، ولا تبطل الصلاة بالتبسم.

****** هناك أمر جعله بعض العلماء من المبطلات وهو صلاة الفرد خلف الجماعة لحديث: (لا صلاة لمنفرد خلف الصف) [أحمد وابن ماجه]، وثبت أيضًا أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يصلي خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة كما عند أبي داود، وهذا محمول على أنه كان هناك فرجة في الصف فبطلت صلاته، أما من جاء والصف قد اكتمل ولم يجد له مكان فإنه يقارب المصلين بعضهم من بعض ليجد مكانًا وإن لم يستطع يصلي خلف الصف، ولا يتقدم إلى الإمام ليصلي إلى جنبه ولا يترك صلاة الجماعة لأنها واجبة ولا يجذب أحدًا من الصف ليقف معه، لكيلا يفتح فرجة في الصف ونحن مأمورون بسد الخلل، ولأن فيه أيضًا تعدي على الغير فكيف تجذب أخيك من المكان الفاضل إلى المكان المفضول بسبب تأخره وهو قد سبقك إليه، والمصافاة واجبة لكن سقطت بالعجز، ولا واجب مع العجز، فإذا كان الركن والشرط يسقطان مع وجود العجز فالواجبات من باب أولى.

****** من أفضل الطاعات للرجال المسلمين هي الصلاة في المسجد ولكن البعض يعتقد أن المصلي له أحكام المسجد، وهذا غير صحيح فهناك فروق بينهما: -

1- المسجد أرضه موقوفة لله وليست مملوكة لأحد والمصلي أرضه مملوكة فيجوز بيعه سواء كان تابع لمبنى «مدرسة أو مستشفى أو محطة وقود»، أو حتى لو كان مستقل أيضًا، أما المسجد فلا يباع ولا يؤجر لأنه موقوف للعبادة فقط.

2- للمسجد فضائل كثيرة على المصلي ومنها: _

أن الصلاة في المسجد مع الجماعة تفضل ب سبع وعشرين درجة عن الصلاة خارجة، والمسجد يمنع فيه البيع والشراء ونشد الضالة ودخول الحائض والجُنُب ويشرع له تحية المسجد والدعاء عند دخوله والخروج منه وأجر المشي إلى المساجد والاعتكاف وغيرها، فينبغي للمسلم أن يصلي في المسجد مع الجماعة لتضاعف حسناته وينال الأجر الكثير.

❖ ❖ أوقات الصلوات الخمس: _

صلاة الفجر: من طلوع الفجر الثاني الصادق إلى شروق الشمس، والفجر الثاني هو البياض المعترض في الأفق من جهة المشرق ويمتد من الشمال إلى الجنوب ونوره يزداد ولا ينقص، وأما الفجر الأول فإنه يكون ممتدًا طولًا من الشرق إلى الغرب، ونوره مدته قصيره ثم يظلم ويخرج قبل الفجر الثاني بساعة تقريبًا.

صلاة الظهر: من زوال الشمس إلى أن يصير ظل كل شيء مثله غير ظل الزوال فلا نحسبه.

صلاة العصر: لها وقتين، وقت الاختيار وهو إذا صار ظل الشيء مثله غير ظل الزوال إلى أن تصفر الشمس وأما وقت الضرورة فهو من اصفرار الشمس إلى غروبها.

صلاة المغرب: من غروب الشمس إلى غياب الشفق الأحمر وهو الحمرة التي تكون في جهة الغرب.

صلاة العشاء: لها وقتين، وقت الاختيار من غياب الشفق الأحمر إلى نصف الليل وأما وقت الاضطراب فهو من نصف الليل إلى طلوع الفجر الثاني.

*** الزوال هو أن تبدأ الشمس بالميل إلى جهة الغرب بعد توقفها في كبد

السماء «وسطها وأعلاها»، فإذا انتصف النهار وكانت الشمس وسط السماء فهذا هو وقت النهي وإذا بدأت بالميل غرباً ولو شيئاً يسيراً انتهى وقت النهي وبدأ وقت صلاة الظهر، ومعرفة الزوال تكون بوضع عمود فإذا طلعت الشمس من المشرق سيكون ظل هذا العمود نحو المغرب وكلما ارتفعت الشمس نقص الظل، فما دام ينقص فالشمس لم تزل، وسيستمر الظل في التناقص حتى يقف عند حد معين وقد ينعدم وقد لا ينعدم حسب اختلاف الأزمنة والأمكنة، ثم يبدأ الظل يزيد نحو المشرق، فإذا زاد أقل زيادة فقد زالت الشمس، وحينئذ يكون قد دخل وقت صلاة الظهر، وإذا أردت أن تعرف هذا بالساعة اقسم ما بين طلوع الشمس إلى غروبها على اثنين، فإذا كان طلوعها الساعة السادسة وغروبها الساعة السابعة فالفرق بينهما ثلاثة عشر ساعة اقسمها على اثنين فهذه ستة ونصف ثم أضفها على ستة، فيكون نصف النهار عند الساعة الثانية عشر ونصف وهذا بداية وقت النهي.

****** اصفرار الشمس يحدث بعد أن تكون مرتفعة بيضاء وهذا يختلف باختلاف الزمان والمكان، ففي دولة المملكة العربية السعودية والخليج عمومًا فإن الشمس تصفر قبل الغروب بنحو ثلاثين دقيقة صيفًا وعشرين دقيقة شتاءً.

****** حساب نصف الليل يُعرف بتقسيم عدد الساعات بين الغروب والفجر على اثنين، فلو فرضنا أن أذان المغرب الساعة 6: 30 وأذان الفجر الساعة 3: 30 فعندها يكون نصف الليل الساعة 11.

****** الوقت شرط للصلاة، فمن صلاها في وقتها الضروري من غير عذر فهو آثم، ومن صلاها بعد انتهاء وقتها الضروري من غير عذر فعمله هذا من كبائر الذنوب، لكن لا بد أن يؤديها حتى لو خرج وقتها ولا يتركها، والإخلال المتعمد بأي شرط من شروط الصلاة دون عذر هو كالترك، فالعصر والعشاء

لا تجوز صلاتهما في وقت الضرورة إلا لعذر كالمغمی عليه إذا أفاق والحائض إذا طهرت فهؤلاء إذا زالت أعذارهم قبل الفجر يصلون المغرب والعشاء وإذا زالت أعذارهم قبل الغروب يصلون الظهر والعصر.

**** الوقت الذي تخرج فيه صلاة الظهر هو نفس الوقت الذي تدخل فيه صلاة العصر فليس هناك مدة زمنية بينهما، ونفس الحال مع المغرب والعشاء.**

**** يستحب تبكير الصلوات الخمس في أول وقتها، وأكدها في التبكير هي صلاة المغرب لقصر وقتها، قال الرسول عليه الصلاة والسلام لما سُئِلَ أي الأعمال أفضل؟ (الصلاة في أول وقتها) أبو داود، وكانت عادة الرسول التبكير والمبادرة للصلاة بحيث يكون بين الأذان والإقامة أقل من عشر دقائق، وهذا باستثناء حالتين: -**

1- الإبراد في شدة الحر في صلاة الظهر وذلك بتأخيرها إلى آخر وقتها قبل أن يدخل وقت العصر، لقوله عليه الصلاة والسلام: (إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم) [البخاري ومسلم]، إلا إذا اتفق جماعة المسجد أن يصلوها في أول الوقت في شدة الحر فعلى المسلم أن يبادر إلى الجماعة لأنها واجبة وأيضاً إذا كان هناك مكيفات للتبريد كما هو حاصل في أغلب البلدان الإسلامية في هذا الزمن، فتصلى في أول الوقت لقاعدة «الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا».

2- تأخير صلاة العشاء إلى ثلث الليل الأول لقول الرسول: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل أو نصفه) [الترمذي]، إلا إذا كان في هذا التأخير مشقة أو يخشى أن يكون سبباً لتضييع الصلاة بالنوم عنها فإنها تصلى في أول الوقت، كما أن حضور العشاء مع جماعة المسجد مقدم على مصلحة تأخيرها وصلاتها خارج المسجد، لأن الجماعة واجبة وتأخيرها إلى ثلث الليل مستحب، وإمام المسجد ينظر للجماعة فإذا اجتمعوا عجلها ولا يشق عليهم وإذا أرادوا تأخيرها أخرها لأن ذلك سنة عن الرسول.

❖ ❖ أوقات النهي:

الصلاة مشروعة في كل وقت ولكن هناك أوقات يحرم أداء صلاة التطوع فيها وهي: -

1- من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس.

2 - من طلوع الشمس إلى ارتفاعها قيد «قدر» رمح، وذلك في عين الناظر ومقداره ربع ساعة من بعد الشروق، وسبب النهي أن الكفار يسجدون لها عند طلوعها وعند غروبها، والتشبه بالكفار حرام في عاداتهم كإطالة الشارب ونحوه فكيف بالتشبه بهم في عاداتهم، وكذلك لأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، يعني أن الشيطان يقابلها أو يحاذيها بقرنيه «جانبى رأسه» ليكون الساجدون لها كأنهم ساجدون له.

3- عند قيام الشمس في كبد السماء «وسطها وأعلاها» وذلك عند نصف النهار، حتى تبدأ في الزوال «تميل إلى جهة المغرب» وهو أقصر ما يكون للظل في النهار، وقد ينعدم الظل في بعض البلدان وفي بعض أوقات السنة، ومقداره عشر دقائق، وسبب النهي عن الصلاة في هذا الوقت أن جهنم تُسَجَّر «توقد» فيه.

4- من بعد صلاة العصر إلى أن تبدأ الشمس بالغروب «يعني إذا بدأ أول قرصها يغيب»، ومقداره خمس دقائق قبل الغروب، فمن جمع العصر جمع تقديم مع الظهر فيبدأ وقت النهي في حقه مباشرة بعد جمع الصلاتين.

5- من بداية غروب الشمس إلى أن تغرب.

❖❖ نلاحظ أن رقم 1 و2 متصلتان وليس بينهما فاصل، وكذلك 4 و5.

❖❖ يجوز التطوع والتنفل قبل أداء صلاة العصر وكذلك قبل أداء صلاة الفجر، لأن وقتي النهي هما بعد أداء صلاتي الفجر والعصر وليس بعد دخول أوقاتهما.

**** تستثنى من ذلك صلاة الفريضة، فإذا ذكرها المسلم بعد النسيان أو إذا غلبه النوم ثم استيقظ، فيصلّيها مباشرة في أي وقت حتى لو كان وقت نهي.**

**** النافلة المطلقة لا تُصلّى في هذه الأوقات الخمسة أبداً، أما ذوات الأسباب مثل: [تحية المسجد - صلاة الكسوف - ركعتي الطواف - سنة الوضوء - الصلاة المندورة «مثلاً لو قال: نذر عليّ إذا عاد فلان من السفر أن أصلي ركعتين عندما أشاهده مباشرة وعاد المسافر بعد صلاة العصر» فهذا لم يتعمد الصلاة في وقت النهي - صلاة الجنازة وكذلك الدفن في المقابر - سجود التلاوة والشكر، وغيرها]، فيجوز أن نصلّيها في الوقتين الطويلين (من بعد صلاة الفجر إلى الشروق - من بعد صلاة العصر حتى يبدأ أول قرص الشمس بالغروب)؛ لأن النهي فيها ليس لذات الوقت وإنما سداً لذريعة الشرك، لئلا يتمادى المسلم ويستمر في الصلاة إلى الشروق أو إلى الغروب، فهو نهي خفيف، وأيضاً ذوات الأسباب ليس فيها تحرّي وقصد وإنما هي لسبب اعترض للمسلم من غير اختياره، فلا يكون فيها مشابة للمشركين، ومن رآه يصلي لا يظن أنه يتشبه بالمشركين لعلمه بسبب صلاته، ولا تؤدي ذوات الأسباب في الأوقات الثلاثة القصيرة لأن النهي فيها لذات الوقت لئلا يتشبه المسلم بعباد الشمس الذين يصلون ويسجدون لها عند شروقها وعند غروبها، ولئلا يصلي في منتصف النهار وهو الوقت الذي توقد وتسعر فيه النار، فالنهي في الأوقات الثلاثة القصيرة نهي شديد.**

**** من فاتته السنن الرواتب فله أن يقضيها في غير أوقات النهي وكذلك في أوقات النهي التي يكون النهي فيها ليس بشديد مثل أن يصلي سنة الفجر بعد فريضة الفجر أو بعد طلوع الشمس قيد رمح، وله قضاء راتبة الظهر القبليّة بعد صلاة الظهر أو حتى لو صلاها بعد صلاة العصر وكذلك راتبة المغرب بعد العشاء أو راتبة العشاء بعد نصف الليل، أو بعد طلوع الفجر ولكن يشترط أن**

يكون تأخيرها لها لعذر كنوم أو نسيان أو انشغال ولا يكون عامداً، ويسن قضاء الوتر لمن كان مريضاً في الليل أو غلبه النوم، فيقضيها في النهار بعد طلوع الشمس قيد رمح ولكن يزيد ركعه، فإذا كان وتره ثلاث ركعات صلى أربعاً، وإذا كان يوتر بخمس صلاها ست، وكان النبي إذا شغله عن وتره مرض أو نوم صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة وكان وتره في الغالب إحدى عشرة ركعة.

❖ ❖ أحوال المأموم مع إمامه في الصلاة: _

1- سبق: أن يسجد المأموم قبل الإمام أو يرفع من الركوع قبله وهذا محرم وصلاته باطلة إلا أن يكون ناسياً أو جاهلاً للحكم.

2- تخلف: إذا كان التخلف يسير وأدرك إمامه قبل أن يرفع من الركوع فهذا مخالف للسنة، وإذا ركع بعد أن يرفع إمامه من الركوع فالصلاة باطلة.

3- موافقه: مثل من يسجد أو يركع مع الإمام سواء وهذا مكروه.

4- متابعة: هذه هي السنة ومعناها أن المأموم لا يبدأ في الانتقال إلى الركن إلا بعد وصول الإمام إليه، فلا يبدأ بالانحناء للسجود حتى يضع الإمام جبهته على الأرض، ولا يبدأ بالانتقال للركوع حتى يصل الإمام للركوع تماماً، وهذا لمن يرى الإمام، أما من لا يراه من المأمومين فإنه يقتدي بصوته، فيبدأ بالانتقال إلى الركن بعد انتهاء الإمام من التكبير.

❖ ❖ سُنَّة المصلي: _

اتخاذ السترة سنة للمصلي ليتمكن من الخشوع في الصلاة، فلا يمر أحد بينه وبين سترته، كما يسن له أيضاً الدنو من السترة، وحتى من صلى وحيداً ولم يخشى أن يقطع صلاته أحد يضعها لئلا يمر الشيطان بين يديه ويلهي عن صلاته، واتخاذها يكون في السفر والحضر والفرض والنفل، والسترة من أي شيء تجوز سواء كانت جداراً أو سارية أو كرسي أو مركب أو وسادة أو سهم

أو سوط أو غيره، وأقل ما تكون السترة مثل مؤخرة الرحل وهو العود الذي في آخر الرحل، والرحل: هو ما يوضع على الدابة لأجل الركوب وهي على سبيل التقريب لا التحديد تقارب الذراع «من المرفق إلى طرف الأنامل» يعني نصف متر، وأما قدرها في الغلط والدقة فلا حد له فإنه يجوز أن تكون دقيقة كالسهم والحربة وغليلة كالحائط، فإن لم يجد سترة قائمة صلى ولو إلى عصا مطروحة أو يخط خطأ إذا كان يصلي على التراب، أو كأطراف السجادات التي فيها هذب أو مثل بعض الفرش في المساجد والمصليات يكون بها خطوط فهذه يصح جعلها ستره إذا قصدتها ولكن الأولى أن يبحث عن شيء قائم يستتر به، ومسافتها ثلاثة أذرع من قدميه ولا يزيد على ذلك لأن المراد بها أن تكون على قدر موضع صلاته وسجوده، لكن ينبغي للمصلي ألا يعتمد إلى السترة فيكون في صورة من يسجد لغير الله فلا يستقبلها وإنما ينحرف عنها يسيرًا، ومن هنا كره العلماء أن يتخذ المصلي سترة من إنسان جالس أو حيوان، لأنه إذا سجد والإنسان بين يديه فكأنه يسجد لمخلوق، وكذلك الحيوان، والإمام في الجماعة سترته سترة له وللمؤمنين وراءه، فلا يضر المؤمن من يمر أمامهم ولا يلزم كل أحد منهم أن يضع ستره خاصة به، والمرور أمام المصلي محرم شرعًا، فإذا كان المار امرأة بالغة سواء كان محرماً لها أو أجنبيًا عنها لأنها تفتن أو كلبًا أسود لأنه شيطان أو حمارًا لأنه يُستعاذ بالله عند سماع صوته فهو يرى الشيطان فالصلاة تجب إعادتها، أما غير هذه الثلاثة سواء كان المار رجل أو حيوان آخر أو كلب غير الأسود فلا يقطع الصلاة ولكن ينقص ثوابها، وسبب ذلك أن المرور يسبب تشويش لفكر المصلي ولا يخشع ولا يحضر قلبه، هذا إذا كان المرور دون السترة أو إذا كان المرور من قريب لمن لم يضع السترة، أما المرور من وراء السترة أو المرور

وراء أكثر من ثلاثة أذرع لمن لم يضع السترة فلا يبطل الصلاة ولا ينقص أجرها، فإذا وضع المصلي السترة ومنع المار ولم يرجع فالإثم على المار ولا ينقص من أجر المصلي شيء، ولا يدفع المصلي المار أمامه عند الازدحام الشديد قياساً على المسجد الحرام لا اضطرار الناس، وإذا لم يكن هناك زحام وأراد أحد أن يمر بين يديه يدفعه ويرده لقول الرسول ﷺ: (إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله، فإنه شيطان) [متفق على صحته].

أول الأمر يدفعه بالأسهل فالأسهل، فإن لم يندفع بسهولة ويسر فقد أسقط حرمة وأصبح معتدياً ويجوز وقف عدوانه بالمقاتلة باليد فإن عمله هذا من أعمال شياطين الأنس الذين يريدون إفساد عبادات الناس والتلبس عليهم في صلاتهم، والمقاتلة هي المدافعة بشدة وليس المراد منها المقاتلة بالسلاح ولا بالصورة التي تؤدي للهلاك، ولكن دفع المار مقيد بوضع السترة، فلا يدفعه من لم يضع ستره، وقال رسول الله ﷺ: (لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه) [رواه الجماعة].

يعني لو علم مقدار الإثم الذي يلحقه من مروره بين يدي المصلي لاختار أن يقف المدة المذكورة حتى لا يلحقه ذلك الإثم، قال أبو النضر سالم بن أبي أمية لا أدري أقال أربعين يوماً أو شهراً أو سنة، وفي بعض الروايات أربعين سنة، وهذا يدل على عظم إثم المار أمام المصلي وأنه من كبائر الذنوب.

❖ ❖ التحيات: _

وهذا الذكر يسمى التشهد وهو مأخوذ من لفظ الشهادتين فهما أهم ما فيه (التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) [البخاري ومسلم].

التحيات: التعظيم.

الصلوات: الصلاة فرض أو نافلة.

الطيبات: العمل الصالح.

السلام عليك أيها النبي: دعاء له بالسلامة من الآفات والشر.

البركة: كثرة الخير.

السلام علينا: يدعو المسلم لنفسه بالسلامة من الشر.

وعلى عباد الله الصالحين: يدعو للمسلمين والملائكة.

أشهد أن لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

❖ ❖ الصلاة الإبراهيمية: _

(اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) [البخاري].
اللهم: يا الله.

صلّ: الصلاة من المسلمين الدعاء ومن الملائكة الاستغفار ومن الله الرحمة.

آل محمد: الآل هم بنو هاشم وزوجات النبي وذريته ويطلق أيضًا على الاتباع والمراد هنا هم أمة محمد لأنهم اتباع شريعته.

آل إبراهيم: اتباع شريعته.

إنك حميد: محمود من خلقك.

مجيد: المجد هو الشرف.

أهل السنة والجماعة: -

- إن لهذه الطائفة الطيبة مزايا عن غيرها من الطوائف، ومن هذه المزايا: -
- 1- التمسك بالقرآن وبهدي النبي ومنهج السلف الصالح وعدم اتباع الهوى كأهل البدع.
 - 2- ليس لهم إمام معظّم يأخذون كلامه كله ويدعون ما خالفه، إلا الرسول ﷺ، أما غير الرسول فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبِلَ وما خالفهما لا يقبل، فهم يعتقدون أن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد، إلا الرسول، أما غيرهم من الفرق الأخرى ومن متعصبة المذاهب فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كله حتى ولو خالف الدليل.
 - 3- عدم اختلافهم في أصول الاعتقاد مثل: {إن الله مستوي على عرشه وإن القرآن كلامه - شفاعة النبي - عدم تخليد عصاة المسلمين في النار - تصديقهم بأن كل ما يقع في هذا الكون بأدق تفاصيله هو بتقدير الله - الإيمان بالغيبيات كالجنة والنار والميزان والصراط وعذاب القبر ونعيمه}، ولكنهم قد يختلفون في فروع العقيدة مثل: {هل النبي رأى الله بفؤاده أم بعينه ليلة الإسراء والمعراج؟ مع اتفاقهم على الرؤية - هل عذاب القبر يقع على البدن؟ مع أنهم متيقنون جميعهم على أن الروح يصيبها عذاب القبر - هل الذي يوزن يوم القيامة هي الأعمال أم صحائف الأعمال أم صاحب العمل؟ مع اتفاقهم على الميزان} فالحاصل أن فروع العقيدة بعضها يسوغ فيه الاختلاف عند أهل السنة ويعذر فيها المخالف، والذي لا يسوغ فيه الخلاف هو ما كان من أصول العقيدة.
 - 4- الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق.

5- لا يوالون ولا يعادون إلا على أساس الدين فقط.

6- الوسطية بين الإفراط «المبالغة» والتفريط «التقصير» في أمور كثيرة ومنها: _

- وسطيتهم في باب الوعد والوعيد بين المرجئة الذين يقولون إن فاعل الكبيرة الذي مات ولم يُتَّب منها لا يستحق دخول النار أبدًا ولا تضره مع الإيمان معصية ما دام مؤمنًا بقلبه، وبين الوعيدية الذين يقولون إن فاعل الكبيرة كافر مخلد في النار إذا مات ولم يتب منها، أما أهل السنة والجماعة يقولون إن فاعل الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وإذا مات ولم يتب منها فلا يخرج من الإسلام وهو تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه أو تدخل ذنوبه في الوزن مع بقية أعماله في الآخرة فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته عذَّبه الله حتى يطهره من ذنوبه، ثم يدخله الجنة برحمته، ولا يُخلَّد في النار، لأن الخلود في النار للكافر والمشرِك غير الموحِد وليس لمن وحَّد الله، كما قال جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء 116]، فإذا كانت زيادة حسنة واحدة تدخل الجنة وتبعد عن النار فليكن هم المؤمن وشغله الشاغل هو جمع الحسنات في ليله ونهاره وكل عمره، أما من تاب من الكبيرة قبل موته فيتوب الله عليه وينجيهِ من النار لأنه هو التواب الرحيم، لكن من استحلَّ المعصية كالزنى والخمر وغيرها فهو كافر خارج من المِلَّة.

- وسطيتهم في باب الأسماء والصفات بين الممثلة الذين يقولون إن يد الله مثل أيدينا ووجهه سبحانه مثل أوجه المخلوقين وبين المعطلة الذين يعطلون أسماء الله وصفاته الواردة في الشرع وينفونها عنه فيقولون إن الله ليس له يد ولا وجه ولا قدرة ولا عزة ولا كرم وليس من أسمائه الرحيم ولا السميع، أما أهل

السنة والجماعة فيثبتون أسماء الله وصفاته الواردة في الشرع من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف، فيقولون إن الله يد لا تشبه يد المخلوقات وله وجه لا يشبه وجوه المخلوقات، لأن المخلوق ناقص، والله سبحانه له الكمال المطلق في أسمائه وصفاته، والطوائف التي ضلت في باب الأسماء والصفات كثيرة مثل الأشاعرة والجهمية والمعتزلة وغيرهم، وإنكار الصفات نوعان: إنكار تكذيب وإنكار تأويل، فإنكار التكذيب كفر مخرج من ملة الإسلام بلا شك مثل أن يقول: ليس لله يد، وليس له وجه، وإن الله لم يستوي على العرش، إلا من كان حديث عهد بالإسلام أو من كان جاهلاً بالنص الذي أثبت الصفة فهو لا يكفرون ولكن يُعلمون، وأما إنكار التأويل فهو نوعان: فإذا كان ليس له مسوغ في اللغة العربية فهو كافر أيضاً كقول: أن استواء الله على عرشه يعني القهر والغلبة والاستيلاء، وقد أنكر أئمة اللغة أن يكون من معاني الاستواء الاستيلاء، إضافة إلى أن هذا القول يترتب عليه أمور فاسدة، فهل كان الله غير مستولٍ على العرش قبل ذلك! لا، هو مستولٍ عليه منذ أن أوجده، وهل الله مستولٍ على العرش وحده! الله لا يخرج قدر أنملة عن تصرفه وتدييره سبحانه، وأما إن كان له مسوغ في اللغة العربية فهو فاسق ولا يكفر كمن يقول إن يد الله نعمته أو قدرته.

- وسطيتهم في باب أفعال الله بين الجبرية الذين يقولون إن العبد مجبور من الله على فعله فليس له اختيار أبداً وأن الله يجبر الناس على معاصيهم ويكرههم على الكفر وهؤلاء جعلوا الله ظالم وكذبوا عليه لأن من صفاته العدل، ثم إنه يترتب على هذا الاعتقاد الفاسد أمور خطيرة فإذا كان العبد مجبوراً فلماذا ننصح الناس ونبين لهم أحكام الدين وهم ليس لهم اختيار، وبين القدرية «مجوس هذه الأمة وذلك لأن فيهم شبه بالمجوس الذين قالوا بأن للكون خالقين» الذين لا يؤمنون بأن الله قَدَّرَ القَدَر قبل خلق السماوات والأرض

وقدَّره والإنسان في بطن أمه، فيقولون إن الإنسان مخير ويفعل ما يريد، وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما في القدرية: (من لقيهم فليخبرهم أني بريء منهم وإنهم براء مني) أما أهل السنة والجماعة فمعتقدهم ما نص عليه حديث الرسول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء) [مسلم]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر [49] لكن العباد لهم اختيار وأعطاهم الله عقول وأرسل إليهم رسله وأنبياءه وأنزل عليهم كتبه وجعل فيهم فطرة التوحيد في نفوسهم، فيضاف الفعل إلى الله خلقاً وتقديراً ويضاف إلى العبد عملاً واختياراً، لما روى البخاري في كتابه خلق أفعال العباد والحاكم والديلمي أن الرسول ﷺ قال: (إن الله يصنع كل صانع وصنعه) وفي لفظ آخر: (إن الله خالق كل صانع وصنعه) فالعباد لهم مشيئة ولكنها تابعة لمشيئة الله كما قال سبحانه: ﴿لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ التكوين [28، 29].

- وسطيتهم في باب أصحاب النبي ﷺ بين الشيعة وبين الخوارج، فالشيعة غلوا في حق آل البيت كعلي بن أبي طالب وأولاده رضي الله عنهم فادعوا أن علي معصوم وأنه يعلم الغيب، وبعضهم يدَّعي ألوهيته، والخوارج جفَّوا في حق علي فكفَّروه، وكفروا معاوية بن أبي سفيان، كما أن الشيعة جفَّوا في حق أكثر الصحابة فسبَّوهم وقالوا إنهم كفار، أما أهل السنة والجماعة فيحبون جميع الصحابة ويرون أنهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها وأفضل البشر بعد الأنبياء، لكنهم غير معصومين ولا يعلمون الغيب، قال العلامة ابن باز رحمه الله: (الترضي عن الصحابة أمر مشروع لأن الصحابة هم حملة الإسلام وحملة الشريعة وهم خير هذه الأمة وأفضلها).

7- قال الرسول ﷺ: (افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي) وفي بعض الروايات: هي الجماعة [أبو داود والترمذي وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم].

والفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة بدون شك، وبقية الفرق كلها ضالّة كالصوفية والشيعة وجماعة الإخوان والتبليغ وغيرهم، ولكن لا يُخلد في النار من كان موحدًا لله من أي فرقة كان.

8- أهل السنة والجماعة هم الذين هداهم الله ووفقهم للحق أما غيرهم من الطوائف «الشيعة والصوفية والأباضية وغيرهم» فجميعهم ضالين وبعضهم مسلمين وبعضهم كفار، لأن منهم الذي تخرجه معصيته من الإسلام ومنهم الذي معصيته لا تخرجه، فالشيعة الذي يدعو علي رضي الله عنه أو يحرف القرآن أو يقذف عائشة رضي الله عنها كافر خارج من الإسلام، والصوفي يكفر أيضًا إذا كان يعبد القبر أو يعتقد بالحلول أو الاتحاد «يقولون إن الله حلّ في أحد من خلقه أو اتحد معه» أو يقول بوحدة الوجود «يقولون إن الخالق والمخلوق واحد، فعندهم إن البحر هو الله والجبل هو الله والإنسان والطير والله شيء واحد»، أو يعتقد بالباطنية التي تعني أن الباطن خلاف الظاهر فلو وجدت مثلاً: من يشرب خمر فلا يعني أنه ضال فباطنه غير عن ظاهره، فهو في الباطن صالح وليس بعاصٍ، ولو كان شيخهم جالس ولا يصلي فباطنه أنه ذهب إلى مكة وصلى بها وهذا لا يراه الناس في الظاهر، لكننا نرد عليهم ونقول (لنا الظاهر والله يتولى السرائر) ويكفر الصوفي كذلك ويتزندق إذا قال أن الولي أفضل من النبي، فالحاصل أن اعتقاداتهم وأقوالهم هذه كفر، وكذلك الإباضي الذي ينكر رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة أو يعطل صفات الله

ويكذِّبها أو يقول إن القرآن مخلوق فهذا كافر، وهذا التكفير نقصد به التكفير المطلق، أما التكفير المعين لنفس الشخص فلا بد فيه من تحقق شروطه وانتفاء موانعه، كما أن جميع الطوائف لم ينفردوا عن أهل السنة بأحاديث صحيحة عن النبي، والحديث الصحيح عندهم قد أخذوه من أهل السنة والجماعة.

****** بعض أهل الضلال يطلقون على أهل السنة والجماعة عبارات مثل (المدخلية والوهابية والجمامية) وليس هناك مذاهب ولا طوائف بهذه الأسماء ولكن مرادهم هو تنفير الناس من أهل السنة، وهي القاب فخر واعتزاز وليست مسبة.

****** قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (أهل السنة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إذا قامت بهم أعمالهم قعدت بهم عقائدهم) ينظر «أعلام الموقعين» وسبب ذلك أن أهل السنة عقيدتهم صالحة فلو قَلَّ أداؤهم للنوافل والمستحبات فهم على خير، أما المبتدعة أهل العقائد الفاسدة فلو كان عندهم كثرة نوافل ومستحبات من صلاة وصوم وتلاوة للقرآن وصلة للأرحام فهم على خطر وفي ضلال لمجانبتهم أمر الله وأمر رسوله، ومنهم من يخرج من الإسلام بالكلية ويخلد في النار إذا صرف العبادات لغير الله أو شتم الله ونبيه أو قال إن القرآن فيه نقص أو أنكر البعث أو قال إن الأولياء يحيون الموتى أو أنكر وجود الملائكة أو أنكر وجود النار كمن يقول (إن جميع الناس في الجنة ولم يخلق الله جهنم ولا وجود لها لأن الله رحيم ولا يمكن أن يعذب أحداً) وهذا مخطئ وواهم فإن الله يرحم المطيع التائب ويعذب العاصي الذي لم يتب، مع العلم أن هذا لا يعني الإقلال من النوافل والاستخفاف بها، بل يحرص المسلم على صحة العقيدة وعلى الإكثار من النوافل ولكن من قصر في بعض المستحبات فالأمر كما بينا، لأن العقيدة

أهم أمر في الدين ويأتي على رأسها توحيد الله، وبسبب صحة العقيدة وسلامتها أصبح فساق أهل السنة خير من عباد أهل البدع، لأن العمل إذا كان على الطريقة التي شرعها الله ويحبها وعلى سنة نبيه كان طيباً مقبولاً، وإلا أصبح غير مقبول ولو كان كثيراً، لقوله عليه السلام: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) [رواه مسلم]

فهو رد: أي مردود وغير مقبول لمخالفته أمر النبي وهديه، وهذا الحديث فيه قاعدة مهمة وعامة لكل مسلم وأصل من أصول الإسلام، فمن حلّل أو حرّم شيئاً أو أفتى من عنده أو أمر بشيء فإننا نلزمه بالدليل الشرعي أو يكون مفترئاً ومخترعاً من تلقاء نفسه، فاتباع النبي والافتداء به والانقياد والتسليم للشرع واجب على كل مسلم وشرط لقبول العمل

علم الغيب: _

وهو ما لا تدركه الحواس الخمس، وعلم الغيب المطلق من خصائص الله وحده، وهو العلم بالماضي والحاضر والمستقبل، كالعلم بالساعة ومكان وزمان موت كل إنسان والعلم بالروح ونزول الغيث وما في الأرحام وعلم كل شيء، قال النبي ﷺ: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) رواه البخاري، وفي رواية عنده أيضًا (مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٢١﴾). لقمان [34].

وأما علم الغيب النسبي فقد يُطلعه الله لبعض خلقه لحكمة أرادها أو إكراماً له سواء كان من علم الماضي أو من علم المستقبل ولكنه في أمور معينة فقط، فيكشف الله لعباده الصالحين وأوليائه المتقين بعض الأشياء، فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فهو عمر بن الخطاب) والمحدثون هم الذين تحدثهم الملائكة بدون وحي، ومن الغيب النسبي الرؤيا الصادقة التي تحصل لبعض المسلمين، فيرى بعضهم في المنام شيئاً من المغيبات المستقبلية، وبعد فترة تتحقق الرؤيا كما رآها، وهذا مشاهد في كل زمان ومكان وقد قال النبي: (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) [البخاري ومسلم]، وذلك أنه أول ستة أشهر من بداية البعثة النبوية كان عليه السلام يرى

الرؤى وتقع كما رآها والنبى مدة بعثته 23 سنة فتصبح الستة أشهر جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، ومن ذلك أيضاً فِراسة المؤمن لأُمور مستقبلية، وسبب الفِراسة الإيمانية نور يقذفه الله في قلب عبده إذا كان صالحاً وكل ما زاد إيمانه زادت فراسته، فتسمع بعضهم يقول (قلبي لا يطمئن لهذا الشخص أو إنه مرتاح لهذا السفر) أو تكون مكاشفة لما في نفوس بعض الناس وقلوبهم فيعلم ما يضمّره ويخفيه من يحدثه، مع عدم وجود أسباب ظاهره ويكون بعد ذلك كلامه صواب، وبعض أولياء الله قد يعلم أن فلاناً الغائب قد مات هذه اللحظة، ومن الأمثلة على ذلك كشف أبي بكر لما قال لعائشة رضي الله عنهما إن امرأته حامل بأنثى، وكشف عمر رضي الله عنه لما قال (يا سارية الجبل) والكشف نوع من خوارق العادات، به يعرف صاحبه شيء من الغيب فيُخبر به، وقد يكون هذا مجرد ظن وليس كشف، لأن جميع الناس يخطئون، ورؤيا المنامات والكشف عن المستقبل وعما في نفوس الناس تظل ظنية لا يقينية، وعلم الغيب النسبي للمخلوق قليل حدوثه والأصل والغالب عدم حدوثه، ومن الأمثلة كذلك على الغيب النسبي ما يطلع الله عليه أنبياءه عن طريق الوحي كإخبار الرسول بعلامات الساعة وهي مشاهدة الآن بكثرة والذي لم يقع سيقع لا محالة، وكذلك ما يعرفه الأطباء عن طريق الأشعة ولا يطلع عليه غيرهم مثل وجود جراثيم أو التهابات، وكل إنسان يعلم أشياء يجهلها الناس مثل ما يكون موجود في بيته أو ماذا حدث له بالأمس أو مثل من يعلم ما حدث في دولة بعيدة بواسطة الهاتف الجوال، فالغيب النسبي لا ينكره أحد.

❖ ❖ الكَهَنَةُ والعَرافين: _

وهم الذين يدعون معرفة علم الغيب عن طريق قرين الإنسان أو عن طريق مسترقي السمع من الشياطين الذين يستمعون إلى ملائكة السماء الدنيا الذين يخبرهم جبريل المُخبر من الله بما أراد الله حدوثه، وهؤلاء الشياطين تحرقهم

الشهب «شعلة من النار» وهي منفكة من النجوم، وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضًا إلى السماء الدنيا، ويسترقون السمع من الملائكة، فيرمون بالكواكب فلا تخطئ أبدًا، فمنهم من تقتله ومنهم من تحرقه ومنهم من تخبله فيصير غولًا يضل الناس في البوادي وهو ما يسميه الناس اليوم «أبو فانوس» والجن قد خلقهم الله قبل خلق الإنس وسكنوا الأرض قبلنا وهم أصناف، قال رسول الله (الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون) رواه الطحاوي في مشكل الآثار (4/95)، ورواه الطبراني في الكبير (22/214) وأما حكم سؤالهم فهو محرم ومنكر سواء كان الكاهن يقوم بقراءة الكف أو الفنجان أو يقوم بخط الخطوط وضرب التراب والرمل «الرَّمَال» وضرب الحصى، أو الذي يحسب النجوم «الْمُنَجِّم» وسؤالهم فيه تفصيل: -

1- من سألهم ولم يصدقهم فهذا لا تقبل صلاته أربعين يومًا وقد فعل كبيرة من كبائر الذنوب، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) [رواه مسلم]، وسؤالهم بالهاتف أو عن طريق وسيط هو كسؤالهم مباشرة، وهذا لا يعني أن يترك الصلاة في هذه المدة لأن تارك الصلاة يخرج من الإسلام ولكن المراد من الحديث أنه لا ينال أجر في الأربعين يوم مع بقائه مسلمًا.

2- من سألهم عن أمور الغيب المطلق وهو ما غاب عن كل المخلوقات مثل السؤال عن المستقبل (أين سأتوظف بعد التخرج من الجامعة - من سيموت العام المقبل) وصدّقهم، فقد كفر كفرًا أكبر وخرج من ملة الإسلام لأنه جعل غير الله مساويًا لله في خصائص ربوبيته وهي علمه بالغيب المطلق، قال النبي: (من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) [رواه الحاكم في المستدرک].

3- من سألهم عن الغيب النسبي وهو ما غاب عن بعض المخلوقات وكان معلوماً لبعضهم مثل السؤال عن الماضي: (أين مكان نقودي الضائعة - ماذا حدث أمس في المكان الفلاني) وصدّقهم فهذا يكفر كفراً أصغر، لأن العلم بالماضي معلوم لبعض الخلق، فقد تعلم الجن ما حدث ووقع بالأمس سواءً وقع في نفس المكان أو في مكان آخر لأنهم يمتلكون أسماع وأبصار وسرعة وخفة في التنقل والحركة وقدرات تفوق قدرة البشر، فهذا الجني العفريت عرض على نبينا سليمان أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام في نصف نهار فقط! كما أن الجن يخبر بعضهم بعض وليس هذا من الغيب المطلق، والكاهن يتواصل مع قرين الإنسان من الجن ويخبره أو يتواصل مع شياطين آخرين.

4- من سألهم ليبين للناس كذبهم فهذا مشروع، كما سأل النبي بن صياد وقال له: (إني قد خبأت لك خبيئاً) فقال بن صياد هو الدُّخ فقال النبي: (اخسأ فلن تَعْدُوَ قدرك) [رواه البخاري] والنبي أخفى في نفسه كلمة الدخان فاتضح للناس كذب بن صياد.

**** بعض الناس يلتبس عليه الأمر ويقول كيف يعلم الناس علم الغيب كعلم الأطباء بجنس الجنين والعلم بالمطر قبل نزوله والنبؤات بأحوال الطقس والكسوف والخسوف وتحديد يوم العيد وغيره، والجواب: إن جميع ما سبق هو علم مشاهدة وليس علم غيب، فالأطباء لا يعلمون بجنس الجنين إلا بعد مرور أربعة أشهر له وهو في بطن أمه بعد نفخ الروح فيه، فهذا علم مشاهدة بالأشعة وليس علم غيب وقبل ذلك يجهلونه، ثم إنهم يصيرون ويخطئون وأيضا لا يعلمون صفات الجنين الذي سيصبح إنساناً وما هو لونه وكم طوله ووزنه وهل حظه حسن أم سيئ فلا يقتصر علم الله لما في الأرحام على الجنس فقط، وأما الطقس فهذا أمر محسوس أيضاً وليس غيبي**

فالمختصين يعرفون المطر من خلال حجم السحب وكثافتها وسمكها وتوجهات الرياح وهذا أمر جازئ وليس ادعاء بعلم الغيب ولكنه خبره في تعلم سنن الله الكونية، ومعلوم كذلك أن المطر يكثر نزوله في المناطق الجبلية لأن الجبال تسبب تكون السحب، والله قد جعل الرياح بشرى تسبق نزول المطر، فإذا كانت باردة قليلاً حاملة رائحة الطل والرطوبة جامعة للسحب استبشر الناس بها، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ الروم [46] ثم إن علمهم ظني غير يقيني فتجدهم يخطئون وتتعارض أقوالهم، ولا يعلمون ذلك إلا قبل نزول المطر بأيام قليلة ولا يستطيعون إخبارنا عما سيحدث بعد مدة طويلة، ولكن يجب عليهم قول بإذن الله ومشيتته عند أي توقع، كما أنهم أيضاً لا يقدرّون على إنزال المطر، فما يسمى الآن بالاستمطار «المطر الصناعي» لا ينافي اختصاص الله بإنزال المطر لأن الله وحده هو من خلق ماء البحر المتبخر والسحاب والشمس والرياح «الملقحة للسحاب»، ولكنهم يرشون عدة مواد منها مادة «يوديد الفضة» على أنواع معينة من السحب لتلقيحها وليست دائماً تنفع، ولا يقدرّون على إنشاء وتكوين السحب، وهذا مثل تلقيح الزوجة وتلقيح الناقة من الجمل فهو مجرد سبب، لكن إذا لم يُرد الله لها التلقيح فلن تتلقح أبداً، كبعض الناس الذي تراه متزوج منذ عشرين سنة أو أكثر وهو عقيم، وأما الكسوف والخسوف أو يوم العيد فإنها محسوسة أيضاً وتدرّك بالحساب من أصحاب الفلك يراقبون سير الشمس والقمر في منازلهما، فإذا صارت الشمس في منزلة معينة أو القمر، فقد عرفوا بالحساب أنها تكسف بإذن الله في ذلك الوقت، وكسوف الشمس سببه أن القمر يحول بينها وبين الأرض، وخسوف القمر سببه أن الأرض تحول بينه وبين الشمس، وهذا لا ينافي كون الكسوف والخسوف تخويف من الله لعباده

ليتضرعوا إليه لأن هذا سبب شرعي وذاك كوني، وكذلك هلال العيد يعرفونه من خلال حركة القمر وسيره في منازلهم، لكننا نحن المسلمين لا بد أن نرى هلال رمضان أو هلال العيد بالعين المجردة، أما حساب الفلكيين فلا عبرة له لأن أهله يصيبون ويخطئون ولأن النبي أرشدنا إلى الرؤية بالعين في قوله: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين) [متفق عليه واللفظ للبخاري].

غبي: خفي عليكم بسبب غيم ونحوه.

فالحاصل أن هذه علوم مشاهدة وليست غيبية، وما كان منها في المستقبل فهو ظني وليس يقينياً، فهي مجرد توقعات من أهل الاختصاص.

❖ حكم الأبراج وقراءتها: _

الأبراج هي التي تسير فيها الشمس والقمر والنجوم، ولا تأثير لها على حياة الناس وصفاتهم ومستقبلهم، وقارئ الأبراج إن اعتقد أنها تؤثر في الخلق وفي أفعالهم وصفاتهم أو في حوادث الكون كالحرب والمطر والفقر وغيره فهذا شرك أكبر، وإن اعتقد أنها مجرد سبب وليست فاعلة بنفسها فهذا شرك أصغر، وإن استدل بها على الأحداث المستقبلية كحرب أو زواج أو موت إنسان فهذا كفر أكبر لأن علم الغيب من خصائص الله، وأما من قرأها وطالعها للتسلية فهو عاصي آثم ولا يقبل الله منه الصلاة أربعين يوماً، والاعتقاد أن مواليد كل برج لهم صفات معينة غير صحيح، فإنه يولد في الساعة الواحدة الألوف من الناس، وهؤلاء لا يحملون الصفات نفسها، فضلاً عن مواليد اليوم نفسه، فضلاً عن مواليد الشهر الواحد، ويدل على كذب المنجمين اختلافهم في عدد البروج، وفي أسمائها، وفي مدتها، وفي دلالتها على طباع الخلق وصفاتهم، والذي يباح هو تعلم النجوم للاستدلال بها على الجهات في البر والبحر كجهة القبلة، وتعلم فصول السنة ومواسم الزرع والثمار لأنه قد جرت العادة أن الربيع يبدأ

إذا ظهر نجم سعد السعد وأن الصيف يبدأ إذا ظهر نجم الثريا وأول نجوم الخريف هو نجم الجبهة وأول نجوم الشتاء هو نجم الإكليل، وكذلك إذا ظهر نجم سهيل فهو توقيت لبداية موسم الأمطار بإذن الله، فلا مانع من تعلم النجوم واعتبارها مواقيت ولكن دون التوسع والتعمق في ذلك ولا يتعلم المسلم أكثر مما يحتاج إليه مع الاعتقاد أنها ليست مؤثرة وليست سبب لأي شيء وأن المدبر للمخلوقات هو الله وحده.

السحر: _

وتعريفه: هو عزائم ورُقَى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، وأما حكمه في الشرع فهو كفر أكبر بدليل قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ البقرة [102]، فالسحر أمره خطير وتأثيره شديد، وقد سحر النبي من اليهود، وكان سحره في أمور دنيوية ولم يسحر في أمور التشريع وإنما كان يخيل إليه أنه قد فعل الشيء وهو لم يفعله وأنه جامع أهله وهو لم يجامع، ولكن لم يؤثر السحر على عقله ورسالته ولم يدم طويلاً على هذا الحال بل شفاه الله، وسحره وشربه للسم وإصابته في غزوة أحد وقعت له لأنه كسائر البشر معرض للمصائب، وفي هذا دلالة على توحيد الله سبحانه وأنه هو وحده الذي لا يمرض ولا يموت، وأما حكم الساحر فهو كافر، لأنه يتصل بالشياطين التي تخدمه مقابل أن يشرك بالله ويصرف العبادات لغير الله، كدعاء الجن أو الاستغاثة أو الاستعانة بهم أو الذبح أو النذر لغير الله أو يطلبون منه النطق بكلمات كفرية مثل سب الله ورسوله، أو يهين المصحف ويدوس عليه، ولا يمكن أن تطلب الشياطين من الساحر أو الكاهن منفعة دنيوية أو أموال وغير ذلك، وإنما هدفهم هو أن يشرك بالله، وحكم الساحر في الشرع القتل بغير أن يُستتاب «يعني لا نقول له إن تبت عفونا عنك ولم نقتلك» بل يُقتل على كل حال، وأما التوبة بينه وبين الله فبابها مفتوح لأن الله يقبل التوبة ما لم يحتضر الإنسان ويبدأ بالموت، ولكن توبته لا تمنع من إقامة الحد عليه وقتله كما فعل عمر وابنته حفصة رضي الله عنهما، فيقتلون لكفرهم ولإفسادهم، لأنهم

يتسببون بالمرض والطلاق والفقر والموت فشرهم عظيم، وكذلك يكفر ويخرج من الإسلام من طلب من الساحر أن يسحر له أو استحله السحر حتى لو لم يسحر ولم يذهب للسحرة، لاستحلاله ما حرم الله، لأن استحلال أي معصية كفر كما أن تحريم أي طاعة كفر، والتشريع من الله ورسوله فقط وليس من غيرهم، والذين يطلبون من السحرة أن يكفروا بالله هم الشياطين وليسوا جميع الجن، لأن الجن بعضهم مسلمين فلا يُساء إلى إخواننا منهم، والشياطين هم كَفَرَةُ الجن، والسحر له حقيقة وتأثير يُمرض وربما يقتل ويسبب الجنون، ومنه ما هو تخيل فقط، فيُخَيَّل للناظر أن هذا الرجل دخل النار وهو لم يدخلها حقيقة، أو ضرب نفسه بالسكين ونحو ذلك، هذا هو الصواب خلافًا لمن قال إنه تخيل فقط وليس بحقيقة، ولكن لا يقدر السحرة على قلب الأعيان كقلب الحجر ذهبًا وقلب التراب نقودًا، ولو استطاعوا ذلك لأصبحوا أغنى الناس وملوك العالم، والواقع يقول أنهم في فقر وبؤس، ولا يقدر على قلب الأعيان إلا الله الذي أوجدها من عدم.

❖ ❖ حل السحر: _

حل السحر منه الجائز ومنه المحرم، أما الجائز فهو فكهُ بالرُقَى الشرعية كقراءة الآيات القرآنية والأدعية المأثورة عن النبي، وإذا عرف مكانه وأمكن استخراجَه يستخرجه ويطله دون الذهاب إلى السحرة والدجاجلة، فإذا كان السحر مكتوب في ورقة أو معقود أو في قفل أو على صورة أو في زجاجة مقفلة أو تماثيل أو في جثث إنسان أو حيوان أو غير ذلك، فيستطيع أن يحرقه أو يمزقه أو يكسره أو يضعه في زيت الزيتون المقروء عليه مع تكرار الآيات والأدعية والنفث فيه، وإذا لم يعرف مكانه فليس بضروري أن يجده فتكفيه الرقية ودعاء الله سبحانه، فيقرأ بعض السور كسورة الفاتحة والإخلاص والمعوذتين والكافرون وسورة البقرة وآية الكرسي، وآيات السحر التي في

سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۚ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ۚ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ۚ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ﴾ [الأعراف 117-122] ومثل الآيات التي في سورة يونس ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُنَبِّئُنِي بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ ۚ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ۚ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۚ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۚ﴾ [يونس 79-82] والآيات التي في سورة طه ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۚ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ۚ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ۚ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ۚ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحَرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۚ﴾ [طه 65-69]، وإن كان القرآن كله شفاء وكله بركة وكله خير ولكن ما ذكر على وجه التخصيص من الرقى بفعل النبي أو أمره فهو أنفع، وكذلك إذا كانت ألفاظ الآية تدل على الشفاء من السحر أو العين أو المس أو غيره كان أنسب، ومما ورد في سنة سيد الأولين والآخرين قوله عليه السلام: (أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً) [متفق عليه]، وكان جبريل يرقى الرسول عليهما السلام ويقول: (باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك) [رواه مسلم]، وكان الرسول يُعوذُ بالحسن والحسين ويقول: (أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عينٍ لامة) [رواه البخاري] ومن الصور الجائزة فك السحر بالأدوية والأعشاب، مثل ورق الغار الذي يطرد الشياطين، ومثل السدر فقد ثبتت فائدته في علاج السحر، يُؤخذ منه سبع

ورقات، وتكون من السدر الأخضر وتُدق بحجر وتوضع في إناء ويصب عليه من الماء ما يكفي لاغتسال المريض، ويقرأ فيه الآيات والأدعية والأذكار الشرعية، وكذلك ما نص عليه رسول الهدى، كالتصبح على الريق بسبع تمرات من عجوة المدينة، ومما يباح للمسحور علاج سحره بالحجامة في المحل الذي يصل إليه أذى السحر، فالرقية الشرعية فيها شفاء للسحر والعين والمس والصرع وكل مرض في البدن أو القلب أو النفس، قال عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْيَدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [٨٢] الإسراء، أما النوع الثاني من حل السحر فهو النوع المحرم، وهو حله بسحر مثله وهذا لا يجوز حتى لو كانت هناك أشد ضرورة لقول النبي: (هي من عمل الشيطان) [أحمد وأبو داود].

التبرك: -

وهو طلب البركة من الشيء، والبركة من الله وحده فهو الذي يجعلها في بعض الأشخاص، كالأنبياء الذين بسببهم هدى الله من أراد من الثقلين وأكثرهم بركة نبينا محمد خاتم النبيين وقد كان الصحابة يتبركون بوضوئه وشعره وعرقه وبصاقه وبقيّة شرابه، وهذا في حياته أما الآن فلم يبقَ من جسده شيء وكذب من ادّعى بقاء ذلك، وهذا كله خاص بالنبي عليه الصلاة والسلام لما جعل الله في جسده الطيب من الخير والبركة، ولا يجوز التبرك بغيره من الناس حتى الصالحين منهم ولهذا الصحابة لم يتبركوا بأبي بكر الصديق ولا بعمر ولا بعثمان لأنهم يعلمون أن هذا خاص بالنبي، والبركة يضعها الله أيضاً في الصالحين وفي العلماء والدعاة تجدهم ينشرون الخير ويعلمون الناس، فهذا شيخ الإسلام بن تيمية كتبه تجاوزت 330 كتاباً تقرأ وتشرح في أنحاء الأرض وعمره لما مات 68 سنة فقط، وقد ألّف كتابه الفتوى الحموية بين الظهر والعصر! رحمه الله تعالى، وأكثر الأمة بركة هم الصحابة الذين فتحوا بلاد الكفار والأمصار ونشروا الإسلام، وقد كان في جويرية بنت الحارث رضي الله تعالى عنها بركة على قومها، قالت عائشة رضي الله عنها: (فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها) [رواه أحمد في المسند وأبو داود]، والسبب أن النبي لما أغار على بني المصطلق على حين غرة منهم وأخذ من أخذ من السبي تزوج جويرية، ولما رأى الناس أصحاب رسول الله عندهم عبيداً وإماءً اعتقوهم لهذا السبب، فعتق مائة أهل بيت من قومها، فهي ليست مصدر البركة وإنما كانت سبباً، كما يضع الله البركة في بعض البقاع كمكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس «المسجد الأقصى» وجميع مساجد الأرض فيها بركة أيضاً، وكذلك بلاد الشام فيها بركة دينية لكثرة الأنبياء منها وبركة دنيوية بسبب

الأنهار والأشجار والثمار، كما وضعها الله في بعض الأزمنة مثل شهر رمضان وخاصة ليلة القدر التي يكون العمل فيها أفضل من عمل ألف شهر، والثلث الآخر من الليل وقت النزول الإلهي إلى السماء الدنيا، والعشر الأيام الأولى من شهر ذي الحجة لا سيما يوم عرفة الذي فيه يباهي «يثني» الله على أهل الموقف من الحجاج أمام ملائكته، ويوم الجمعة وهو العيد الأسبوعي، وكذلك يومي الإثنين والخميس اللذان تفتح فيهما أبواب الجنة فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء يعني عداوة، وقد بارك الله في بعض الشراب والطعام مثل العسل ومثل الحبه السوداء التي قال عنها النبي: (شفاء من كل داء إلا السام) [متفق عليه]، والسام هو الموت، كما جعل الله في شرب ماء زمزم والاعتسال به بركة لقول النبي: (زمزم لما شرب له) [رواه بن ماجه]، أي أنه نافع لأي سبب شرب من أجله سواء كان لعطش أو لجوع أو لشفاء من مرض، وهذه الأطعمة سبب للبركة، وليست واهبة للبركة، الواهب هو الله، ومثل بعض الأدوية والعلاجات تستخدم للشفاء من الأمراض، فقد تنفع وقد لا تنفع وكل ذلك بمشيئة الله، ويضع الله البركة في بعض الحيوانات كالغنم والخيول وفي بعض النباتات كالنخل والزيتون، وينزعها الله ممن يشاء أيضاً فيجعل العبد شقياً محروماً من طاعته كإبليس وفرعون وأبو جهل، وينزعها من بعض البقاع أيضاً كما قال النبي: (اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، قالوا: وفي نجدنا قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، قالوا: وفي نجدنا قال: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان) [رواه البخاري]، والمقصود باليمن في الحديث ما كان يمين الكعبة، والشام ما كان يسار الكعبة، وقرن الشيطان أي أن قوته هناك وأن أعوانه وأنصاره وأتباعه هناك كثيرون، والمقصود هي نجد العراق كما قال سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وذلك لأن اقتتال الصحابة كان فيها كمعركة صفين والجمل

وقتل الحسين رضي الله عنه ونشأة النصيرية والدروز والشيعة والجهمية والمعتزلة والقرامطة، وقد صرّح بها النبي في قوله: (اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدنا وصاعنا، اللهم بارك لنا في شامنا ويمنا، فقال رجل: والعراق يا رسول الله! قال: من ثم يطلع قرن الشيطان وتهيج الفتن) [الطبراني في الأوسط]، ولأن العراق في جهة المشرق عن المدينة المنورة، قال ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام استقبل المشرق وقال: (ألا إن الفتنة من ههنا، ألا إن الفتنة من ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان) [البخاري ومسلم]، وهذا الحديث علّم من أعلام نبوة الرسول فكان كما قال وأخبر عن فتن بلاد المشرق، والمسيح الدجال سوف يكون خروجه من خراسان التي تعتبر الآن جزء منها في إيران وجزء في أفغانستان وجزء في تركمانستان، وفتنة الدجال هي أعظم فتنة من وقت آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، وليس الدجال وحده فخرج يأجوج ومأجوج سوف يكون من جهة المشرق، ومكان السد هو أرمينيا وأذربيجان، فكل هذه البلاد شرق عن المدينة، وليست المقصودة نجد اليمامة كما يتوهم البعض، والنجد في اللغة ما ارتفع من الأرض وهي خلاف الغور فإنه ما انخفض من الأرض، ونجد العرب كثيرة: {نجد الشام - نجد اليمامة - نجد العراق - نجد اليمن - نجد الحجاز}، وليست محصورة فيما يُعرف اليوم بنجد اليمامة «وسط السعودية» وفي أمره عليه الصلاة والسلام بإخراج الكفار من الجزيرة العربية ما يدل على أن فيها بركة وأن نجد اليمامة ليست مذمومة، ولكن كم من كافر في مكة كأبي جهل وكم من صالح في العراق مثل الإمام أحمد بن حنبل أو في جهة المشرق كالإمام البخاري، فالحكم على البلاد لا يستلزم تعميم الحكم على العباد.

❖ ❖ أنواع التبرك: _

التبرك المشروع: هو التبرك بالشيء الذي أباحه الشرع وبنفس الطريقة التي شرعها الرسول، واما التبرك الممنوع فهو التبرك بأمر ليس عليه دليل شرعي أو بغير الطريقة الشرعية، فمثلاً: لو أن إنساناً جاء إلى الحرم وبدأ يتمسح بأشجاره وأحجاره ويأكل من ترابه فإننا نقول له: أخطأت لأنك خالفت الطريقة المشروعة التي بينها النبي، فالبركة في الحرم تكون بكثرة الطواف والصلاة والدعاء فيه، ومن الأشياء المباركة المصحف الشريف، ولكن وضعه في البيت أو السيارة لمجرد التبرك به أو للحفاظ من الشر والعين والوقاية فهذا عمل غير مشروع إلا أن اتخذه للقراءة فهذا طيب، ومثل التبرك بمقام إبراهيم، أو التمسح بسواري الحرم، والذهاب إلى بيت المقدس والتمسح به ونحو ذلك، مع أن هذه أماكن دل الدليل على أنها مباركة، لكنه تبرك بشكل غير مشروع فهذا من الشرك الأصغر، وأما التبرك بأمر لم يدل الدليل الشرعي على أنها مباركة فهذا مثل ادعاء البركة في قبور الأموات عند الصوفية، وهو ممنوع، قال علماء اللجنة الدائمة للإفتاء (الاستعانة بقبور الأولياء، أو النذر لهم، أو اتخاذهم وسطاء عند الله بطلب ذلك منهم شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية، موجب للخلود في النار لمن مات عليه، أما الطواف بالقبور وتظليلها: فبدعة يحرم فعلها، ووسيلة عظمت لعبادة أهلها من دون الله، وقد تكون شركاً إذا قصد أن الميت بذلك يجلب له نفعاً، أو يدفع عنه ضرراً أو قصد بالطواف التقرب إلى الميت) اهـ (1/ 186) وقال الإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (التبرك بها - يعني القبور، إن كان يعتقد أنها تنفع من دون الله عز وجل فهذا شرك في الربوبية مخرج عن الملة، وإن كان يعتقد أنها سبب وليست تنفع من دون الله فهو ضالٌّ غير مصيب، وما اعتقده فإنه من الشرك الأصغر) اهـ «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (2/ 231)، وقال أيضاً: (من تبرك بهؤلاء،

أي: بأهل القبور، سواء في المسجد أو في غير المسجد: فإن كان يدعوهم أو يستغيث بهم أو يستعين بهم أو يطلب منهم الحوائج فهذا شركٌ أكبر مخرجٌ عن الملة، وإن كان لا يدعوهم، ولكن يتبرك بترابهم ونحوه فهذا شركٌ أصغر، لا يصل إلى حد الشرك الأكبر، إلا إذا اعتقد أن بركته يحصل بها الخير من دون الله، فهذا مشركٌ شركاً أكبر) اهـ «فتاوى نور على الدرب» فلا يجوز التبرك بالمخلوق، سواء كان قبراً أو شجراً أو حجراً أو إنساناً حياً أو ميتاً، ومن تبرك بمخلوق وكان يعتقد حصول البركة منه، أو أنه يقربه إلى الله سبحانه ويشفع له عنده، كفعل المشركين الأولين، فهذا يعتبر شركاً أكبر من جنس عمل المشركين مع أصنامهم وأوثانهم.

*** من الخطأ التبرك بالحجر الأسود والركن اليماني كما يفعل بعض الحجاج، والمشروع للمسلم هو مسحهما واستلامهما باليد اليمنى في كل شوط من أشواط الطواف بالبيت إذا حاذاهما، وإن لم يتيسر له ذلك بسبب الزحام أو إذا كان راكباً دابته استلم الحجر الأسود بعصاه، وإذا كان بعيداً عنه يشير بيده اليمنى إليه كلما حاذاه في طوافه وهو متوجه له ويقول (الله أكبر) من غير أن يقف وهو ماشٍ، ولا يشير إلى الركن اليماني ولا يقبله، لأن التقبيل والإشارة خاصة بالحجر الأسود فقط، فيشرع للمسلم تقبيله في كل شوط وتقبيل يده اليمنى بعد استلامه، وأما بقية أجزاء الكعبة فلا يشرع له تقبيلها ولا استلامها ولا مسحها، وقد ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أنه قبَّل الحجر الأسود وقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) [متفق عليه]، لكن هذا اقتداء بالنبي وليس تبرك، وتعبد لله وليس تعبد للحجر أو لغيره، وقد ثبت في السنة لهما فضائل فقد قال عليه السلام (إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطاً) [رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع].

**** تعظيم الآثار الإسلامية وتجديد بنائها والاهتمام بها وسيلة للشرك، فقد قطع الفاروق عمر شجرة بيعة الرضوان خشيةً على المسلمين من الشرك ومن عبادتها أو التبرك بها، وبعض الحجاج تشاهدتهم يتبركون بغار حراء في جبل النور أو بغار أحد في المدينة وهذا منكر وبدعة ومخالفة للشريعة.**

عقائد باطلة منتشرة بين الناس :-

1- علم الطاقة: ويعني أن الكون كله عبارة عن طاقة، وأن الطاقة الكونية تمتد المخلوقات بالحياة والقوة، وكل لون له طاقة فاللون الأصفر يزيد السعادة والبنفسجي يبعد الأرق وبعض الألوان يجلب الرزق، وإن عنصر التراب فيه طاقة الاستقرار العائلي والاجتماعي فلا بد من وضع تراب في البيت، وإن وضع نافورة ماء أمام المنزل تجلب الثروة والغنى، وإن نبات الصبار له طاقة سلبية، وإن وضع فاكهة الخوخ في البيت يسبب طول العمر لما فيه من طاقة تحارب الشيخوخة، وإن كل إنسان له شكل أثاث معين يناسبه وإذا خالف هذا يصاب بالأمراض والمشاكل في حياته، وللمكان الذي تسكن فيه أيضًا طاقة قد تكون سلبية أو إيجابية تؤثر على سعادتك أو حزنك، فإذا كان في البيت وسخ يصيبك خمول وإذا كان البيت نظيفًا يأتيك نشاط وحيوية، وإنه يمكن علاج المرضى وزيادة المال بالطاقة، وبعضهم إذا كان عنده شجرة أو وردة يردد لها كلمات إيجابية مثل: {أنت أجمل وردة - أتمنى لك مستقبلًا طيبًا} معتقدًا لجهالته أنها سوف تنمو جيدًا وتزهر ولا تذبل، وأشياء كثيرة أعرضت عنها لحقارتها وتفاهتها ولأن هدي في ليس نشر أفكارهم المنحرفة ولكن للتحذير منهم، فهذه فلسفة إلحادية وفكر مبني على الدجل والشعوذة، وهي خُرافة لاستنزاف أموال الناس وليست بعلم، ومن ضلالاتهم أيضًا ما يسمى بوحدة الوجود التي هي من عقائد الوثنيين وغلاة الصوفية وتعني أن كل ما في الكون هو شيء واحد فالخالق والمخلوقات شيء واحد، فالله عندهم هو البحر والجبل والإنسان والشجر، وهذا كذب وإساءة إلى رب العالمين، ويقولون إن أصل الكون واحد وهو الطاقة، وفي هذا تأليه للطاقة وإنكار أن الله هو الخالق للمخلوقات، فأصبح كفرهم واضح لكل أحد.

2- قانون الجذب: يعني جذب أي شيء يريده الإنسان عن طريق التأمل أو التفكير فيه وترديد كلمات مثل: {من السهل علي الحصول على المال - سوف أشعر بالسعادة لاحقاً}، ويقولون إن كانت الذبذبات التي تخرج من جسمك سلبية ستجذب إليك الأشياء السلبية، وإن كانت إيجابية ستجذب لك الأشياء الإيجابية، ولا شك في حماقتهم لأنه لو صح هذا لنال الناس جميع ما يريدون من غير كد وسعي وانعدام وجود الفقر، وهذا القول منافياً لقدرة الله، والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [82].

3- اليوغا: تعني عمل حركات رياضية والتنفس العميق والتأمل من أجل إدخال الطاقة الكونية إلى داخل الجسم لجذب الصحة والرزق ولأجل أن تصبح أنت والإله شيء واحد، ومن طقوسها السجود للشمس كالمجوس تماماً، وقد نشأت عند عباد الأوثان في شرق آسيا، ويهدفون إلى تمريرها تحت غطاء رياضي ولكنها عبادة وثنية كفرية وليست رياضة.

4- التخاطر: وتعني أنك عندما تفكر في إنسان أو تتحدث عنه تجده يزورك أو يتصل بهاتفك وهي كذب ومخالفة للواقع، ولها صور أخرى وهي أن يقوم شخص بالاسترخاء والتنفس العميق ثم يقوم بإرسال فكرة إلى شخص معين في أي مكان حول العالم بأنه يشاق له أو يفنقه، فتنتقل هذه الرسالة عن طريق الذبذبات والترددات حتى تصل إلى الشخص الآخر، ولا يقول بهذا إلا جاهل أو كذاب، فإذا كان ما في القلوب من الخواطر يخفى على القريب منك، ولا يعلمه إلا الله العليم بذات الصدور، قال تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغُيُوبِ﴾ [116]، فمن كان بعيداً عنك فلن تعلم عنه شيئاً من باب أولى.

5- تحضير الأرواح: أي تحضير أرواح الموتى والتحدث معهم وسؤالهم عن أحوالهم هل هم في نعيم أم في عذاب، حتى إن مشعوذاً يزعم أنه قد حَضَرَ روح ميت لابنه وقال الميت لابنه: «طلق زوجتك فهي لا تصلح لك» وهؤلاء المشعوذون كذابون وإنما يحضرون قرين الميت الذي يعرف يقلد صوته وصورته أو يحضرون شيطاناً آخر ويسألونه عن أشياء يعلمها عن الميت ويخبرهم بها، والروح من الأمور الغيبية التي انفرد الله سبحانه وتعالى بعلمها ومعرفة كنهها وكيفيتها، فلا يصح الخوض فيها إلا بدليل شرعي، ولا يقدر على إحضارها إلا الله.

6- تناسخ الأرواح: أي أن الإنسان إذا مات وفني جسده، تنتقل روحه لتسكن جسداً آخر ممكن أن يكون إنسان أو حيوان فيكون قطعة أو طائر أو حيوان آخر، تسعد في هذا الجسد أو تشقى نتيجة ما قدمته من عمل صالح أو سيئ، ثم إذا مات تنتقل مرة ثانية فهي مستمرة على هذا الحال أبداً، وهذا يعارض تصديقنا بالبعث والنشور والإيمان بالآخرة والحساب والجنة والنار، وكل ما خالف ديننا فلا قيمة له، والتناسخ عقيدة باطلة يُقَرُّ بها الكفار كالهندوس مثلاً، وهذا هو سبب حرقهم لأمواتهم إنهم يقولون أن الجسد إذا دُفِن في الأرض فإن الروح تبقى في السُّفل لا قيمة لها وإذا أُحْرِقَت الجثة فإن الروح تصعد مع لهب النار ودخانها لتحل في جسد أفضل وبعد مرات عديدة ممكن أن تصبح هذه الروح في كوكب!! وبعد ذلك اقتبسها منهم الدروز والنصيرية غير أنهم لا يحرقون أمواتهم كالهندوس، ولا دليل على تناسخ الأرواح وإنما هو فكر فلسفي خرافي.

7- الفلسفة: هي فكر قائم على الشك والوهم والخيال، يُحَكِّمُ العقل ويهمل النقل «القرآن والسنة» وهذا من أشنع الكفر، وقد دخل الفلاسفة في الغيبات بمجرد التفكير، فيقولون بنفي وجود الله ونفي المعاد وقدم وأزلية

العالم، والفلاسفة متناقضون وكل واحد منهم يكذب ما يقوله الآخر مما يدل على بطلان مذهبهم، ولم تستفد البشرية منهم كما استفادت من علماء الدين والأطباء والمهندسين، إنما هم متشدقون لم يطيعوا خالق ولم ينفعوا مخلوق، والفلسفة لم تتقدم مع أن نشأتها كانت قديمة لكنها عند الخطوة التي بدأت منها، والواقع شاهد أن كثير من الفلاسفة كانت نهاياتهم مأساوية وأليمة فإما الانتحار أو الجنون أو الإلحاد، واعلم أنه لا سبيل لمن أراد معرفة الحق إلا اتباع الوحي لأنه من الله ولأنه صادق ونصوصه غير متعارضة وأما عقول البشر فهي ناقصة وإدراكها محدود.

8- علم المنطق: وهو قوانين بها يضبط العقل عن الخطأ والزلل، والحقيقة إنه فن خبيث يشكك في أمور الدين وفيه تضييع للوقت ولا فائدة فيه، وليس هو من علوم المسلمين، ولم يعرفه السلف الذين فهموا الدين خير فهم بدونه، ويعتبر مقدمة لعلم الفلسفة.

9- علم الكلام: وهو التدليل على الاعتقاد بالحجج العقلية، يعني إهمال النقل وهذا لا يقوله من كان في قلبه ذرة إيمان، وقد سُمي بعلم الكلام لأن المشتغلين به صنعتهم كثرة الكلام والجدل، ولقد أدى علم الكلام إلى انقسام الناس عقائدياً إلى فرق ضالّة، فاختلّفوا في صفات الله حتى أبطلوها وفي القضاء والقدر، وهل الإنسان مسير أم مخير، ولا يأخذون بأحاديث الآحاد، ومن أساسيات علم الكلام تحكيم العقل في العقيدة مثل الفلسفة تماماً، وعلم الكلام خاص بالأمور الدينية وهذا فرق بينه وبين الفلسفة.

*** الفلسفة والمنطق وعلم الكلام تحتوي على أفكار خاطئة وبعضها كفر، وننصح بالابتعاد عنها وعدم قراءتها.

الدعاء: _

معناه لغة: الطلب، وشرعاً: هو سؤال العبد ربه فيما يحتاجه لإصلاح دينه ودنياه، والدعاء من العبادات التي جعل الله تعالى لها أهمية كبرى في حياة المسلم، لما له من أثر كبير في الدنيا والآخرة في دفع البلاء ورفع المصائب، كما قال الرسول: (لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر) [الترمذي].

❖ فضل الدعاء: _

- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [٩٠] غافر [60].

- (الدعاء هو العبادة) [الترمذي وابن ماجه].

- (ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء) [أحمد].

- (من لم يسأل الله يغضب عليه) [الترمذي].

- (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء) [مسلم].

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إني لا أحمل هم الإجابة ولكن هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه) [اقتضاء الصراط المستقيم 2/706].

- قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (ادع الله في يوم سرائك، لعله يستجيب لك في يوم ضرائك) [أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان].

- قال الأوزاعي رحمه الله: (أفضل الدعاء الإلحاح على الله عز وجل والتضرع إليه) [شعب الإيمان].

- قال أبو حازم الأعرج رحمه الله: (لأننا من أن أُمْنَع من الدعاء أخوف مني أن أُمْنَع الإجابة) [سير أعلام النبلاء]، لأنه لا شيء أعظم من حرمان العباد.
- قال مورك العجلي رحمه الله: (لقد سألت ربي مسألة عشر سنين فما أعطانيها وما أيسر منها وما تركت الدعاء بها) [الزهد لابن المبارك].
- ولو لم يكن للدعاء من الفضائل إلا قربك من مولاك تعالى لكفى، فكيف وللدعاء من الفضائل والبركات الشيء الكثير!

❖ ❖ واجبات الدعاء: _

- 1 - الإخلاص لله تعالى.
- 2 - العزم في الدعاء واليقين بالإجابة.
- 3 - عدم الاستعجال في الإجابة، لأنه يؤدي إلى ترك الدعاء أما من لم يترك الدعاء فلا يحرم من الإجابة.
- 4 - حضور القلب في الدعاء.

❖ ❖ سنن الدعاء: _

- 1- أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم بالصلاة على النبي ﷺ ويفعل ذلك في الخاتمة.
- 2- الإلحاح، لأن فيه زيادة احتياج وتذلل لله.
- 3- عدم تكلف السجع.
- 4- التضرع والخشوع.
- 5- استقبال القبلة.
- 6- رفع اليدين.
- 7- أن يتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أو يتوسل بعمل صالح قام به.

❖ أوقات وأماكن وأحوال لإجابة الدعاء وهذه بعضها: _

- 1 - دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب.
 - 2 - عند نزول المطر.
 - 3 - بين الأذان والإقامة.
 - 4 - في السجود.
 - 5 - الدعاء في دُبر « آخر » الصلاة أي قبل التسليم.
 - 6 - دعوة الوالد لولده أو على ولده.
 - 7 - عند المُلتزم، وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود.
 - 8 - عند اشتباك جيش المسلمين بجيش الكفار.
 - 9 - من دخول الخطيب في الخطبة يوم الجمعة إلى أن يسلم من الصلاة، وذلك بين الخطبتين وفي السجود وقبل التسليم من الصلاة.
 - 10 - في آخر ساعة من عصر الجمعة.
 - 11 - دعوة المسافر.
 - 12 - دعوة المظلوم حتى لو كان كافراً.
 - 13 - الدعاء عند الاستيقاظ من النوم في الليل وقول الدعاء الوارد في ذلك: فقد قال ﷺ (من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته) [البخاري 1154] تعارَّ: استيقظ.
 - 14 - عند إفطار الصائم.
 - 15 - في الثلث الأخير من الليل.
- ❖❖ إجابة الدعاء ليست محصورة فيما ذكر، ولكن هذه لها فضل لورودها في السُّنة.

❖ أدعية من القرآن: _

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ آل عمران [8].

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ التوبة [129].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ إبراهيم [41].

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ الإسراء [24].
﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ المؤمنون [109].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ القصص [16].

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ القصص [21].
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ الحشر [10].
﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ الممتحنة [4].

❖ أدعية من السنة: _

(اللهم ربنا لك الحمد، أنت قيّم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك خاصمت وبك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما

أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني لا إله إلا أنت) [متفق عليه].
(اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) [الأدب المفرد للبخاري].

(يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) [الترمذي].
(اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) [مسلم].
(اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت) [أبو داود].

(اللهم اهديني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت) [أحمد].

(سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقفاً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة) [البخاري].

على عهدك: أي أنا مستمر على ما عاهدتك عليه من الإيمان بك.

ووعدك: موقن بوعدك يوم البعث والقيامة.

ما استطعت: أطيعك وأعبدك بقدر طاقتي واستطاعتي.

أبوء: أعتزف وأقر.

وتسمية النبي له بسيد الاستغفار يدل على أنه أفضل صيغ الاستغفار، باستثناء إذا كان هناك ذكر مخصوص بزمان أو حالة معينة كقول: استغفر الله ثلاثاً بعد الصلاة.

(اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني،
اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي) [متفق عليه].
خطيئتي: ذنبي.

جهلي: ما فعلته من الذنوب جاهلاً بحكمة.

إسرافي: تجاوزي الحد في معصيتك.

ما أنت أعلم به مني: الذنوب التي نسيتهما وأحصيتها أنت يا الله.

هزلي: مزاحي.

جدي: الجد ضد المزاح واللعب.

خطئي: ما وقع مني من غير قصد.

عمدي: ما وقع مني عن قصد.

كل ذلك عندي: إقرار واعتراف من العبد بأن كل هذه الذنوب التي سأل الله
أن يغفرها له موجودة عنده وقد فعلها، والإقرار بالذنب أول مراحل التوبة.

وهذا الحديث من جوامع الدعاء ويدل على الأدب والتواضع مع الله
(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك،
وجميع سخطك) [مسلم].

أعوذ: أعتصم وألتجئ وأستجير بك.

زوال نعمتك: ذهابها وهي جميع النعم الدينية والدنيوية.

تحول عافيتك: أي تبديل وتغيير العافية بضدها فيتحول الغنى إلى فقر
والصحة إلى مرض ونحو ذلك؛ لأن فقدان الشيء بعد وجوده أعظم مصيبة
من فقدانه من الأساس.

فجاءة: بغتة بدون توقع لها وبدون سابق إنذار فيكون مع العقوبة صدمة
وهذا أقوى.

نقمتك: عقوبتك.

سخطك: غضبك.

(اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك) [مسلم].

يعني يا ربي ارض عني ولا تغضب علي، وعافني ولا تعاقبني.

أعوذ بك منك: لا منجى ولا ملجأ من الله إلا إليه.

لا أحصي ثناءً عليك: لا أستطيع إحصاء وعد صفاتك الكاملة لكثرتها، والثناء هو تكرار الحمد.

أنت كما أثنيت على نفسك: أثني عليك كما أثنيت على نفسك في كتابك

(ربِّ قني عذابك يوم تبعث عبادك) [مسلم].

وهو عذاب الآخرة لأنه أشد العذاب.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: (اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) [الصحيحين].

الحسنة في الدنيا: طاعة الله والرزق والصحة والولد الصالح.

الحسنة في الآخرة: الأمن من الفزع الأكبر ومن أهوال يوم القيامة وتيسير الحساب، وشفاعة النبي وعبور الصراط ودخول الجنة ورؤية الله، فهذا الدعاء يشمل كل خير في الدنيا والآخرة ولهذا كان أكثر دعاء النبي.

(دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له) [الترمذي وأحمد].

وهذا الدعاء يجمع بين التوحيد «لا إله إلا أنت» والتنزيه لله عن النقائص «سبحانك»، والاعتراف بالذنوب «إني كنت من الظالمين» وجمع هذه الأصول

الثلاثة من أسباب إجابة الدعاء لكن لا بد من فعل واجبات الدعاء.

(اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) [مسلم].

الهدى: الهداية للإسلام وطاعة الله.

التقى: التقوى وهو أن تجعل بينك وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل الطاعات واجتناب المحرمات.

العفاف: العِفَّة وهي الابتعاد عن كل ما حرم الله، فالعِفَّة تكون بترك الزنى وترك المال الحرام وغيره.

الغنى: غنى النفس، والاستغناء بالله عن الخلق، وليس المقصود بالغنى كثرة الأموال، فإن بعض الأنبياء وكثير من الصحابة كانوا فقراء بينما تجد بعض الكفار يملك الأموال الطائلة الهائلة.

(أعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن) [مسلم]، والفتن نوعان: فتن شبهاً سببها الجهل وتُدفع بالعلم، وفتن شهوات سببها اتباع الهوى وتُدفع بالصبر، والتوبة من فتن الشبهات أصعب لأن صاحبها يعتقد أنه على حق أما فتن الشهوات فصاحبها يحتمل في أي وقت أن يتوب منها لأنه يعلم أنه على خطأ، كما أن فتن الشبهات أخطر لأنها قد تؤدي إلى كفر صاحبها، ومعنى الشبهة: الالتباس والاختلاط، وفتن الشبهات مثل: [التكذيب بالإسراء والمعراج - ادعاء أن الإسلام ظلم المرأة - التكذيب بالبعث والنشور - عدم الإيمان بنعيم القبر وعذابه - تكذيب رواية أبي هريرة لأحاديث كثيرة] وفتن الشهوات مثل: [الزنى - المال الحرام - ظلم الناس - سماع الأغاني].

(اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء) [البخاري].

جهد البلاء: الابتلاء «الامتحان» الشديد.

درك الشقاء: الدرك هو الوصول والحقوق، وهو أن يلحقه الشقاء «التعب والنصب».

سوء القضاء: ما يسوء الإنسان ويحزنه من القضاء في بدنه أو أهله أو ماله أو سوء الخاتمة.

شماتة الأعداء: فرح الأعداء عند مصيبة تنزل بي.

(اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجنون، والجذام، ومن سيئ الأسقام) [أبو داود].

الجذام: مرض تتأكل منه أعضاء الإنسان وتتساقط.

سيئ الأسقام: قبيح الأمراض وهي العاهات، لأن منها ما يُنفر الناس حتى الأقارب والأصدقاء، كالبرص والجذام والجرب، ومنها ما يسبب العجز عن القيام بأمور الإنسان ومهامه وأعماله اليومية كالشلل والعمى، فمن أصابته هذه الأمراض القبيحة ونفر الناس منه أو عجز عن الأعمال فلا يؤمن عليه التسخط من أقدار الله بخلاف الحمى والصداع فهذه لا أحد يتسخط منها ولا يجزع المؤمن منها غالباً.

(اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضني إليك غير مفتون) [الترمذي].

الخيرات: الأعمال الصالحة وكل ما يرضي الله.

المنكرات: المعاصي.

المسكين: المتواضع الهين اللين السهل، والذي لا يحمل في قلبه كبر وبطر وجبروت، وليس معنى المسكين هنا الفقير.

فتنة: ضلالة.

غير مفتون: غير ضال فلا استحق العقوبة.

وتمني الموت ممنوع إلا لمن خاف أن يفتن في دينه.

**** من المعلوم أن أفضل الأدعية هي ما ورد في الشرع، ولكن يجوز للمسلم أن يدعو الله بأدعية لم ترد شرعاً.**

❖ ❖ اسم الله الأعظم: _

- قال رسول الله ﷺ: (اسم الله الأعظم في سور من القرآن ثلاث: في البقرة وآل عمران وطه) [ابن ماجه].

- كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي ثم دعا وقال: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي: لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى) [الترمذي وأبو داود والنسائي].

- ورد أن الرسول سمع رجلاً يقول: (اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال الرسول: لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب) [الترمذي وأبو داود وابن ماجه].

- قال النبي عليه الصلاة والسلام: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿وَالْهَكْمُ لِلَّهِ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة 163] وفتحة سورة آل عمران ﴿الْم ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران 2، 1]) [حديث ضعيف رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه].

فيدعي المسلم بكل ما ثبت عن النبي ويجمع بينها.

❖ ❖ موانع إجابة الدعاء: _

- أكل المال الحرام كما قال النبي: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ

وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ المؤمنون [51]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ البقرة [172] ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنتى يستجاب له؟ [مسلم].

- عدم العزم في الدعاء لقول النبي في الصحيحين: (إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه).

- أن يستعجل في الإجابة لقوله عليه السلام: (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم وما لم يستعجل) قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: (يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء) [متفق عليه].

- أن يدعو وقلبه غافل ولاه أو بدون يقين، لقول النبي: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه) [الترمذي والحاكم].

- الإكثار من المعاصي.

- أن يعتدي في الدعاء، ومعناه مجاوزة الحد فيه بسؤال ما لا يجوز شرعاً، مثال ذلك: -

{الدعاء بالاثم} وهو الدعاء بشيء محرم، مثل أن يقول: (اللَّهُمَّ قَدَّرَنِي عَلَى قتل فلان وهو مسلم، أو اللَّهُمَّ ارزقني الخمر أو اللهم اغفر لفلان وهو قد مات كافراً يقيناً، أو اللهم خلّد فلاناً في النار وهو مؤمن)، ومثله أيضاً ما كان وسيلة إلى محرم، لأن الوسائل لها أحكام المقاصد «الغايات» كما ذكر ذلك العلماء ومنهم ابن القيم في «بدائع الفوائد»، فما كان وسيلة إلى حرام فهو حرام سداً

للذريعة، ومن صورهِ أن يدعو الله أن يرزقه بوظيفة وعمل فيه خلوة بامرأة أجنبية لأن ذلك قد يؤدي إلى الزنى.

{أن يدعو بقطيعة الرحم} يعني يدعو على الأقارب، إلا من ظلمه فيجوز له أن يدعو عليه، والعفو عن الظالم أفضل سواءً من الأقارب أو غيرهم.

{أن يدعو على من لم يظلمه أو يدعو بالعقوبة القوية على من ظلمه ظلم يسير، كأن يدعو بالموت على من أخذ منه مال قليل}.

{أن يدعو بما يخالف سنن الله في هذا الكون} مثل أن يسأل الله تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله بأن يطلعه على غيبه، أو أن يجعله من المعصومين، أو يسأله منازل الأنبياء أو يهب له ولدًا من غير زوجة.

{التفصيل في الدعاء} لأن فيه سوء أدب، وكأنه يأمر على الله، وقد ثبت عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني سل الله الجنة وتعود بالله من النار، فإني سمعت رسول الله يقول: (إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء) [أبو داود وصححه الألباني]، والاعتداء في الطهور هو المبالغة فيه بالزيادة على ثلاث غرفات أو صب الماء بغزارة.

الولاء والبراء: -

الولاء هو محبة الله ورسوله والمسلمين ونصرهم وموالاتهم، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) التوبة [71]. وقال عليه السلام: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [مسلم].

وقال عليه السلام: (إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله) [أحمد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب 3030]، وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: (وليُعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك) انتهى من «مجموع الفتاوى» (209 / 28)، كما يُنهى عن معاداة المسلمين لقول النبي: (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) [البخاري]، يعني يصبح سمعه وبصره وبطشه ومشيه فيما يحبه الله ويرضاه، والتردد عن قبض نفس المؤمن من صفات الله الفعلية وهو لا يشبه تردد الإنسان الذي سببه الشك في المصلحة، بل هو رحمةٌ بعباده، وعلى قدر إيمان العبد تكون ولاية الله له، فمن كان إيمانه قوي كانت ولاية الله له قوية وإذا ضعف ضعفت، ومن كان من المسلمين فيه إيمان وفيه فجور نعطيه من

الموالة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، والمؤمن الذي يعصي الله تبرأ من عمله ولا نتبرأ منه، فعندما قتل خالد الأسرى من بني جذيمة وبلغ ذلك النبي ﷺ قال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد) [البخاري]، فتبرأ من عمله ولم يتبرأ منه.

أما البراء فهو بغض الطواغيت «ما عُبدَ من دون الله وهو راضٍ» فليس عيسى والملائكة طواغيت لأنهم غير راضين عن عبادة المشركين لهم من دون الله، وكذلك بغض الكفر وجميع الكافرين ومعاداتهم وعدم مظاهرتهم، لأن الكافر عدو لله، ولا يمكن أن تجتمع موالة الكفار وجهادهم أبداً، وإذا واليناهم تركنا الجهاد وأبطلناه، وقد نهانا الله عن موالاتهم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ المائدة [51]، وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴿١﴾﴾ الممتحنة [1]، والبراءة من الكفار وكرههم واجب حتى لو كانوا من الأقارب، كما قال جل جلاله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾﴾ الزخرف [26، 27]، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٤١﴾﴾ الممتحنة [4]، ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ التوبة [114]، يعني اقتدوا بإبراهيم في كل شيء لأنه قدوة حسنة إلا في استغفاره لأبيه، فقد وعده أن يستغفر له رجاء أن يسلم فلما مات على الشرك تبرأ منه، وقال عز وجل ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

حَادَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿٢٢﴾ المجادلة [22] والوالدين لهم حق البر حتى لو كانوا كفار، بل هو واجب لقوله تعالى ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ لقمان [15] صاحبهما في الدنيا معروفًا: المقصود هم الوالدين يعني صحبتهم وطاعتهم في الأمور الدنيوية أما في أمور الدين فلا يطاعون إذا كانوا كفارًا، وهذا مثل الأب الكافر الذي يمنع ابنه من حضور مجالس الذكر أو يمنعه من الصلاة أو الذهاب إلى الحج أو يأمره بشرب الخمر فلا يجوز أن يطيعه الابن المسلم، والأرحام كذلك «الأقارب» لهم حق الصلة وأن ينصحهم ويرغبهم في الإسلام، وله أن يتصدق عليهم، لكن الوالدين والأقارب إذا كانوا كفار محاربين فليس لهم حق في البر ولا في الصلة ولا في الإحسان.

❖❖ مفهوم البراء: هو الكراهية من القلب لجميع الكفار وليس ظلمهم والاعتداء عليهم، ومن كان منهم غير محارب لنا فهذا نحسن إليه ونتصدق عليه، لأن ذلك يحبب الإسلام إلى قلبه ويعلم أنه دين رحمة وإحسان، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة [8]، وهذا فيه إباحة الإحسان إلى الكافر غير المحارب بالمال أو غيره، وهناك أمور نحن مأمورون بها وليس فيها ظلم للكفار، وهي: -

- (لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) [مسلم]، أي لا نسلم عليهم ابتداءً، ولكن إذا سلموا نرد عليهم بقول (وعليكم).

اضطروه إلى أضيقه: حُدّوه على أضيق الطريق ولا تتركوا له وسط الطريق إكراماً له، بل يترك له حافة الطريق، وهذا من أجل إذلالهم حتى يدخلوا في

الإسلام وإشعارهم أن دين الإسلام يعلو على جميع الأديان وأن الهيبة للمسلمين، وليس في هذا ظلم وعدواناً عليهم، كما أنه لا يجوز أن تكون مبانيهم أرفع من مباني المسلمين بل تكون أخفض منها، وأما المحارب منهم فقتاله واجب والإحسان إليه مُحَرَّم، قال عز وجل: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۖ﴾ البقرة [191]، الفتنة أشد من القتل: شرهم بالله أكبر من قتالكم لهم في الحرم، وقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوا فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مَتَا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ محمد [4] وقال: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ التوبة [5].

- إخراج الكفار بجميع طوائفهم من جزيرة العرب وعدم استقدامهم إلا للضرورة القصوى وفق الأحكام الشرعية، ويقدر ذلك ولي أمر المسلمين بشرط أن تكون إقامتهم عارضة مؤقتة لا دائمة، مثل من نحتاجه للعمل في بلادنا كالطبيب والمهندس، وإن ترتب على استقدامهم مفساد دينية كمحبتهم أو الرضا بكفرهم أو ذهاب الغيرة الدينية بمخالطتهم حُرِّم استقدامهم مطلقاً، وفي المسلمين خير وغنية وكفاية عن غيرهم والحمد لله، قال نبينا عليه السلام: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) [البخاري ومسلم]، وقال: (لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً) [مسلم]، وجزيرة العرب هي التي يحيط بها البحر الأحمر غرباً والخليج العربي شرقاً والمحيط الهندي جنوباً وتنتهي شمالاً إلى أطراف الشام والعراق، وأمر إخراجهم ليس موكولاً إلى أفراد الناس، وإنما هو من واجبات ولي أمر المسلمين.

❖ من صور موالاتة الكفار: _

1- محبتهم واتخاذهم أصحاب، والمحبة نوعان دينية وطبيعية، فإذا كان المسلم عنده والدين أو أقارب كفار أو زوجة كتابية فيجوز أن يحبهم محبة طبيعية غريزية لا غُلُوَّ فيها وفي نفس الوقت يبغضهم لكفرهم ولا تعارض بينهما، فيكونون محبوبين من وجه مكروهين من وجه، مثلما تجتمع الكراهة الطبيعية مع المحبة الدينية كما في الجهاد فإنه مكروه بمقتضى الطبع ومحجوب لأمر الله به، ومن هذا النوع: محبة المسلم لأخيه المسلم الذي ظلمه فإنه يحبه في الله ويبغضه لظلمه له، وتجتمع أيضًا المحبة الطبيعية والكراهة الطبيعية كما في الدواء المر: يكرهه المريض لمرارته، ويتناوله لما يرجو فيه من منفعة وكذلك تجتمع المحبة الدينية مع البغض الديني كما في المسلم الفاسق فإنه يُحِبُّ لما معه من الإيمان، ويُبْغِضُ لما فيه من المعصية، فمحبة الأقارب الكفار الطبيعية التي ليس فيها مبالغة لا تتعارض مع البراءة منهم.

2- معاونتهم على المسلمين، أو عدم معاونة المسلمين عليهم.

3- مدحهم والثناء عليهم سواءً كان لدولهم ومجتمعاتهم كقول البعض ممن هو مُعْجَبٌ بهم أن عندهم تطور وحضارة وتاريخ عريق، أو كان الثناء على أفرادهم كالمشاهير أو المطربين، كما يحرم أيضًا تفضيلهم على المسلمين، وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (من عَظَّمَ صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام) فكيف بتعظيم الكافر!

4- التشبه بهم، قال النبي: (من تشبه بقوم فهو منهم) [أبو داود وأحمد]. وقال: (لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال النبي (فمن؟! [الصحيحين]، وهذا خبر ومقصده نهى، سواءً كان التشبه بهم في كلامهم ولغتهم إلا للحاجة، أو في عاداتهم مثل حلق اللحية وإطالة الشارب والقزع

والاعتماد في التاريخ على الميلادي دون الهجري وتربية الكلاب، أو كان التشبه بهم في ملابسهم وأزيائهم وهذا مُشاهد من بعض المسلمين، تراه يرتدي سروالاً قصيراً يبين الفخذين أو يلبس ملابس رياضية عليها اسم أو صورة لاعبين كرة القدم وهذا غير المبالاة فيه تعظيم لهم، بل يصل ببعضهم الحد إلى الصلاة بهذه الملابس، ومثل من يلبس طاقية اليهود، ويزداد الإثم إذا كان على لباسه علامة «الصليب»، وكذلك ممنوع التشبه بهم في عباداتهم مثل رياضة اليوغا الوثنية ومثل اللعب بألعابهم الشركية التي يُقَرُّون فيها بتعدد الآلهة أو أن غير الله يحيي الموتى سواءً كانت هذه الألعاب الإلكترونية أو غيرها، ونحن منهيين عن التشبه بهم لأن التشبه بالظاهر يقود إلى التشبه بالباطن، والمشابهة تورث المحبة والتبعية والخضوع لهم، والتشبه الممنوع هو ما كان خاصاً بالكفار وشعاراً لهم سواءً في عباداتهم أو في عاداتهم بحيث لو رأى الناس من يلبس هذا اللباس أو يفعل هذه العادة أو العبادة نسبوه إلى الكفار، أما ما اشتهر بين المسلمين فعله ولم ينه عنه الشرع فلا حرج فيه حتى وإن فعله الكفار، ومشابهتم تكون أيضاً في بناء المساجد على القبور، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يَقُمْ منه (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد) لولا ذلك أبرَّ قبره غير أنه خَشِيَ - أو خُشِيَ - أن يُتَّخَذَ مسجداً» [البخاري ومسلم]، فلا يجوز البناء على القبور كما يفعل الصوفية والروافض الذين يبنون الأضرحة على قبور الأموات مثل: (قبر البدوي والشاذلي والسيدة زينب والحسين) كما يُمنَع الطواف عليها والذبح والنذر لها والتبرك بها ودعاء أصحابها الأموات والاستغاثة بهم، فهذا شرك أكبر، ولا فرق بين عابد القبر وعابد الصنم، حتى الذي يعبد قبر النبي عليه السلام أو يدعوه فإنه يكفر بلا شك، واعلم أن الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق جائزة ولكن بأربعة شروط وهي أن يكون

{حي غير ميت - حاضر غير غائب - قادر غير عاجز - أن يعتمد بقلبه على الله وليس على المخلوق}، فمن صرف أي عبادة لغير الله فقد أشرك شرك أكبر وحبط عمله، والمشروع للمسلم هو زيارة القبور لدعاء الله للأموات وليست لدعاء الأموات، ولأن ذلك يذكر بالموت والآخرة ويرقق القلوب كما فعل النبي عندما زار البقيع ودعا الله لمن مات من أصحابه، أما تعظيم القبور ففيه محذورات كثيرة وخطيرة، فعن جابر قال: (نهى رسول الله أن يُجَصَّصَ القبر، وأن يُقَعَّدَ عليه، وأن يُبْنَى عليه) [مسلم].

الحِصَّ: مادة يبيض يُزَيِّن بها البناء ويُسمَّى الجبس.

يُقَعَّدَ عليه: لأن هذا فيه إهانة للمسلم.

يُبْنَى عليه: سواء كان البناء غرفة أو قبة أو مسجد، لأن هذا يؤدي لتعظيم الأموات والغلوّ فيهم ويُفضي إلى الشرك، وكذلك الكتابة على القبر سواء كان فيها مدح وثناء من شعر ونحوه أو كتابة اسم الميت أو رقم القبر فكل ذلك لا خير فيه، ومن عقائد الصوفية الباطلة أيضًا أنهم ينسبون لأوليائهم كرامات لا يصدقها أحد وهي في الحقيقة خرافات، ومن ذلك يقولون إن أحد مشايخهم عندما توفاه الله وتأخروا في دفنه حتى كادت الشمس أن تغيب فإذا بها ترجع إلى جهة المشرق وهذا كذب بلا شك، وإن بعض مشايخهم سجد سنة كاملة لم يرفع رأسه، ويزعمون أن أوليائهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون ويحيون الموتى، ويقولون إن العبد قد يصل لدرجة من القرب من الله تسقط عنه التكاليف الشرعية فلا يجب عليه صوم ولا صلاة ولا حج، وإن الولي يرى النبي في اليقظة، وكيف يكون ذلك والنبي قد مات قبل ألف وأربعمائة عام؟! وليس ببعيد عنهم اعتقاد الرافضة الفاسد وقولهم إن أئمتهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، ويقولون إن بعض مشايخهم له كرامات من الله وإن عينيه وأذنيه برزخيَّه فهو يرى ويسمع المستقبل والماضي والبرزخ وهو ما يزال

على قيد الحياة، وعندهم أكاذيب أخرى لا يصدقها عاقل، فهذا دجالهم الخميني يقول: إن سبب ملوحة البحار هو بكاء الأسماك على الحسين، وبعض الشيعة يقول إن الله قد «حَلَّ» في جسد علي بن أبي طالب وإن علي أحق من نبينا محمد بالرسالة، وهذا كفر بالإجماع، فليس كل من ادَّعى أنه مسلم يكون كذلك، أما أهل السنة والجماعة فيحرّمون البناء على القبور مطلقاً ولا ينسبون علم الغيب إلا لله وحده ولا يصرفون أي عبادة إلا لله عز وجل، ويعتقدون أن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء حق وكلاهما خارق للعادة «غير معتاد وفوق قدرة البشر» مع عدة فروق بينهما: -

- المعجزة خاصة بالأنبياء وتسمى آية وبرهان وهي تأييد ونصر وتصديق من الله لهم، وهي أكبر بكثير من الكرامة.

- الكرامة هي إكرام من الله لأوليائه الصالحين، إما لإقامة الحُجة على أعدائهم حتى يعلموا أن هذا الدين حق، أو لحاجتهم لها كما حدث للصحابية عباد بن بشر وأسيد بن الحضير رضي الله عنهما في عهد الرسول لما خرجا من عنده أضاءت لهما أسواطهما في ليلة ظلماء، حتى وصلوا إلى بيوتهم، وكما حصل للصحابي خبيب بن عدي رضي الله عنه عندما أسروه كفار مكة فكان يأكل عنباً، ومكة وقتها ليس فيها عنب، وإنما هو رزق ساقه الله إليه، وكما حصل لأصحاب الكهف عندما ناموا ثلاثمئة وتسع سنين ولم تحرقهم الشمس ولم تأكلهم الأرض ولم تتحلل أجسادهم ولم يتمكن أعداؤهم من إلحاق الضرر بهم، ولكن لا يشترط أن كل ولي يحدث له كرامات، وتحصل الكرامات للصالحين في هذا الزمن وكل زمن فهي لم تنقطع، وهناك قسم ثالث يسمى أحوال شيطانية وهي لأوليائه وليست لأولياء الله، أعني بهم السحرة والكهان والمشعوذين فهي فتنة وضلال واستدراج من الله لهم، فتجدهم يطيطون في الهواء أو يمشون على الماء أو يدخلون النار، وهو خلاف الواقع

ولكنه سحر تخيل للعين فقط وليس حقيقة، فالخوارق وحدها لا تكفي للحكم على صاحبها بالصلاح حتى ننظر للشخص الذي تجري على يده هل هو مهتد وعمله صالح أم ضال وعمله سيئ.

5- الاحتفال بأعيادهم مثل عيد الأم وعيد الحب والكريسماس، وهي بدعة أحدثها الناس، وليس للمسلمين إلا ثلاثة أعياد وهي الفطر والأضحى والجمعة.

6- التسمي بأسمائهم مثل: (خادم المسيح - عبد المسيح - خادم الهيكل - بطرس - جرجس - كوهين - يوحنا - جورج - فرعون - عبد النبي - عبد الحسين - حاخام - كريستيان أو كريستيانو).

7- السفر إلى بلادهم لغرض النزهة وهو محرم إلا عند الضرورة كالعلاج والتجارة والتعليم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم، فيجوز بقدر الحاجة، وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين، وأيضاً بشرط أن يكون مظهرًا لدينه، وبعض المسلمين إذا ذهب إلى بلاد الكفر ربما يترك دينه ويرتد عن الإسلام وهذا حكمة القتل كما أمر الرسول بذلك وقال: (من بدل دينه فاقتلوه) [البخاري]، ولا يقتل إلا بعد أن يُستتاب ثلاثة أيام وإن لم يرجع للإسلام وإلا قتله ولي الأمر، وسبب قتله أنه كفر بعدما عرف الحق ولأنه يصرف المسلمين عن دينهم ويُشعر غير المسلمين أن هذا الدين سيئ وغير مناسب، فأصبح أخبث من الكافر الذي لم يسبق له الإسلام.

8- الرضا بكفرهم أو عدم تكفيرهم، فمن لم يكفر الكافر فليس بمسلم.

9- توليتهم المناصب، أو اتخاذهم بطانة.

10- التجنس بجنسياتهم لما في ذلك من امتزاج واختلاط معهم.

❖ هناك أمور أباحها الشرع وليست من الموالاة: _

1- زواج المسلم من نساء أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى بشرط أن تكون عفيفة، والحكمة منه أن المرأة في الغالب تكون تابعة لزوجها في ديانتها فإذا تزوجها المسلم فإنها تُسلم غالباً، لكن تظل المسلمة أفضل منها بكثير لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول قال: (تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك). فالناس مختلفون في اختيار الزوجة، فمنهم من يرغب في صاحبة المال ومنهم من يرغب في ذات الحسب ومنهم من يرغب في الجميلة وبعضهم يريد ذات الدين، والذي أمر به النبي هو اختيار صاحبة الدين والتقوى، أما المسلمة فلا تحل إلا للرجل المسلم فقط.

2- أكل ذبائح أهل الكتاب بشرط أن تُقطع الودجين «مجرى الدم» وهما العرقين المحيطين بالعنق لكي ينهر أي يصب الدم بكثرة، ويُقطع الحلقوم «مجرى النفس» ويُقطع المريء «مجرى الطعام» وأما إذا كانوا يستخدمون الخنق أو الضرب على الرأس أو يصعقونها بالكهرب فلا تحل، وكذلك بشرط ألا يذكر عليها اسم غير الله تعالى، كاسم المسيح أو مريم غيرهما، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ البقرة [173]، والذي أُهِلَّ به لغير الله هو ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله فهذا حرام، وإذا جهلنا هل ذكر اسم غير الله عليها أم لا، وهل ذُبِحَتْ ذبيحاً شرعياً أم لا، فالأصل هو حلُّ ذبائح الكتابي، وإذا علمنا أن الغالب على أهل بلدٍ ما أنهم يستخدمون الصعق أو الخنق أو غيره ولا يذبحون الذبح الشرعي فلا يجوز أكل هذه اللحوم حتى لو كانوا أهل كتاب وحتى لو كانوا مسلمين أيضاً، وأما ما ذبحه أهل الكتاب لأعيادهم وما يتقربون بذبحه إلى غير الله نظير ما يذبح المسلمون هداياهم وضحاياهم متقربين بها إلى الله تعالى، وذلك مثل

ما يذبحون للمسيح والزهرة، فلا يباح أكله وإن لم يسمَ عليه غير الله تعالى، ولكن لا يلزم السؤال عما ذبحه المسلم أو الكتابي كيف ذبحه، وهل سمي عليه أو لا؟ لأن ذلك من التَّنَطُّع في الدين، والنبي ﷺ أكل مما ذبحه اليهود ولم يسألهم، وأما إن كان الذابح مشركاً وثنيّاً من غير أهل الكتاب فإنها لا تحل ذبيحته حتى لو ذبحها بطريقة شرعية، ولكن إذا اضطر المسلم وخاف على نفسه من الموت إن لم يأكل جاز له بل يجب عليه أن يأكل أي لحم وبأي طريقه ذُبِحَ بها، فيأكل بقدر ما ينجيه من الموت لقاعدة «الضرورات تبيح المحظورات»، والتسميه عند الذبح واجبة على المسلم وهي قول (باسم الله والله أكبر) ومن تركها عمداً لا تحل ذبيحته ولا يجوز أكلها، ولا تصح أضحيته أو عقيقته، وإن كان قد نسي التسمية فذبيحته حلال ويعذر بالنسيان، فالتسمية واجبة عند الذبح وعند الصيد بالبندقية، فيسمي كلما أراد أن يطلق رصاصه، كالذي يرمي الطيور أو غيرها، وكذلك يسمي بالله من أراد إرسال الصقر أو الكلب المدرب على الصيد بشرط أن يستجيب لأوامر الصائد بحيث إذا أمره يمتثل وإذا زجره كف، وبشرط أن لا تأكل شيئاً من الصيد، فإذا قتلت ولم تأكل شيئاً من الصيد جاز له، وإن أكلت منه لم تحل له.

3- جواز التعامل مع جميع الكفار بالمعاهدات وتبادل المنافع والخبرات وعقد الصلح «المؤقت» والبيع والشراء «باستثناء ما يستعينون به على حربنا أو على إقامة دينهم» وقد تُوَفِّي النبي ﷺ ودرعه مرهون عند يهودي.

** لقد كثر في هذا الزمن تاركو العمل بهذا الباب الذي هو من أهم أركان العقيدة حتى أصبحت موالاة الكافر شيئاً طبيعياً وأمرًا معتاداً، وعدم الولاء من بعض المسلمين لبعضهم أمرًا ملحوظًا.

**** يجب أن يكون منهجنا وسط بين التفریط والإفراط، فالتفریط مثل قول**
إنه لا يوجد فرق بين المسلم والكافر وكلنا تجمعنا الإنسانية وكلنا بنو آدم
وإخوان وأن اختلافنا مع الكفار يهدد الوحدة الوطنية ويسبب التفكك، ومثل
من يدعو إلى وحدة الأديان أو تقاربها أو يسمح لغير المسلمين ببناء الكنائس
والمعابد، ولا يمكن أن تتحد الأديان لتناقض عقائدها، والحق واحد وهو
الإسلام ولا يقبل التعدد، فكل الأديان غيره باطلة، ومن صور التفریط الدعوة
إلى الديانة الإبراهيمية أو البيت الإبراهيمي، وهو أمر منكر لأن شريعة رسولنا
محمد نسخت كل شريعة، ولأن مقصدهم الخبيث ليس اتباع خليل الله إبراهيم
ولكن يريدون التسوية بين المسلم «الموحد» والكافر «المشرك»، وأما إن
قصدوا التعايش والتعامل مع الأديان الأخرى ودعوتهم للإسلام فهذا لا بأس
به، ولكن من غير أن نتنازل عن مبادئنا وأصول ديننا أو نعتقد أنهم على حق،
كما أنه لا يجوز قول إن كل إنسان حر في دينه لأن هذه مقولة باطلة، والإنسان
مأمور ومنهي من الله وهو عبد لله وليس حر، ولم يخلقنا الله إلا من أجل التَّعَبُّد
والتذلل له، وليس للحرية المزعومة كما يعتقد الليبراليين والعلمانيين الكفرة،
فالعبودية لله هي أشرف المنازل وليست إهانة كالعبودية لغيره، وعلى ضد
هؤلاء يأتي أهل الإفراط الذين يظلمون الكافر غير المحارب ويعتدون عليه أو
على ماله، قال نبينا ﷺ: (من قتل معاهدًا لم يَرِحْ رائحة الجنة، وإنَّ ريحها
ليوجد من مسيرة أربعين عامًا) [البخاري]، وبعضهم يكفر المسلم الذي
يتعامل مع الكفار ويستبيح دمه، وهذا جاهل في الدين، ومن صور المبالغة في
البراء أيضًا عدم الوفاء بالعهود، أو عدم الرحمة بأهل الذمة.

الجهاد في سبيل الله: -

فرض الله الجهاد في السنة الثانية من الهجرة بعدما أصبح للمسلمين شوكة وقوة وذلك لأنهم كانوا في مكة المكرمة قليلين فلم يكلفهم الله بالجهاد، بل كان محرماً عليهم وقتها، وقتال الكفار ذروة سنام الإسلام وبه قام هذا الدين وارتفعت رايته وهو من أعلى القربات وأجل الطاعات، وسبب تشريعه لكي تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ولنشر التوحيد وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ولإزالة الشرك، فهو ليس فيه عدوانية ولم يشرع من أجل مطامع دنيوية مثل الحصول على الأموال أو غير ذلك، إنما شرع من أجل الفوز برضوان الله تعالى ودخول جنته ونيل الشهادة في سبيله ولأجل عدم تعويد النفس على الجبن ولأجل الزهد في الدنيا، ولمنع الكفار من تعذيب المستضعفين من المسلمين الذين هم تحت أيديهم، فمتى ما تسلط الكفار على المسلمين عذبوهم وألزموهم بترك الإسلام، وفي تشريع الجهاد اختبار للمؤمنين وكشف للمنافقين، وهو سبب لتآلف المسلمين وجمع كلمتهم، والجهاد يكون بالمال والنفس واللسان والدعاء والتوجيه والإرشاد، حسب الاستطاعة، باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٣١﴾ التوبة [111]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ٥١﴾ يُشْرَهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّتَ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ٥٢ خَالِدِينَ فِيهَا

أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ التوبة [20-22]، وقال أيضًا: ﴿وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ أُنْتَهُوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ الأنفال [39]، والنبي ﷺ لما سئل: أي العمل أفضل؟ قال: (إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور) [البخاري]، كما أن ترك الجهاد مع القدرة عليه أو ترك ضرب الجزية على أهل الكتاب كبيرة من كبائر الذنوب، قال عليه السلام: (من مات ولم يَغْزُ ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق) [مسلم]، والوعيد خاص بمن كان قادرًا على الجهاد وتوفرت شروطه، وأي طائفة امتنعت عن الجهاد مع قدرتها عليه تُقاتل وإن لم تجحد فرضيته، كما هو الحال في قتال من امتنع عن العبادات كالصوم والزكاة والحج أو كالطوائف التي تتعامل بالربا وتعاطي الخمر، لأن كل ما سبق من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، فيقاتلون حتى يكون الدين كله لله، لأن اتفاقهم واجتماعهم على هذا يترتب عليه إسقاط أو تغيير شيء من الدين، بخلاف لو أن رجلاً ترك الصوم أو الحج أو تعامل بالربا أو شرب الخمر فإنه شخص واحد ولا يغير شيئًا في الدين، وأما من استحل المعصية أو حرّم الطاعة فإنه يكون كافرًا سواءً كان فردًا أو جماعة، ولْيَعْلَمَ أن ترك الجهاد سببًا لعذاب الله كما قص الله تعالى من خبر بني إسرائيل لما طلب منهم موسى عليه الصلاة والسلام أن يدخلوا الأرض المقدسة فامتنعوا فعاقبهم الله، وفي تركه تفويت لمصالح كثيرة في الدنيا كالمغانم وعدم تسلط الكفار، ومصالح في الآخرة مثل الشهادة والأجر والمغفرة، والشهادة في سبيل الله تعالى مكفرة لجميع الذنوب باستثناء حقوق الأدميين لقوله ﷺ: (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين) [مسلم].

وتكفيرها للذنوب يكون بشروط وهي أن يقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر مخلصاً لوجه الله وحده، هدفه نصر الإسلام وهزيمة الكفر، وقاتل الكفار لم يشرعه الله للمسلمين انتقاماً أو تجبراً، وإنما هو قتال رحمه بالكفار من أجل إدخالهم الإسلام إجباراً بعد أن امتنعوا عن دخوله اختياراً، ويدل على ذلك أننا منهيون عن قتل طوائف منهم وهم النساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم وكبار السن والأجراء والفلاحون، وأصحاب الأمراض المزمنة كالأعمى والمشلول والمُقعّد ومقطوع اليد أو الرجل، إلا إذا قاتلوا أو أعانوا بقول أو فعل أو رأي أو إمداد بمال أو سلاح أو كانوا مختلطين بالمحاربين ولا يمكن الوصول إلى قتل المحاربين إلا بقتلهم، فلا إثم في قتلهم لأنه اضطرار، ومما منعنا منه رسولنا التمثيل بالجثث في الجهاد، فهو مُحَرَّم لأنه تشويه لجثث القتلى وإمعان في الإيذاء والتنكيل، حيث يتنافى مع أخلاق الإسلام، فلا نجد أذانهم وأنوفهم، ولا نبقر بطونهم إلا أن يكونوا فعلوا ذلك بنا فنفعل بهم مثل ما فعلوا، فيجوز على وجه القصاص، والتَّرك أفضل.

❖ أنواع الجهاد: _

- 1- جهاد النفس: ويكون بمجاهدة النفس على الطاعة وكفها عن المعصية وبتعلم العلم الشرعي.
- 2- جهاد الشيطان: ويكون بدفع وساوسه وشبهاته ومخالفته في تزيينه للشهوات.

1- جهاد الكفار والمنافقين: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝﴾ [التحریم 9] جاهد الكفار بالسيف وجاهد المنافقين بالحُجَّة وتبين الحق لهم.

4- جهاد الفساق: ويكون بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتوجيههم وإرشادهم ونصحهم بالتي هي أحسن، كما قال الرسول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [مسلم].

❖ ❖ شروط الجهاد: _

وهي قسمان شروط وجوب وشروط صحة، أما شروط الوجوب فهي:

أولاً: الإسلام، فلا يجب على الكافر، لأن الكافر غير مأمون في الجهاد

ثانياً: البلوغ، فلا يجب على الصبي لأنه ضعيف وسرعان ما يقتل أو ينهزم.

ثالثاً: العقل، فلا يجب على المجنون.

رابعاً: الحرية، فلا يجب على العبيد.

خامساً: الذكورية، فلا يجب على النساء، لأن المرأة ضعيفة، ولا يؤمن ظفر العدو بها، إلا كبيرة السن تخرج لسقي الماء ومعالجة الجرحى.

سادساً: السلامة من الضرر، فلا يجب على الأعرج والأعمى والمقعّد والمشلول ومن كانت يده أو رجله مقطوعة، وكذلك الممرض الشديد الذي يمنع صاحبه من القتال، أو من كان كبيراً في السن.

سابعاً: وجود النفقة، فيشترط للمجاهد أن يجد «الزاد» وكذلك أن يؤمّن نفقة لعائلته في مدة غيبته، وسلاح يقاتل به، وتشترط الراحلة إذا كانت المسافة بعيدة.

أما شروط الصحة فهي كالتالي: _

أولاً: أن يكون الهدف من الجهاد إعلاء كلمة الله «لا إله إلا الله» وليس لأهداف دنيوية، فيكون في الجهاد إخلاص لله وحده وألا يُتغنى إلا وجهه.

ثانياً: أن تكون الراية التي ترفع للجهاد واضحة ومعلومة وليست مجهولة، ولا تكون الراية معلومة إلا إذا كانت راية ولي الأمر.

ثالثاً: ألا يترتب على القتال مفسدة أعظم من مفسدة تركه.

رابعاً: الرجوع إلى ولي الأمر «الحاكم» لأنه هو الذي يأمر بالجهاد ويأذن به، من أجل أن تتوحد الراية ولا يحدث تفرقة وفوضى وتختلف الآراء، فلا يرجع إلى الأحزاب الضالة والجماعات المنحرفة كالإخوان وغيرهم، بل يجب على الأحزاب والجماعات وجميع الشعب الرجوع إلى أوامر ملكهم، ولا يشترط أن يكون الحاكم يحكم جميع بلاد المسلمين كما هو رأي بعض الجهلة لأن هذا لا يتيسر ولم يحصل منذ قرون عديدة كما قد حدث في الدولة الأموية والعباسية، أما في عصرنا هذا فلكل دولة ملك.

خامساً: القدرة والقوة التي يغلب على الظن أنها تكسر شوكة العدو بحيث تكون مساوية لقدرته أو قريبة منها، والقدرة تكون في السلاح وفي الرجال، فيشترط ألا يكون العدو أقوى من المسلمين بكثير، فإذا كان المسلمين في حالة ضعف فالواجب عليهم ترك الجهاد مؤقتاً حتى يتم إعداد الجيوش والأسلحة، وليس لهم المخاطرة بأرواحهم، لأن الجهاد قائم على تحقيق المصالح وليس قتالاً عبثياً وإزهاق أرواح بدون فائدة، وإلا فإن الصلح هو الخيار الوحيد كما فعل النبي في صلح الحديبية عندما صالح كفار مكة، ولكن يكون صلح مؤقت غير دائم لأن الصلح الدائم فيه خنوع وذلة وفيه رضا بكفرهم وترك للجهاد، أما ما يردده الناس اليوم من أن الرسول والصحابة كانوا أقل قوة وعدد من الكفار في غزوة بدر، فإن الرسول ينزل عليه الوحي ويأمره الله بواسطة جبريل، ثم إن الفارق كان بسيطاً وليس كبيراً ومعلوم أن الملائكة قاتلت مع النبي وأصحابه في معركة بدر، وكانت الأسلحة واحدة في جميع أهل ذاك العصر وهي السيوف والرماح، أما الآن فهناك أسلحة حديثة كالقنبلة الذرية والنووية

والكيماوي التي تقطع آلاف الكيلو مترات بسرعة فائقة، وبعض الطائرات تطير بدون طيار يتحكمون بها بالريموت الكونترول فقط ولا يخسرون جنود بشرية، وحفظ أرواح المسلمين مهم جداً، أما الكلام الذي يُبنى على العواطف المجردة من العقلانية وعدم النظر إلى توازن القوى وعواقب الأمور فهو عين الوهم، فليس الجهاد بالعواطف والعنتریات كما يفعل من يلبس حزام ناسف ويقوم بتفجير انتحاري ويجر بلداً كاملاً إلى الحرب وهذا من السّفه.

**** جهاد الدفع لا يشترط له شروط الوجوب وهي الإسلام والبلوغ والذكورة والحرية والسلامة من الضرر والنفقة، فهذه تسقط فيشارك فيه الرجل والمرأة والكبير والصغير والحر والعبد، أما شروط الصحة فلا بد منها في جهاد الطلب وجهاد الدفع ولا يصح الجهاد بدونها.**

**** حكم جهاد الطلب «طلب العدو في أماكنهم وابتدأؤهم بالقتال» أنه فرض كفاية يعني إذا قام به بعض المسلمون سقطت عن البقية وليس بفرض عين ولا يعني كونه فرض كفاية التقليل من أهميته بل هو من أعظم العبادات وهو ذروة سنام الإسلام، كما أن ترك الجهاد يؤدي إلى تمكن العدو من المسلمين وتسلبه على رقابهم وعلى ديارهم وأموالهم، لكنه لا يتعين على المسلم إلا في حالات: {إذا تقابل جيش المسلمون وجيش الكفار - إذا استنفر الإمام الناس «طلب منهم القتال» استنفاً عاماً أو خص شخصاً بعينه لزمهم النفير}، ففي هذه الحالات يصبح جهاد الطلب فرض عين، أما جهاد الدفع «دفع العدو عن بلاد المسلمين» فهو فرض عين مع الأخذ بشروط صحة الجهاد.**

❖ ❖ الاستئذان في الجهاد لا بد منه وهو أنواع: _

1- إذن ولي الامر، وهو الحاكم المسلم، وإذنه أولى من إذن غيره كما سيأتي.

2- يحرم الجهاد إذا منع أحد الوالدين «إذا كانا مسلمين» ابنهما من الجهاد لأن برّهما فرض عين والجهاد فرض كفاية، إلا أن يتعين الجهاد في حقه فحينها لا يطيع أبويه في ترك الجهاد لأن مصلحته أعم، إذ هي لحفظ الدين والدفاع عن المسلمين، فمصلحته عامة مقدمة على غيرها، ولكن يُستثنى من ذلك إذا كان له أبوان كبيران وليس لهما عائل سواه، فحينئذٍ يجوز له التخلف عن الجهاد.

3- من كان عليه دين فلا يجاهد، بل عليه أن يبقى ليعمل ويقضي دينه، إلا إذا جعل له كفيل أو رهن أو كان عنده ما يتركه لقضاء دينه من مال أو زرع ونحوه أو أذن له دائرة بطيب نفس.

4- العبد المملوك لا بد أن يستأذن سيده للجهاد، فلا يجاهد إلا بإذن سيده، وكذلك الحج والتجارة والزواج والصدقة يشترط فيها إذن السيد.

*** في جهاد الدفع لا يشترط إذن السيد لعبده ولا إذن الوالدين لابنهما ولا إذن الغريم لغريمه، كما لا يشترط فيه أن يكون العدو ضعف عدد المسلمين أو أقل، فيجاهد المسلم حتى لو كان الكفار أضعافاً كثيرة كما فعل النبي مع الأحزاب في غزوة الخندق، أما جهاد الطلب فإذا كان الكفار أكثر من ضعف عدد المسلمين فلا يجب عليهم القتال، أما إذن الحاكم فهو شرط في جهاد الطلب والدفع.

❖ ❖ يعتقد البعض أن كل كافر يجوز قتله وهذا خطأ عظيم، وليعلم أن أقسام الكفار أربعة: _

1- محارب ليس بيننا وبينه عهد ولا ذمة ولا أمان وقد اجتمعنا معه في أماكن القتال، فهذا يجب قتاله.

2- ذمي وهو الذي يسكن بلاد المسلمين ويدفع الجزية، فهذا تجب حمايته من أي عدو داخلي أو خارجي وعدم إيذائه أو الاعتداء على ماله، ولا ننقض

ذمته إلا إذا نقض هو العهد، مثل من يسب الله أو رسوله أو دين الإسلام أو من يمتنع عن أداء الجزية أو يزني بمسلمة أو يتجسس ضد أهل الإسلام أو يمتنع من الالتزام بأحكام الإسلام فهذا هو من بدأ بنقض العهد، وإذا لم يخلل الذمي بشروط الذمة فيجب علينا الوفاء بها لأن المسلم لا يغدر ولا يخون، وهؤلاء جعلوا أهل ذمه لأنهم دفعوا الجزية وهم صاغرون ذليلون، وأيضاً لكي يتعلموا محاسن الإسلام ويعتقوه، وعقد الذمة خاص بأهل الكتاب والمجوس، فيقرون على كفرهم مع التزامهم بشروط عقد الذمة وهي: -
أولاً: أن يكون عقد الذمة مؤبداً.

ثانياً: الالتزام بأحكام الإسلام في غير العبادات، فنلزمهم بحفظ حقوق الأديمين في المعاملات «ضمان النفس والمال والعرض» ونقيم عليهم الحدود فيما يعتقدون تحريمه كالزنى والقتل والسرقة، لا فيما يحللونه كأنكحتهم المحرمة وأكلهم الخنزير وشربهم للخمر، هذا إذا كانت الخصومة بين مسلم وذمي، أما إذا كانت الخصومة بين ذمي وذمي فيتحاكمون فيما بينهم إلى شريعتهم، وفي حال جاؤوا إلى الحاكم المسلم فإن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم، وإن حكم بينهم حكم بشريعة الإسلام.

ثالثاً: ألا يذكروا ما فيه غضاضة على المسلمين وهو ذكر ربههم أو كتابهم أو دينهم أو رسولهم بسوء.

رابعاً: ألا يظهروا منكراً.

خامساً: ألا يصدر منهم ما فيه ضرر على المسلمين أو يعينوا عليه.

سادساً: أن يكون عقد الذمة مع أهل الكتاب والمجوس فقط، أما غيرهم من عبدة الأوثان وسائر المشركين فلا يعقد لهم عقد ذمة.

3- معاهد وهو الكافر الذي يكون بيننا وبينه عهد «صلح مؤقت وهدنة» كالذين عاهدهم النبي ﷺ من كفار قريش في صلح الحديبية، ولكن يجب أن

يكون الصلح مؤقتاً أو غير مطلق، أما الصلح المؤبد فهو محرم لما فيه من رضا بكفرهم وإبطال للجهاد في حال القدرة عليه، فقد كان صلح الحديبية عشر سنوات تفرغ النبي من عداوة وقاتل كفار قريش إلى نشر الإسلام في بلدان كثيرة حتى أسلمت الكثير من القبائل، كما أراد النبي استراحة المقاتلين وإنشاء جيل مقاتل آخر، فاحترم النبي العهد ولكن قريش لم تلتزم به، فقد أغارت على بني خزاعة حلفاء المسلمين فما كان من النبي إلا أن يغزوهم في دارهم مكة ويفتحها، وكذلك معاهدة النبي مع يهود المدينة، فقد عاهد يهود بني قينقاع فنقضوا العهد بقتل الصحابي وهذا بسبب حسدهم للمسلمين لما انتصروا في معركة بدر فأخرجهم النبي من المدينة، ومثل يهود بني النضير تجرؤوا على المسلمين لما انهزموا من المشركين في غزوة أحد فحاولوا قتل النبي واغتياله فأمر بإخراجهم من المدينة، ومثلما حصل لليهود بنو قريظة عاونوا قريش في غزوة الخندق ضد المسلمين وحرصوهم على القتال في أصعب الظروف فأمر النبي أن تقتل مقاتلتهم وتُسبى ذريتهم، فكفار مكة ويهود بني قينقاع ويهود بني النضير ويهود بني قريظة هم الذين بدؤوا بنقض العهد وليس المسلمون.

4- مستأمن وهو الكافر المحارب الذي دخل بلادنا لأمر معين فنعطيه أمان، وهو مثل الطبيب والمهندس والتاجر والعامل ويُلحق بهم كل من دخل برضا ولي الأمر كمن حصل على «التأشيرة» مثلاً.

والذمي والمعاهد والمستأمن معصومون الدماء والأموال، وقتلهم فيه تشويه لصورة الإسلام، قال نبينا عليه السلام: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً) [البخاري]، وكذلك الذمي والمستأمن قاتلهم يشملهم هذا الوعيد، أما المحارب فقتله واجب.

مسألة العذر بالجهل :-

من المسائل المعروفة التي يشتها العلماء ولا ينكرونها، وهناك فئات معذورة أيضًا وليس الجاهل وحده وهم :-

- الناسي غير المتذكر (مثل من نسي أن يزيل النجاسة عن ثوبه وصلى به وتذكر بعد انتهائها).

- المُكره غير المختار (مثل الزوجة التي جامعها زوجها في نهار رمضان وهي صائمة بالقوة والإكراه) وهذه لا كفارة عليها، بل الكفارة تكون على زوجها.

- المخطئ غير المتعمد (كمن أراد أن يصيد الطيور وقتل إنسان) وهذا لا يأثم، لكن لا تسقط الدية والكفارة عنه.

- الجاهل غير العالم (من كان حديث عهد بالإسلام فهذا يحتاج وقت لكي يتعلم أمور دينه - من جهل بعض مفطرات الصوم وهذا ليس عليه إثم ولا قضاء ولا كفارة).

وإنما عُفِيَ عنهم لأن الإثم مُرتَّب على المقاصد والنيّات وكذلك الأجر.

❖ الأدلة على هذه القاعدة :-

- إن الأنبياء بُعثوا لإزالة العذر لقوله عليه السلام: (ما من أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب) [البخاري]، وقال تعالى: ﴿فَالْمُطْلَقَاتِ ذِكْرًا ۝ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ۝﴾ [المرسلات 5، 6]، أي إن الملائكة تلقي كتب الله إلى الأنبياء لإزالة أَعذار الناس، فلا يبقى لهم عذر يوم القيامة، والجهل والخطأ والنسيان والإكراه هذه أَعذار لم تُزال، ومعنى نذراً أي يندرون «يحذرون» الناس من عذاب الله

- الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم، فو الله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحدا من العالمين ففعلوا به ذلك، فقال الله له بعد موته: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له، فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكنه كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له الله بذلك.

- قال رسول الله ﷺ: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) [ابن ماجه والبيهقي].

- ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ البقرة [286].

- ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الأحزاب [5].

- اتفاق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان أو كان حديث العهد بالإسلام فأنكر شيئاً من الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يتعلم الدين.

- لأنه لا يوجد أحد يعلم كل شيء في الدين.

❖ ❖ إرشادات حول هذه المسألة: _

أولاً: هناك فرق بين الجهل بالحكم والجهل بالعقوبة، فالجهل بالعقوبة لا يعذر به الإنسان والجهل بالحكم يعذر به، فلو شرب الإنسان مسكراً يظن أنه لا يسكر أو يظن أن المسكر ليس بحرام فإنه ليس عليه عقوبة الجلد، ولا يأثم، ولو علم أنه مسكر وأن المسكر حرام ولكن لا يدري أنه يعاقب عليه فهذا لا تسقط عنه العقوبة والإثم.

ثانياً: من نشأ في أوساط المسلمين لا يُعذر بالجهل إذا جحد وجوب الصلاة أو الزكاة أو غيرها من شعائر الإسلام الظاهرة المنتشرة بين المسلمين وما هو معلوم من الدين بالضرورة.

ثالثاً: الجاهل لا يُعذر إذا كان منه تقصير وتفريط في تعلّم دينه، وإنما يعذر إذا لم يُقَصِّر ولم يجد أحداً يعلمه تعاليم الدين.

رابعاً: المأمورات لا تسقط بالجهل والخطأ والنسيان، وأما المنهيات وارتكاب المحظورات فتسقط بهما، وفي الحالتين لا إثم عليه، فالمأمورات مثل من صلى بغير وضوء ناسياً لزمه أن يتوضأ ويعيد صلاته، والمحظورات مثل من تكلم في الصلاة جاهلاً أو ناسياً فهذا لا يعيد صلاته.

خامساً: لا نكفر أحداً بعينه حتى تقوم عليه الحجة، ولكن نقول هذا القول أو هذا الفعل كفر، فمثلاً نقول: من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر، ومن جحد وجوب الصلاة أو الزكاة أو استحلّ الخمر أو استحلّ الزنى فقد كفر، ولكن لا نُكفّر الشخص بعينه حتى تقوم عليه الحُجّة وبعد البيان له واستتابته لأنه ممكن أن يكون عنده شبهة فنيبها له أو يكون قد تأوّل وأخطأ، فيصح القول على الإنسان أنه كافر أو فاسق أو عاصي بعد ثبوت الشروط {العلم والقصد والاختيار والتذكر والعقل والبلوغ وعدم التأويل وعدم التقليد}، ولا بد من انتفاء موانع التكفير عنه أيضاً وكل شرط عكسه مانع، فالموانع هي: {الجهل والخطأ والنسيان والإكراه والصغر والجنون والتأويل والتقليد} فمن كان عالماً بتحريم هذا الشيء غير جاهلاً به ومتعمداً ليس بمخطئ ولا ناسٍ وليس بمُكره من أحد كمثل الذي يتم إكراهه وإجباره على فعل محرم وإلا يتم تهديده بقتل أو جلد أو سجن وكان غير متأول لأن المتأول معذور إذا كان تأويله سائغاً في اللغة العربية وله وجه في العلم، وكان غير مقلد لعالم ثقه، وتقليد العامي للعالم جائز، لأنه

عاجز عن الاجتهاد، لكن لا يجوز تقليد عالم واحد دون غيره من العلماء واعتقاد أن الحق معه وحده أو أنه لا يخطئ، فالحاصل أنه من ثبتت فيه هذه الشروط وانتفت عنه هذه الموانع فنكفّره بعينه، فلا بد من دلالة الشرع على أن هذا القول أو أن هذا العمل معصية أو كفر وبعد ذلك ننظر هل ينطبق هذا الحكم على الشخص المعين أم لا؟ كما أن التكفير أمر خطير فهو من شأن من عنده علم بأمور الدين، وأيضاً لا نحكم على أحد أنه يخلد في النار إلا إذا تيقنّا أنه مات على الكفر لأنه قد يتوب قبل موته.

❖ ❖ هناك أناس لم تقم عليهم الحجة في الدنيا، ولا يمكن أن يعذب الله أحداً ظلماً تنزه عن ذلك، ولكنهم يمتحنون يوم القيامة كالاتحان في الدنيا فيه أمر من الله، بل هو أوضح من امتحان الدنيا لأنه من الله مباشرة بغير واسطة رسل وأنبياء، وذلك بأن يخرج الله لهم عُقُفاً من النار ويأمرهم بدخولها فمن دخلها وجدها باردة ومن عصى الله ولم يدخلها يسحب إلى جهنم وهم: - من لم تبلغه الدعوة مثل: -

1- أهل الفترة وهم الذين لم تبلغهم دعوة أي نبي ولم تتم دعوتهم من المسلمين، كما حصل لمن عاش قبل بعثة نبينا محمد عليه السلام، بسبب تحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل ووضع فيها نصوص شركية، ولكن لا يعذرون كلهم فبعضهم بلغته الدعوة من بقايا المسلمين الموحدين لله الذين كانوا على شريعة عيسى عليه السلام.

2- من يعيش في الغابات والأدغال أو الأماكن المنعزلة أو الأماكن التي لم يدخلها المسلمون ولم يتيسر لهم فيها تبليغ دين الله تعالى.

- من بلغته دعوة الإسلام ولم تقم عليه الحجة لأنه عاجز عن سماعها «الأصم» لكن لو وصلت له الدعوة عن طريق الكتابة أو الإشارة فقد أقيمت عليه الحجة لأنه فهم ما يقال له وتبين له طريق الهدى من طريق الضلالة ولا

يكون معذور حينها، ومثله من بلغته الدعوة وهو عاجز عن فهمها «المجنون والخرف والصغير الذي لم يبلغ الحلم» والأدلة على ذلك: -

1- قال عليه السلام: (أربعة «يحتجون» يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول فيأخذ موثيقهم ليطيعنّه فيرسل إليهم أن أدخلوا النار، قال: فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً) [أحمد].

2- قال عليه السلام: (يؤتى بالهالك في الفترة، والمعتوه، والمولود، فيقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه: أي رب، لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود: لم أدرك العمل، قال: فيرفع لهم نار، فيقال لهم: ردوها - أو قال: ادخلوها - فيدخلها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل، فيقول تبارك وتعالى: وإياي عصيتم، فكيف برسلي بالغيب) [البزار في مسنده]، وهذا من عدل الله، إذ لم يعذب أحداً إلا بعد أن يأمره ويتبين له الهدى من الضلال.

** في عصرنا هذا كثرت وسائل الإعلام كالتلفاز والحاسوب والهاتف النقال «الجوال» والإذاعة «الراديو» وتطورت طباعة الكتب، وهذا يدل على أن دعوة الكفار للإسلام وكذلك علم المسلمين بالأحكام الشرعية قد انتشر بشكل كبير جداً.

** أطفال المسلمين الذين ماتوا قبل بلوغ الحلم في الجنة بدون امتحان رحمةً من الله وكرامةً لأبائهم، وفي البرزخ يكونون في كفالة إبراهيم عليه السلام

وزوجته سارة حتى يردونهم إلى آبائهم يوم القيامة، ومجانين المسلمين في الجنة أيضًا بدون امتحان.

****** يتضح بعد هذا أنه من كان مسلم وكان معذورًا لأحد هذه الأسباب وهي الجهل والخطأ والنسيان والإكراه ولم يقصر في السؤال وتعلم الدين فهذا لا إثم عليه حتى لو كان خطأه في العقيدة، وأما من لم يدخل في الإسلام من الكفار لأن دعوة الإسلام لم تصله أو وصلته وكان أصم أو صبيًا أو مجنونًا أو شيخ هَرِمَ فهؤلاء يُمتحنون يوم القيامة.

اختلاف العلماء: _

اعلم أن الاختلاف يكون في بعض الفروع وليس في الأصول، فدين الله ثابت ومحفوظ، وكل من اجتهد من العلماء وقصد الحق فهو على خير أصاب أم أخطأ، ولكن يشترط للمفتي أن يكون متصفاً بالعلم والعدالة والورع والعفة والأمانة، وللخلاف أسباب وهي: _

1- اختلاف الفهم بين العلماء.

2- الاختلاف في صحة الحديث فبعضهم يصححه والآخر يضعفه أو بعضهم يقول إن الحديث منسوخ والآخر يقول إنه غير منسوخ، وبعضهم لم يسمع بالحديث ولم يمر عليه، لأنه لا يوجد عالم يعلم جميع الأحاديث، كما أنه لا يوجد حديث واحد صحيح تجهله كل الأمة

3- اعتقاد تعارض الأدلة، فإذا اعتقد ذلك رجح دليل وأهمل الآخر، ولا يوجد أدلة متعارضة في الشرع، بل كلها متوافقة ويمكن جمعها من العلماء الراسخين في العلم.

4- أن يكون هناك نص يحتمل أكثر من معنى.

5- المشترك اللفظي: مثل كلمة القروء في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة [228]، والقرء في اللغة مشترك بين الحيض والطمهر، ومثل كلمة الصعيد في هذه الآية: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ النساء [43]، الصعيد في اللغة مشترك بين التراب الخالص وبين جميع أجزاء الأرض الظاهرة، فممكّن أن يكون حجرًا أو حشائش أو أي شيء آخر.

❖ ❖ أنواع الخلاف: _

1- الخلاف السَّائِغ: _

وهو كل خلاف لا يعارض صريح القرآن أو السُّنَّة الصَّحيحة أو الإجماع أو القياس الجلي، وهذا النوع من الخلاف لا ينبغي أن يكون سبباً للتخاصم والتحزب، ولا إنكار في مسأله على المجتهد ولا نجعله ضالاً، فهو خلاف مقبول ومعتبر، ولكن لا يعني أن كل الأقوال صحيحة، ومن أمثلته: _

حكم المضمضة والاستنشاق في الوضوء هل هما واجبان أو مستحبان؟
ومثل بول وروث ما يؤكل لحمه كالإبل والبقرة والغنم والصيد هل هو طاهر أم نجس؟

ومن أنواع الخلاف السائغ خلاف التنوع: وهو الذي لا تتعارض ولا تتضاد فيه الأقوال بمعنى أنه كله صحيح، مثل وجوه قراءات القرآن ومثل ورود عدة ألفاظ في دعاء الاستفتاح والتحيات والصلاة الإبراهيمية.

2- الخلاف غير السَّائِغ: _

هو الذي يتم فيه مخالفة نصاً صريحاً من القرآن أو السُّنَّة الصَّحيحة أو الإجماع أو القياس الجلي، فهو غير معتبر وغير مقبول وهو نوعان: _

- ضعيف: مثل القول بأن الداخل إلى المسجد يوم الجمعة والإمام يخطب يجلس ولا يصلي تحية المسجد ومثل القول بأن صيام ستة أيام من شوال غير مستحب.

- شاذ: وهو الذي يكون ضعيفاً جداً وقائلوه منفردون به عن العلماء، مثل إباحة المعازف ومثل تحريم تعدد الزوجات إلا في حالات الضرورة القصوى والتَّضحية بالدجاج بدلاً من الخرفان إذا ارتفعت أسعار الغنم، وتزويج المرأة نفسها بدون ولي، وهذا النوع لا يلتفت إليه، فإذا صدر من عالم فيعتبر زلة وهو معذور لقول النبي: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم

فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) [متفق على صحته]، فإذا أخطأ العالم الثقة في فتواه فلا نوافقه عليها ولا ننتقص من قدره بل نحفظ له قدره ومكانته، ولا يجوز تتبع زلات العلماء وأخطائهم لأن ذلك يؤدي إلى تنفير الناس منهم وعدم الثقة بهم، ولا يوجد عالم إلا وله أخطاء، وأما إذا صدر الخلاف الشاذ من صاحب هوى وبدعة فهو آثم ونحذر الناس منه.

س / ما الواجب على المسلم فعله عند اختلاف العلماء؟

ج / الناس متفاوتون في ذلك وليسوا على درجة واحدة: -

1- من كان عالمًا مجتهدًا حافظًا للكتاب والسنة ويقدر على استنباط الأحكام من الأدلة فهذا يتبع الدليل ولا يجوز له تقليد أحدًا.

2- من كان يقدر أن يميز بين أقوال العلماء فهذا يأخذ القول الذي يراه صحيحًا وصاحبه مقيم للدليل، ولا يجوز أن يأخذ من أقوال العلماء ما وافق هواه وكان مخالفًا للدليل أو أن يستفتي من يتساهل في الفتوى ويتبع الرخص، بل يجب عليه أن يحتاط لدينه.

3- من كان عاميًا جاهلًا لا يقدر على تمييز أقوال العلماء وتختلط عليه الأمور فهذا يسأل العلماء وإذا اختلفت أقوالهم يتبع الأوثق والأعلم منهم. وخلاصة القول إن الأول يستنبط والثاني يميز والثالث يتبع العلماء الجهابذة الثقات.

** عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس) [رواه مسلم]، وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: (جئت تسأل عن البر؟) قلت: نعم، فقال: (استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك) [رواه أحمد والدارمي].

البر: العمل الصالح.

الإثم: الذنب.

اطمأنت إليه النفس: انشرح له صدرك.

حاك في النفس: لم ينشرح له صدرك وأصابك شك وقلق.

وهذان الحديثان من جوامع كلمه عليه السلام ولكن ربما يفهمها البعض فهمًا خاطئًا، ويظن أنه يتبع هواه في اختيار الأحكام الشرعية وهو ليس كذلك، بل المعنى الصائب للحديث أن استفتاء القلب يكون بعد النظر إلى أدلة القرآن والسنة وشرح العلماء لها، وهو أيضًا مقيد بالمسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الخلاف، وأما ما جاء فيه النص الصريح من الكتاب أو السنة أو الإجماع فلا محل لاستفتاء القلب فيه.

****** من لم يتبين له الحكم الشرعي في المسائل الخلافية فيستحب له الخروج من خلاف العلماء إذا كان الخلاف قويًا، وعليه أن يأخذ بالاحتياط إبراءً لذمته وأن يكون حازمًا وهذا يعتبر ورعًا وليس تشددًا، فيفعل ما اختلف في وجوبه أو اختلف في استحبابه ويجتنب ما اختلف في تحريمه أو اختلف في كراهيته، لكيلا يتورط في ترك مأمور أو فعل محظور، ولأن هذا يمنع تعصب المذاهب ويزرع المودة بين المسلمين، إلا إذا اتضحت المسألة له وأصبحت ظاهرة فعندها لا يخرج من الخلاف ولو كان قويًا، أما إذا كان قول المخالف ضعيفًا وبعيدًا عن الصواب فعندها لا نلتفت ولا ننظر إليه لأن العمل بالأقوال الضعيفة لا يجوز، ومن الأمثلة على ذلك: جعل المضمضة والاستنشاق في الوضوء والاعتسال واجبة خروجًا للخلاف لأن بعض العلماء يجعلها من السنن وبعضهم يجعلها واجبة، وهو خلاف قوي، ومثل البخور هل يفطر الصائم أم لا؟ اجتنابه أفضل وأحوط خاصة أن البخور ليس بالأمر الضروري فبالإمكان التبخر في الليل، وقد يُترك ويُستغنى عنه أيام وأسابيع عديدة، أما

الخلاف الضعيف فهو مثل تغطية وجه المرأة، وهذا لا حجة له، فالمرأة كلها عورة أمام الرجال الأجانب وجهها وجميع بدنها بدلالة الكتاب والسنة وعمل الصحابيات، وهذه القاعدة مهمة وقد ذكرها الكثير من الفقهاء وعملوا بها.

**** على طالب العلم أن يرجح القول الذي يعتقده صائبًا مع العمل بقاعدة «لا يُصار إلى الترجيح إلا عند تعذر الجمع» لأن الجمع مُقدّم على الترجيح، من أجل أن نعمل بجميع الأدلة ونعمل أيضًا بجميع أقوال العلماء المعتبرة فيها ولا نسقط شيئًا منها.**

**** كثير من المسائل قد مضت وبينها المتقدمين، وبقي للعلماء المتأخرين الترجيح بين مسائل المتقدمين، والنوازل «هي المسائل الجديدة التي تتطلب اجتهادًا ورَدًّا إلى أصول الشرع».**

❖ ❖ لا يقبل الخلاف إذا كان: _

1- من غير أهل العلم، فالاجتهاد بدون أهلية ممنوع لقول الرسول ﷺ: (القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاضي في الجنة، فأما الذي في الجنة فرجل علم الحق فقضى به، وأما اللذان في النار فرجل قضى للناس على جهل، ورجل علم الحق وقضى بخلافه) [أبو داود وابن ماجه والترمذي]، فلا بد من العلم أولاً ثم قصد الحق، وقد روى أبو داود قصة الرجل الذي أصابته جنابة في سفر وقد شج رأسه فأمره بعضهم بالاغتسال فمات فقال ﷺ: (قتلوه قتلهم الله، هَلَّا سألوا إذا لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال)، العي هو الجهل، قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله عنهم: (أخطؤوا بغير اجتهاد، إذ لم يكونوا من أهل العلم) [رفع الملام ص 48].

2- في قطعيات الدين «المُحكّمات»: وهي التي تدل على معنى واحد فقط، ولا تقبل اجتهاد ولا تأويل لأنها قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، مثل فرضية الصلوات الخمس في اليوم واليلة ومثل وجوب صوم شهر رمضان وتحريم

القتل والخمر، وأما الظنيات «المتشابهات» فنقبل الخلاف فيها ونردها إلى
المُحكّمات، وهي ما دل على عدة معاني، كقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾
المائدة [6] حرف الباء هنا يحتمل أن يكون للتبعيض أي ببعض رؤوسكم،
ويحتمل أن يكون للإصاق أي بجميع رؤوسكم، والمراد به مسحه في
الوضوء.

طاعة ولي أمر المسلمين :-

لقد أمرنا الله بطاعة أولي الأمر وقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَزُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ النساء [59]، وولاية الأمر في الآية هم أهل الحل والعقد «العلماء والأمراء»، فالعلماء مبينون وموضحون للشرع والأمراء منفذون له، فيجب على المؤمن السمع والطاعة للحاكم في المعروف، والمعروف هو ما وافق الشريعة ولم يخالفها وكان وفق المصلحة العامة، وأن يكون مع الجماعة ويحذر الفرقة والاختلاف لأن ذلك يسبب الشر واختلال الأمن، فقد حث النبي على مبايعة الحاكم المسلم في قوله: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) [رواه مسلم]، يعني قد فعل كما فعل أهل الجاهلية وذلك أنهم لم يكن لهم إمامٌ يجمعهم على دين الإسلام وعلى كلمة واحدة بل كانوا على أديان عديدة وكانوا متقاتلين ومتناحرين، وقال أيضًا (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) [البخاري]، وقوله: (من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية) [البخاري]، وقوله: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني) [متفق عليه]، وحتى لو كان الأمير عاصي لله فطاعته واجبة ما دام أنه مسلم ولا نقول له أننا لا نطيعك حتى تطيع ربك، فهذا حرام، بل يجب أن نطيعه حتى لو كان مفرط في بعض أمور الدين، فنطيعه إذا أمر بطاعة الله أما إذا أمر بمعصية الله فلا يطاع لقوله عليه السلام: (لا طاعة لمخلوق في معصية الله) [الحاكم].

وهكذا تواترت النصوص القطعية من القرآن والسنة تنطق بوضوح على تأكيد وضرورة طاعة ولاية الأمور، وقد فهم علماء السنة من هذه الأدلة عظم هذا الأمر، فأجمعوا على وجوب ذلك ودونوه في كتبهم وحرّموا الخروج على الحاكم المسلم ولو كان فاسقاً وظالمًا ولو أخذ المال العام، فيجب الصبر عليه إذا ظلم مراعاةً للمصلحة العامة، قال الرسول ﷺ لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع) [مسلم]، قال النووي رحمه الله: (وإن ضرب ظهرك ظلمًا، وأخذ مالك بغير حق، فاسمع وأطع له في غير معصية) انتهى من كلامه، لأن لزوم جماعة المسلمين وعدم مفارقتهم والصبر على جور الحكام وظلمهم فيه مصالح عظيمة كحقن دماء المسلمين وحماية أموالهم وأعراضهم وأمنهم واستقرارهم وهي مصالح تفوق بكثير ما يلحق من الضرر في الصبر على جورهم، وهذا من ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما وهي قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، قال سفيان الثوري رحمه الله: (سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار)، وجاء في سنن الدارمي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة) وروى عن الفضيل بن عياض: (لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان) قيل له: فسر لنا هذا قال: (إذا جعلتها في نفسي لم تعديني، وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد)، ولكن هذا لا يعني فتح الباب للحكام لظلم الناس وإهمال حقوقهم واستباحة أموالهم، وليعلموا أنهم محاسبون ومجزيون من الله سبحانه في الآخرة على العدل أو الظلم، والثمرة من طاعة الإمام المسلم هي اجتماع الكلمة ولم الشمل وإقامة الدين وتنفيذ أحكام الله من حدود وتعزيرات، ورفع الظلم ونشر العدل وصيانة الأعراض واستتباب

الأمن وفض المنازعات وجهاد أعداء الإسلام، فلا يمكن إقامة الدين وتنظيم مصالح الأمة إلا بوجود سلطان مطاع.

❖ ❖ مما يساعد على احترام وتوقير السلطان: _

أن تكون نصيحته في السر وليست في العلن، لأجل حفظ هيئته وعدم فتح الباب لسفهاء الناس، وأما من يردد الأقوال الباطلة في أن الصحابة كان إنكارهم علي فهو غير مطلع على سيرتهم، وهم رضوان الله عليهم لم يكونوا ينكرون علانية وإنما كانوا يتشاورون في الأحكام الشرعية فلنسميها إذا «فتوى» وليست معارضة أو إنكار كما يتوهم البعض، وهذا مثلما حدث بين معاوية بن أبي سفيان وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما، فقد كان معاوية يرى أن نصف الصاع من الحنطة الشامية يعادل صاعاً من التمر أو الشعير فقال له أبو سعيد: (أما أنا سوف أخرجه كما كنت أخرجه)، فقول معاوية هذا اجتهد منه ولكن ما دام أنه قد ثبت عن النبي خلافه فسنة النبي أولى من غيره يقيناً، ومثال آخر يستدلون به وهو قولهم أن ابن مسعود أنكر على عثمان لما صلى أربع ركعات بمنى ولم يقصرها ركعتين، فهذا ليس إنكاراً ولكن ابن مسعود كان يقول أن القصر أفضل لعمل النبي وأما عثمان فترك الرخصة ولم يفعل منكراً ولا محرماً وإنما حمّله على ذلك أنه في ذلك العام كان عدد كثير من الحجاج ممن أسلم للتوّ فأراد أن يوضح لهم أن الصلاة رباعية في الأصل وهذا ليس فيه إنكار من ابن مسعود وليس فيه إثم على عثمان رضي الله عنهما.

2- عدم غيبته وانتقاده في المجالس والطعن فيه، قال الشيخ زيد بن محمد المدخلي في شرح الأصول الستة (الخروج بالكلمة وسيلة للخروج بالسلاح). فإذا: طاعة الحاكم المسلم أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة ومنهجاً سار عليه السلف الصالح، والعمل به يُعد أساساً عظيماً لتحقيق المصالح، خلافاً لعمل الخوارج والبغاة الذين يخرجون على الحاكم المسلم ويمتنعون

عن طاعته، نبراً إلى الله من معتقدهم الفاسد، وقد قال الرسول عليه السلام (الخوارج كلاب النار) [بن ماجه واحمد] ومن اخطر الخوارج الذين ابتلينا بهم في زمننا هذا جماعة الإخوان وما تفرع منها كالسرورية والقطبية والبنائية وجماعة التبليغ، الذين يحثون على الفتنة والثورات والمظاهرات والتفجيرات وقتل المسلمين ويسعون لدمار الأوطان، وهذه المظاهرات والمسيرات والاعتصامات شر وتسبب الفوضى حتى لو سميت سلمية وحتى لو سمح بها الحاكم نفسه، ويحق لرجال الأمن منعها بالقوة، وهي مأخوذة ومستوردة من الدول الغربية ولم تكن في بلاد المسلمين، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج: (يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية) [البخاري ومسلم]، وهذا مما أخبر به النبي من المغيبيات فوقع كما قال بعد وفاته فكان علماً من أعلام النبوة، فهم الآن يستخدمون قوتهم ضد المسلمون ولم نراهم يقاتلون الكفار المحاربين، وقول النبي: (يمرقون من الإسلام) يقصد الخوارج الذين فعلوا المكفرات، أما الخروج على الحاكم فلا يجعل المرء كافراً ولا يحبط عمله، وإن كان من كبائر الذنوب.

❖ هناك عدة فروق بين البغاة والخوارج: ــ

1 - أهل البغي معصيتهم هي عدم طاعة الحاكم المسلم فقط، أما الخوارج فعندهم اعتقادات أخرى باطلة مثل: (يكفرون المسلم فاعل الكبيرة - يستبيحون دماء المسلمين).

2 - الخوارج يبدأ الحاكم بقتالهم حتى لو لم يبدؤوا بالقتال، وقتالهم امتثال لأمر النبي، وأما البغاة فلا يُقاتلون ابتداءً وإنما يقاتلون إذا بدؤوا بالقتال، وقتالهم راجع إلى اجتهاد الحاكم، فإذا ادَّعوا مظلمة أُزيلت عنهم وإذا أوردوا شبهة تسببت بخروجهم عليه وُضِّحت لهم، وإذا لم يرجعوا عن بغيتهم يقاتلهم الحاكم، والصلح معهم أفضل من القتال، لأن تأويلهم سائغ، بخلاف الخوارج

فإنهم يخرجون بتأويل غير سائغ أو بدون تأويل حتى، والخوارج فُسَّاق وليسوا كفار.

فإذاً: يجب مبايعة الحاكم ما دام إنه مسلماً، أما لو كان كافراً فلا بيعه له ولا يُطاع ويجوز الخروج عليه وإزالته عن ملكه، لأن الكافر ليس له أي ولاية على المسلم لا عامة ولا خاصة، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (دعانا النبي فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان) [البخاري].

بايعنا: عاهدنا.

منشطنا ومكرهنا: عند أمرنا بأمر ننشط له لأننا نجبه أو أمرنا بأمر نكرهه ونستثقله.

عسرنا ويسرنا: يعني سواءً كانت الرعية معسرة في المال أو كانت موسرة.

أثرة علينا: أن يأخذ الأمير المال لنفسه دون الرعية.

ننازع الأمر أهله: ألا نأخذ الإمارة منهم لأن ذلك يؤدي للشر العظيم.

الكفر البواح: الواضح.

برهان: دليل قاطع الثبوت والدلالة من الكتاب أو السنة أنه قد كفر، يعني أطيعوا الأمير في جميع الأحوال إلا إذا كفر، والنبي يقصد الكفر الأكبر وليس الكفر الأصغر، والكفر الأصغر هو الذنوب التي سماها الشرع كفراً ولم يحكم على أصحابها بالخروج من الإسلام كقتال المسلم لأخيه المسلم دون حق، قال عليه الصلاة والسلام: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر) [متفق عليه]. وكالطعن في أنساب الناس وقبائلهم، والنياحة على الميت بلطم الخدود وشق الجيوب، قال عليه الصلاة والسلام: (اثنان في الناس هما بهم كفر، الطعن في

النسب، والنياحة على الميت) [مسلم]، أما الكفر الأكبر فهو الذي يخرج فاعله من الإسلام ويحبط عمله ويخلّده في النار مثل: (عدم الإيمان بالله ورسله أو التكذيب باليوم الآخر أو عبادة غير الله أو الطعن في دين الإسلام أو جحد وجوب الصلاة أو الزكاة أو دعاء الأموات) وحتى لو كان الحاكم كافرًا كافرًا أكبر وقد خرج من الملة فلا يُخرج عليه إلا مع القدرة، لأنه لو خرج المسلمون عليه ولا قدرة لديهم فهذا يتسبب في إهلاكهم وهو مستمر في ملكه فحصل مفسد كثيرة بدون تحقيق أي مصلحة.

❖ طرق تنصيب الإمامة الكبرى تكون بأحد الأمور التالية: _

الطريقة الأولى: الاختيار والبيعة من أهل الحل والعقد، وهم العلماء وأمراء القبائل الذين يتصفون بالعلم والرأي والمشورة، وبيعتهم نيابة عن الأمة، فإذا بايعه هؤلاء وجب على كل مسلم مبايعته، وليس من شرط ثبوت الإمامة أن يبايعه كل من يصلح للمبايعة، ولا من شرط الطاعة على الرجل أن يكون من جملة المبايعين، فإن هذا الاشتراط في الأمرين مردود بإجماع المسلمين، وهذه الطريقة تمّت مبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فثبتت خلافته بالبيعة والاختيار في سقيفة بني ساعدة.

الطريقة الثانية: الاستخلاف والوصية، وهي أن يعهد الإمام إلى من بعده بالإمامة ويستخلفه، فيقول: إذا أنا مت فأميركم هو فلان، فأبو بكر رضي الله عنه أوصى من بعده لعمر بن الخطاب، وهذه الطريقة لها صورة أخرى بأن يجعل الحاكم له نائبًا «ولي العهد» أثناء حياته، فإذا مات فنائبه يخلفه في السلطة مباشرة.

الطريقة الثالثة: أن يعهد الإمام إلى جماعة يختارون من بينهم إمامًا للمسلمين، مثلما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث عهد إلى ستة نفر

من أهل الشورى لاختيار واحدٍ منهم وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف.

الطريقة الرابعة: القوة والغلبة والقهر، وبهذه الطريقة ثبتت ولاية عبد الملك بن مروان وولاية بني أُمَيَّة في الأندلس، فمتى ما تغلب مسلمٌ بسيفه حتى خضع له الناس وانقادوا له فتلزمهم إمامته جمعاً للكلمة وخروجاً من الخلاف، وفي هذه الحالة تجب مبايعته وطاعته بالمعروف ومعاونته على من يعاديه إذا استتب واستقر له الأمر، فتنعقد له الإمامة وإن كان فاجراً ظالماً ولم يحقق شروطها، وتحرم منازعته لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ولما في الخروج عليه من شقِّ عصا المسلمين وذهاب أموالهم وتسلب أعداء الإسلام عليهم.

جواز كتمان العلم للمصلحة الدينية: -

لا بد من معرفة أن تعليم الناس العلم الشرعي من أفضل الطاعات التي يتقرب المسلم بها إلى الله لما في ذلك من الخير والتفقه في الدين ولما فيه من أجر عظيم للمؤمن حتى بعد وفاته، قال عليه السلام: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) [مسلم]، يعني العلم الشرعي وليست العلوم الأخرى، وقال النبي للصحابه: (الدين النصيحة) قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: (لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم) [مسلم].

والنصيحة لله تكون بتوحيده وصرف العبادة له وحده، والنصيحة لكتابه بقراءته وتدبره ومعرفة أحكامه والعمل به، وتكون للنبي بطاعة أوامره واجتناب نواهيه والإيمان بأنه رسول الله حقاً وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وبالدفاع عن سنته، وتكون النصيحة لأئمة المسلمين بالدعاء لهم والسمع والطاعة لهم في المعروف، وعدم الخروج عليهم، وعدم منازعتهم الحكم إلا أن يوجد منهم كفر صريح، وأما النصيحة لعامة المسلمين فإنها تكون بتعليمهم الدين، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإقامة الحدود عليهم والتعزيرات الشرعية.

كما أنه لا يجوز كتم العلم لقوله عليه الصلاة والسلام: (من سُئِلَ عن علم وكتمه، ألجمه الله بِلجام من نار يوم القيامة) [أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي]، هذا هو الأصل والغالب ولكن هناك حالات مستثناة ذكرها العلماء وقالوا إنه يجب أن يكتُم المسلم العلم فيها مثل: -

1- أن يخاف فتنة تقع على المسلمين في دينهم، مثل ذكر أدلة الرجاء للمرجئة وذكر أدلة الوعيد للوعيدية، وهذا خطأ والذي ينبغي هو العكس،

ومثل من أسلم حديثاً فهذا لا نستعجل ونأمره بالخِتان بل نتركه مدة ليستقر الإيمان في قلبه ويقوى، لأنه ربما يرتد عن الإسلام، وكذلك المرأة التي أسلمت للتو فلا نخبرها بتعدد الزوجات في ديننا وأنه مستحب لأن هذا الأمر ممكن أن يتسبب في تركها للإسلام بسبب غيرة المرأة من الضرة وكراهتها لها وهذا موجود في نفوس جميع النساء.

2- إذا كان السائل عنده قصور وخلل في فهمه وخشي عليه المسؤول أن يضل مثل: (قصة موسى عندما فقأ عين ملك الموت، أو فرار الحجر بثوبه وهو يغتسل، ومثل أن الأرض تكون يوم القيامة خبزة نُزلاً لأهل الجنة، وسلام الحجر على نبينا محمد، وتكليمه لجبل أحد، وشكوى الجمل للنبي من صاحبه الذي يُجيّعه) فإن هذه المعلومات وأمثالها نكتمها عن الأحق وعن صغير السن لأنهم سيكذبون ذلك ولن يصدقوه، فإذا كانت مصلحة كتم العلم أكبر من مصلحة إظهاره فعندها نكتمه أفضل، لأن كتماننا في بعض الأحوال أو عن بعض الأشخاص تقتضيه المصلحة، فيُلقي على الناس ما يفهمونه ويستفيدون منه، أما خواص المسائل فهي لخواص الناس، وقد دلت الأدلة الشرعية على ذلك ومنها: -

- قال الرسول ﷺ: (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟) قال قلت: الله ورسوله أعلم قال: (فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً) قال قلت: يا رسول الله أفلا أبشّر الناس؟ قال (لا تبشرهم فيتكلموا) [مسلم]، خاف الرسول أن يتكل الناس على التوحيد فقط ويتركوا عمل الطاعات ويعملوا المعاصي، وأخبر به معاذ لما عنده من العلم والتقى، ولأن ذلك يزيده عباده ولا ينقصه، فدلّ هذا على جواز كتم العلم للمصلحة الدينية، وكان قصد النبي كتمه فترة من الزمن وبعد أن يتعلم الناس الدين ويعملوا به يخبرهم معاذ به.

- قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة) [مسلم].

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟) [رواه البخاري معلقًا].

- إن الحسن أنكر تحديث أنس للحجاج الثقفي بقصة العرنين «وهم الذين قتلوا راعي النبي بعدما قطعوا يديه ورجليه وفتقوا عينيه فأمر النبي بأن يُفعل بهم كما فعلوا» لأن الحجاج اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمد منه من المبالغة في سفك الدماء.

- قال أبو هريرة رضي الله عنه: (حفظت من رسول الله وعاءين، فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر فلو بثته قُطع هذا البلعوم) [البخاري]، وعدم بثه له لا يَأْثُم عليه لأنه خاف أن يُؤذَى من أحد وربما يُقتل أيضًا، وهناك تنبيهات حول هذا الحديث: -

أولًا: ما كتبه أبو هريرة لا يخص العقائد والأحكام الشرعية، وإنما هي الأحاديث التي فيها ذكر بعض أشراط الساعة مثل هدم الكعبة آخر الزمان لكيلا يستبعدون هدمها تعظيمًا لها ويكذبون شيئًا من الدين، ومثل كتم الأحاديث التي ذكرت الفتن بين المسلمين كمعركة صفين والجمل وتبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم وذكر أسماء المنافقين، فكتمها في زمن الفتن فقط لكيلا يتفرق المسلمون، وقد كان أبو هريرة يُلَمَّح عن بعض الأمراء ولا يُصَرَّح.

ثانيًا: لم يخص النبي أبا هريرة وحده بشيء عن غيره، بل كان عليه السلام يُعَلِّم جميع الصحابة.

ثالثًا: أبو هريرة ومعاذ أخبروا بما كتموا قبل موتهم لثلا يَأْثُمون بكتم الأحاديث، ومثلهم أيضًا حذيفة بن اليمان الذي كان يعرف أسماء المنافقين،

فإذا: كتمهم لهذه الأحاديث حصل في زمن معين ولم يستمر.

**** لا يجوز للمفتي أن يكتم العلم الواجب تعلمه وجوباً عينياً كأن يسأله أحد عن أحكام الطهارة والصلاة والصوم والحج والحلال والحرام.**

**** العمل أيضاً أحياناً قد يكون هناك مصلحة لتركه وليس العلم فقط، كما قال الرسول لعائشة: (لولا حادثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة، ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت، ولجعلت لها خلفاً) [مسلم].**

أخبر الرسول أن هدم الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم فيه مصلحة، ولكن منعه من ذلك أن هناك مفسدة أعظم منه تعارضه، وهي مخافة أن يفتتن بعض من أسلم قريباً، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل وعظمة الكعبة، ويرون أن هدمها وتغيير قواعدها أمراً عظيماً، فلو فعل النبي هذا لأنكروا عليه وربما نفروا من دين الإسلام، كما أن بقاءها هكذا لا يترتب عليه الإخلال بأي عبادة، فتركها النبي مع أن ردها على مكان قواعد إبراهيم فيه مصلحة.

حكم تعليق التمائم: -

إن كانت التمائم شركية فتعليقها حرام بلا شك لقوله عليه الصلاة والسلام: (من علّق تميمة فقد أشرك) [أحمد]، وقوله: (إن الرُقَى والتمائم والتّولة شرك) [أبو داود وابن ماجه وأحمد].

الرقى: الكلام الذي يُقرأ على المريض، والمنهي عنه هو الذي يحتوي على الشرك كما كان يفعل أهل الجاهلية قبل بعثة النبي، أما الرقية من القرآن والسنة فهي جائزة بل مستحبة، وقد سمعنا قول أحد الجهال: أن الرقية الشرعية خاصة بعلاج العين والسحر والمس وليس لها نفع أو تأثير في الشفاء من الأمراض العضوية والنفسية والقلبية، وهذا القول مخالف للشرع والواقع.

التمائم: كل شيء يُعلّق على الناس أو البهائم من أية مادة تكون، كقطعة خشب أو خرزة أو خرقة أو غيرها مما يعتقد الجَهلة منفعته.

التّولة: نوع من السحر يسمونه الصرف والعطف، وهو شيء يعلقونه على الزوج من خيط ونحوه يزعمون أنه يحبب الزوجة إلى زوجها.

وأما إن كانت التمائم آيات أو أحاديث نبوية فلا يجوز تعليقها أيضًا لما في ذلك من سدّ لذريعة الشرك، فإن تعليق التميمة من القرآن وسيلة إلى تعليق التمائم الأخرى، وهكذا الناس لا يقفون عند حد في الغالب، يعلقون آيات قرآنية ثم يعلقون القصائد والشعر ثم يعلقون تمائم الشرك والكفر، ولما يحصل لها من امتهان فقد يدخل بها الإنسان الخلاء والأماكن القدرة، ومن الناس من يُعلّق رقعته أو لوحة خشبيه فيها أسماء الله الحسنى في المجالس أو يكتبها على بعض الجدران وهذا ممنوع أيضًا لأنها قد تتعرض للوسخ والقذارة، وإن كان الذي علقه من غير القرآن والسنة كالخرز والقلائد فهي من

الشرك الأصغر إذا كان قصد من علقها أنها سبب لجلب الخير أو دفع الشر، أما إذا قصد أنها تنفع بنفسها وأنها تصرف السوء بذاتها فهذا شرك أكبر، واعلم أن القلب إذا تعلق بغير الله فسد، وأما تعليقها للزينة بدون أي اعتقاد فهذا لا حرج فيه

**** تعليق التمام لدفع العين والشر هذا جهل في العقيدة وفي توحيد الله**
لأنه عز وجل هو الذي يملك وحده الخير والشر والنفع والضرر، وهذا موجود عند بعض الناس، تجده يعلق على مرآة السيارة «سبحة» أو يلبس سواره في يده وهذا أمر خطير إذا كان ينوي ويعتقد أنها تنفعه لأنه شرك، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن الرسول ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْر، فقال (ما هذا؟) قال: من الواهنة، فقال الرسول: (انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مُتَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً) [أحمد وابن ماجه].

حلقة من صفر: مصنوعة من النحاس الأصفر.

الواهنة: مرض يصيب اليد.

انزعها: النزع هو الجذب بقوة.

وهناً: ضعفاً.

**** كل من اتخذ سبباً لم يجعله الله سبباً شرعياً ولا قدرياً فقد أشرك**
شركاً أصغر لأنه تدخل في شيء من خصائص الله وهو خلق الأسباب والربط بينها وبين آثارها، وأما إن اعتقد أنه هو الفاعل بذاته ونفسه فقد أشرك شركاً أكبر، فلا بد من دليل شرعي أو قدري لإثبات الأسباب، والسبب الشرعي مثل علمنا أن قراءة سورة الفاتحة أو الدعاء سبب للشفاء وأن العسل والحبة السوداء فيها علاج بمشيئة الله، وأن صلة الرحم سبب للرزق لأنها ثبتت في الشرع، والسبب القدري نعرفه بالتجارب مثل علمنا أن من أسباب علاج الصداع «حبوب البندول» وأن النعناع واليانسون سبب لدواء البطن وأن النار

سبب للحريق والماء سبب للغرق وهكذا، لكن لم يثبت شرعاً ولا قدرًا أن رفة العين أو حكة اليد سبب للخير أو الشر وأن لبس الحلقة أو الخيط أو تعليق قرن خروف على باب البيت يدفع العين، أو أن الأنواء سبب للمطر، والمطر ينزله الله وحده، ونسبة المطر إلى النوء «النجم» له ثلاثة أقسام [نسبة إيجاد وهذا شرك أكبر - نسبة سبب وهذا شرك أصغر - نسبة وقت وهذا جائز، أي ان الله قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات] وسبب المطر الحقيقي هو السحاب وليس النجم، كما انه لا يجوز إنكار تأثير الأسباب، كما يزعم الجبرية والأشاعرة الذين يقولون: (إن السبب غير مؤثر في المُسَبَّب لا قبل الفعل ولا بعده، ولكن يؤثر عند الالتقاء فقط) فالنار عندهم لا تحرق بطبعها ولا هي علة الإحراق، وإنما يخلق الله تعالى فيها الإحراق عند التقائها بشيء قابل للاحتراق كالخشب، فالذي يحرق هو الله، والنار ليس لها أي تأثير، ومن قال لهم إن النار تحرق بطبعها كفروه، ويقولون إن السكين لا تقطع بطبعها ولا هي علة القطع، إنما يخلق الله تعالى فيها القطع عند مرورها على الشيء القابل للقطع، فالذي يقطع هو الله، والسكين ليست مؤثرة، وأن الإنسان لا يشبع بالأكل بل عند الأكل! ولا يروى بالشرب بل عند الشرب! وقد جعلوا ذلك من التوحيد، وحكموا على من يخالفهم بالبدعة والضلالة والكفر، فهم ينفون الأسباب وينفون أن تكون أفعال الله مُعَلَّلَةً أو لحكمه، ويقولون إن الله يفعل الشيء بدون حكمة، ولا يمكن أن تحرك الحكمة الله لأي فعل، فلا يبعثه باعث على الفعل بل يفعل ما يشاء، وبعضهم يقول إن الحكمة من أفعال الله ليست مقصودة قبل الخلق ولكن يحصل لها حكمة بعد خلقها، حتى إنهم لم يثبتوا صفة الحكمة لله، فعندهم إن أفعال الله يفعلها للمشئنة المحضه، والرد عليهم إن الله علل تحريم الزنى في القرآن بأنه فاحشة أي قبيح وعلل خلق الثقلين أنه لعبادته فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾

الذاريات [56]، ولكن الأشاعرة ينكرون ذلك ويقولون إن الله ليس بحاجة لعبادة الناس ولا أحد ينفعه أو يضره، ولو كان خلقهم من أجل عبادته ما استطاع أحد أن يكفر به، ونقول للأشاعرة إن الله غني عن عبادة الناس له والحكمة من خلقهم هي المصلحة التي تنفع الناس وتعود إليهم، وأما من كفر منهم فهو لم يخرج عن حكم الله وقدره السابق فقد خلق الجنة والنار ولكل واحدة ملؤها، ونحن أهل السنة والجماعة نؤمن أن الله هو خالق الأسباب «الوسائل» والمُسَبِّبات «التائج» وبأن الربط والعلاقة بينها من سنن الله، وكل شيء يحدث بسبب، وأن السبب يؤثر في المُسَبَّب لأن الله قَدَّر وجعل فيه من قوة التأثير، فالنار هي سبب الإحراق، وهي التي تنتج ذلك الإحراق في الجسم المحترق، والثلج هو سبب التبريد والماء سبب الإغراق والطعام سبب الإشباع، فالعلاقة بين السبب والمسبب هي علاقة تأثير منتج للأثر، وليست مجرد اقتران كاقتران الأصدقاء أو مجرد عادة كما يقول الأشاعرة، فهي مؤثرة بما خلق الله جل جلاله فيها من قوة التأثير، وإذا شاء الله تعالى سلبها هذه القوة على خلاف الأصل الذي جرت عليه لحكمة له سبحانه كما يخرق أمثال هذه العادات لأنبيائه وأوليائه الصالحين لحاجتهم لها أو إقامة لحُجَّتِهِمْ على المعاندين والمكذابين، فيلقى إبراهيم عليه السلام في النار ولا يحترق، ويقطع موسى عليه السلام بجنده البحر ولا يغرق، ولكننا لا نجعل الأسباب إلا ما جعله الله سبباً شرعياً أو كونياً، فالأسباب مؤثرة لا بذاتها بل بتقدير الله سبحانه، ونعتقد أن الله له حكمة في كل أفعاله وفي كل ما خلق سواء علمنا ذلك أم جهلناه، لأن من أسمائه الحكيم ومن صفاته الحكمة، وقد خلق الأشياء وجعلها أسباباً لأشياء، فخلق المطر وجعله سبباً للنبات وخلق اللباس وجعله سبباً للدفع وهكذا، وخلاصة القول أن الناس ثلاثة أقسام:

1- من يثبت الأسباب وأنها فاعلة بنفسها وبذاتها يعني أنه إذا وجد السبب لزم وجود المسبب ولا بد، وهذا قول باطل.

2- من يقول إن الأسباب لا تؤثر، ومن قال إنها تؤثر فقد جعل مع الله شريكاً في الإيجاد، وهذا قول باطل.

3- إن الأسباب مؤثرة ليست بنفسها ولكن بما أودع الله فيها من القوى التي صارت بها مؤثرة، ولو شاء الله تعالى لسلب منها تلك القوى فلم تؤثر، وهذا قول وسط وهو مذهب أهل السنة والجماعة وهو الذي يوافق النقل والعقل، ومثال ذلك: رجل رمى زجاجة بحجر فانكسرت، أصحاب القول الأول يقولون إن الذي كسرها الحجر بذاته، وأصحاب القول الثاني يقولون إن الحجر لم يكسر الزجاجة لكن انكسرت الزجاجة عند رميها بالحجر، وليس بالحجر، وإنما الحجر أمانة فقط، أمانة حصل الشيء عندها، وأصحاب القول الثالث يقولون إن الحجر كسر الزجاجة فهو السبب بما جعل الله تعالى في الحجر من قوة، وبما جعل في الزجاجة من قابلية للانكسار، وهذا قول أهل السنة والجماعة وهو الحق والصواب.

*** الالتفات إلى الأسباب والاعتماد عليها شرك، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع.

*** قد جعل الله أسباباً للخير والشر والرزق والمرض والحياة والموت والعدوى والشفاء والبركة وغير ذلك، وهذا معلوم من خلال الشرع والواقع، فعلينا فعل أسباب الخير واجتناب أسباب الشر مع صدق التوكل على الله، وعلى سبيل المثال وليس الحصر نقول إن الخير موجود في بعض الأماكن كمكة المكرمة وطيبة وفي بعض الأزمنة كرمضان وخاصة ليلة القدر وفي بعض الأشخاص كالصالحين مثلاً، فهم سبب للخير لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسعون لإصلاح ذات البين، والشر كذلك موجود في

بعض المخلوقات سواء كان إنسان أو بقعة أو حيوان أو نبات أو غيره، وهذا مثل دعة الفتنة والسوء أو من يكون فيه ضرر على أسرته ومجتمعه ومثل بعض البقاع التي يكون فيها معدل الجريمة مرتفعاً أو مثل بعض النباتات الضارة ومثل السيارات التي تكون أعطالها وحوادثها كثيرة، والرزق كذلك له أسباب، كأن يسعى لك رجل في تجارة أو وظيفة أو يعطيك قرض بدون فوائد، وكذلك المرض له أسباب كتدخين السجائر أو النظام الغذائي السيئ وعدم الرياضة وتناول الكحول والمخدرات، والعدوى «انتقال المرض» سببها القرب من المريض، والشفاء له أسباب ومنها الأدوية التي في الصيدليات أو العلاجات الشعبية مع اعتقادنا أن الله هو الشافي وحده، والبركة «كثرة الخير» يلاحظها كل الناس في شهر رمضان ويوم الجمعة والثلث الآخر من الليل وفي مكة والمدينة واليمن والشام وفي الصالحين ومعلمي الناس الخير وفي النخيل والتمر والزيتون والخيل، وللحياة أسباب مثل جماع الزوجة فلا يتصور من أحد طلب الولد من غير زوجة أو من زوجة عقيم أو كبيرة بالسن، ومن أسباب الحياة أيضاً إنقاذ إنسان من حريق أو غرق، وللموت أسباب معلومة مثل القتل، فالقاتل سبب لموت المقتول وإلا قال القاتل إن الله هو الذي أَمَاتَ المقتول ولا قصاص عليّ، أو مثل من مات بسبب مرض السرطان أو من حادث سيارة، فجميع ما ذكرناه هي أسباب وليست فاعلة بذاتها، الفاعل هو الله وحده، وهو الذي يجعل هذه الأسباب تكون نافذة أو غير نافذة، أما نفي النبي للعدوى فقد يفهمه البعض خطأ، قال عليه السلام: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: كلمة طيبة) [البخاري].

وقال: (لا عدوى ولا صفر ولا هامة، فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجرها، فقال رسول الله ﷺ: فمن أعدى الأول) [البخاري ومسلم].

العدوى: انتقال المرض من المريض إلى الصحيح.

الطَّيْرَة: التشاؤم ببعض المريئات أو المسموعات كبعض الطيور أو الحيوانات، وهو اعتقاد علامة للشر والمكروه، فكان أهل الجاهلية إذا أرادوا أي أمر كزواج أو سفر يطلقون طير فإذا رأوا هذا الطير يتجه لجهة اليمين قالوا: خير، وسافروا أو تزوجوا وإذا اتجه جهة الشمال قالوا: شر، وردهم ذلك عن الأمر الذي أرادوه، ويتشاءمون بطائر البومة إذا صاحت ويقولون إنها مخبرة بشر، وكذا التشاؤم بملاقة الأعور أو الأعرج، كما يكون التشاؤم في الكلام، فإذا سمع أحدهم قول: يا هالك أو يا ممحوق أو يا مبتلى تشاءم وتعلق قلبه بغير الله، فمن ردته الطيرة عن أي أمر فقد أشرك لقوله عليه السلام: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك) [أحمد].

فالتطير حكمه أنه شرك لأن الخير والشر بتدبير الله وحده وليس من الطير ولا غيره، ولأن فيه سوء ظن بالله، والفأل معناه هو التَّيْمُن «طلب الخير» بقول أو فعل، مثل لو أنك صادفت رجلاً في سفرك اسمه سعيد فتتفأل بأن سفرك هذا فيه سعادة بإذن الله، وهذا جائز، فتبين لنا الفرق بين الطَّيْرَة والفأل، الطَّيْرَة حرام لأن فيها سوء ظن بالله ولأنها باعثة على الفعل أو الترك، أما الفأل فهو محمود لأن فيه حسن ظن بالله ولأنه مقوي للفعل وليس باعثاً أو محرکاً له، ومن الفأل قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري في صلح الحديبية لما جاءه سهيل بن عمرو (لقد سهل لكم من أمركم).

والمراد بصفر في الحديث هو الشهر المعروف وكانوا يتشاءمون به، وهو كبقية الشهور يقع فيه الخير والشر، وقوله هامة وهي طائر كانوا يتشاءمون به في الجاهلية ويعتقدون أنه إذا صاح على بيت هلك أهله، فليس في هذه الأحاديث نفي لتأثير الأسباب، فالنبي يقصد أن المرض لا ينتقل بنفسه بل بأمر الله وقدره، لأن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون أن المريض لا بد أن يعدي الصحيح لا محالة في ذلك ولا بد منه، فأخبرهم النبي أن الأمر خلاف ما يعتقدون وأن

هذا يرجع إلى مشيئة الخالق سبحانه، فلا يجوز قول: فلان أعدائي، بل يقال: الله كتب وقدر هذا علي، وفي هذا أمر من النبي لأمته بأن يحققوا التوحيد ويزيلوا عنهم الشرك ولا ينفون تأثير الأسباب، كما قال عليه السلام: (لا توردوا الممرض على المصح) [البخاري]، وهذا نهي عن إيراد الإبل المريضة على الصحيحة عند شربها للماء في وقت واحد لمنع العدوى، وقال أيضاً (فر من المجذوم فرارك من الأسد) [البخاري].

والجذام مرض معروف قد ينتقل إلى الشخص السليم وقد لا ينتقل، فكان الاحتياط هو البعد عنه، وقوله فرارك من الأسد فيه أخذ الحيطة والحذر لأن الإنسان يخاف من الأسد خوفاً شديداً، فلا تعارض بين الأحاديث السابقة، ثبت أن المرض سبب للعدوى ونفي أن يكون المرض انتقل بذاته وبطبعه، بل ينتقل بقدرة الله، ثم إنه ليس بالضرورة انتقاله، فقد لا ينتقل، ومن إثبات أسباب الشر ما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس، والمرأة، والدار) وفي رواية عند البخاري ذكر الدابة بدل الفرس فيشمل كل ما يُركب كالسيارة والطيارة وغيرها، فالنبي يقر أنها أسباب فقط لا فاعلة بذاتها، والشؤم في بعض الدواب أنها تسقط أو تؤذي راكبها أو لا يغزى عليها في سبيل الله، أو تكون ذلواً لا يستعمل إلا بصعوبة ولا تلد له لعقمها، أو تكون سيارة كثيرة الحوادث، وشؤم المرأة في سوء خلقها وطباعها وسلطة لسانها وضعف دينها، وإذا غاب زوجها لا يأمنها، وأما شؤم الدار ففي ضيقه وأذى جيرانه وبعده عن المساجد وصلاة الجماعة، وقد يكون سبب في إصابة ساكنة بالأمراض، فمن لقي من هذه الأشياء الثلاثة أو غيرها شر فليخلص منها، بأن ينتقل من الدار ويبيع الفرس أو الدابة ويطلق الزوجة، لكن هذا ليس على عمومته، فكما أن هذه الثلاثة أشياء قد تكون مشؤومة، فكذلك قد يكون فيها خير وبركة، فتجد

بعض النساء صالحات ذات خُلُق ودين، وبعض البيوت يكون في سكنها سعادة ولا ضرر فيها، وبعض الدواب فيها سكينه وغير مؤذية، مع العلم أن الشر ليس خاصًا بهذه الأشياء الثلاثة فقط، بل هو موجود في غيرها، وسبب ذكر النبي لها دون غيرها لكثرة ملازمة الناس لها، فأغلب وقت الإنسان يكون في بيته أو على دابته أو مع امرأته، ومن أجل الاحتياج لها وعدم الاستغناء عنها ولأن ضررها أكثر من ضرر غيرها، لكن قد يوجد الشر في غيرها مثل الولد العاق لوالديه، أو الأصحاب الأشرار، فكلمة «إنما» في الحديث للمبالغة والتوكيد وليست لحصر الشؤم في هذه الثلاث، فالشر يكون فيها وفي غيرها، وليس في هذا إثبات للطيرة لأنها ليست أسباب للشر ولأن الشرع قد نهى عنها، أما هذه الثلاثة وما شابهها فهي أحيانًا تكون أسباب للشر وأسبابها حسية واضحة في بعض الزوجات والبيوت والدواب ولكن لا يعتقد وجود شر فيها إلا بعد التجربة، وهذا يختلف عن تطير أهل الجاهلية، فقد كانوا يعتقدون الشر في بعض الأشياء قبل أن يصيبهم مكروه، فيتشاءمون بطائر البومة وبحكة اليد أو رفة العين وهذه ليست أسباب حسية ظاهرة للشر أو الخير وإنما هو توهم منهم قبل حدوث الشر، مع العلم بأن ما يفعله بعض الناس من التشاؤم بالألوان كالأسود والأحمر، أو ببعض الأرقام أو الأسماء أو الأشخاص وذوي العاهات فهو باطل، وكما بيّنّا سابقًا قاعدة: (كل من اعتقد سببًا ليس بسبب شرعًا ولا قدرًا فقد أشرك شرًا أصغر، وإن اعتقده الفاعل بذاته فشر أكبر) فإذًا: لا احتمال للنسخ في هذه الأحاديث، لأنها غير متعارضة ويمكن الجمع بينها ولأن الأخبار لا يدخلها النسخ كالأحكام.

أمور يحرم تواجدھا في بيت المسلم :-

1- الصور بجميع أنواعها: فقد وردت أحاديث فيها وعيد شديد للمصورين، قال الرسول ﷺ: (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون) [البخاري ومسلم]، والسبب في حرمة الصور هي المضاهاة «المشابهة» لخلق الله.

2- الكلب: (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة) [متفق عليه]، لأن الكلب كله نجس وليس لُعابه «ريقه» فقط، وربما أصاب الأثاث والملابس، وبسبب تربية الكلاب وتقيلها والشرب من آنتيتها قبل التطهير حدثت أمراض للكثير من الكفار مثل داء الكلاب، ودخول الملائكة للبيت علامة على البركة والرحمة وامتناعهم عن دخوله نقص لهما.

3- الجرس: (لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس) [مسلم]، لأن الجرس فيه تشبه بنواقيس النصارى، وهو أيضاً من أنواع المعازف واللهو، وتأخذ نفس حكمه النغمات الموسيقية في أجهزة الجوال فإنها تمنع صُحبة الملائكة عليهم السلام، بل هي من باب أولى، باستثناء الكتب والحَفَظَة منهم الذين لا يفارقون الإنسان.

** أباح الشرع اقتناء الكلب لغرض الصيد وحراسة الماشية والزرع، ويقاس عليها حراسة البيوت التي تكون في منطقة غير آمنة أو بعيدة عن تجمع الناس، وما عدا ذلك فإنه ينقص من حسنات من يربيه كل يوم قيراطين وهو ما يعادل سدس عمله اليومي.

** يحرم شرعاً تصوير ذوات الأرواح كالبهائم والطيور والأدميين، سواءً كانت هذه الصور تماثيل ومجسمات أو رسوم «ما يسمى بتصوير ما لا ظل له

مثل ما يرسم على ورقه أو ملابس» أما صور النباتات والجمادات فلا محذور فيها.

**** التصوير الفوتوغرافي مسألة نازلة لم يعرفها السلف، واختلف فيه علماؤنا، فبعضهم يقول انه داخل في التحريم لأنه من أنواع التصوير الذي يعتبر كله محرم سواء كان باليد أو الكاميرا أو التلفاز أو الجوال أو أي آلة أخرى، والإنسان هو من صنع الكاميرا، وبعضهم يجيزه ويقول إنه عكس للصورة التي خلقها الله وحبس للظل، ولا يتدخل فيه الإنسان فهو كصورة الإنسان في المرأة أو على سطح البحر والأرجح والله أعلم هو الجواز، والأحوط للمؤمن هو عدم استخدام التصوير الفوتوغرافي لغير ضرورة، لكنهم متفقين على التحريم إذا تدخل فيه الإنسان كما هو موجود الآن في الجوال والكمبيوتر الذي يسمى «فوتوشوب» لأن فيه تغييراً وعبثاً بالوجه وتكبير العين أو تصغير الأنف، وعلى كل حال لا يجوز الاحتفاظ بالصور لثلاث تُعظَّم، وخاصة إذا كانت معلقة، والتصوير الفوتوغرافي مفيد لاستخراج بطاقة الهوية الوطنية وجواز السفر وشهادة الدراسة، ولكي يستطيع المسؤولون معرفة الناس وتمييزهم وضبط الأمن وملاحقة المجرمين وتوثيق معاملات الناس، ولكونه دليل عند القضاء على السرقة أو الحوادث المرورية، وكذلك لظهور العلماء والدعاة في القنوات التلفزيونية وذلك لنشر الخير ومزاحمة أهل البدع والانحلال والسفور.**

**** أول ما حدث الشرك في الأرض كان بسبب التصوير، لما صَوَّرَ قوم نوح رجالاً صالحين قد ماتوا لكي يتذكروهم ويتحمسوا للعبادة، ولما مات الذين صوروا جاء الشيطان إلى من بعدهم وقال: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها ويسقوا بها المطر، فعبدوها من دون الله عز وجل وحدث الشرك في الأرض، وهذا مشاهد عند بعض المسلمين اليوم، يقتنون مجسمات وتمائيل في بيوتهم أو في مفاتيح سياراتهم أو ألعاب الأطفال، ويخشى أن تصبح هذه المجسمات أصناماً في المستقبل يعبدونها من دون الله كما حصل لقوم نوح.**

** التحنيط لا يعتبر تصوير، وهو أخذ حيوان ميت ووضع عليه مواد تحفظه من التعفن والتحلل، وهو ممنوع لما فيه من غلو وتعظيم لها، فربما كان ذلك وسيلة إلى التعلق بهذا المُنحَظ والظن أنه يدفع البلاء عن البيت وأهله كما يظن بعض الجهلة، ولما فيه من إضاعة للمال، ولأنه لا مصلحة فيه، ثم إن هذه الميتة نجسة ولا يجوز لمسها إذا كان هذا الحيوان لا يؤكل لحمه، وأما الحيوان مأكول اللحم فهو طاهر إذا ذُكِّي ذكاةً شرعية، وإذا لم يُذَكَّ فيطهر جلده بالدِّبَاغ.

مكفرات الذنوب: _

مكفرات للكبائر والصغائر وهي: _

- الإسلام: فمن دخل الإسلام من الكفار سقطت عنه جميع ذنوبه حتى الكبائر وهذا من سعة رحمة الله لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ الأنفال [38].

- التوبة: ومعناها أن يترك المسلم الذنب وينوي أن لا يرجع إليه ويندم على فعله، لحديث: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) [ابن ماجه وغيره].

(إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يُغْرِغْ) [ابن ماجه وأحمد].

يُغْرِغُ: أي ما لم يكن في حالة الاحتضار وخروج الروح، والغرغرة: ما يردده الإنسان من المشروب، كالماء أو الدواء في حلقه، وقال الحسن البصري رحمه الله: (التوبة النصوح هي أن تبغض الذنب كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته) تفسير ابن كثير (8/169).

النصوح: الصادقة.

فعلى المسلم أن يجدد التوبة كل يوم ليتوب الله عليه، ولو أذنب ملايين الذنوب وتاب إلى الله فإن الله يقبل توبته سبحانه، فينبغي للمسلم ألا يصيبه يأس وقنوط من رحمة الله بسبب كثرة ذنوبه.

- عذاب القبر، وهو ليس خاص بالكفار وحدهم، بل يحصل للمسلمين العاملين بالمعاصي الذين لم يتوبوا منها.

- شفاعة النبي يوم القيامة.

- أهوال وشدائد يوم القيامة مثل دُنو الشمس من رؤوس الناس وأن العرق يلجم بعضهم، والعرض والحساب والصراط والميزان وغيرها من الأهوال.

- عفو الله سبحانه وتعالى ومغفرته.

وهناك مكفرات للصغائر فقط وهي: -

- الأعمال الصالحة مثل: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة والعمرة إلى العمرة ورمضان إلى رمضان والوضوء، وقول سبحان الله وبحمده مئة مرة في اليوم وصوم يوم عرفة لغير الحاج وصوم يوم عاشوراء، وآداب يوم الجمعة وكفارة المجلس والمشي إلى المساجد وإسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة والاستغفار والحج المبرور، ومثل دعاء المسلمين للمسلم وصدقته عن بنية إهداء الثواب له وغيرها من الأعمال الصالحة التي ذكرت في الشرع) ويدل على ذلك: -

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود [114].

الحسنات: الصلوات الخمس.

يذهبن السيئات: الصغائر.

(الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر) [مسلم]، وهذا شرط فيكون تكفير الأعمال الصالحة للصغائر خاص بمن ترك الكبائر.

(العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) [متفق عليه].

والحج المبرور هو الذي يكون فيه {إخلاص لله - متابعه للرسول - اجتناب الإثم - اجتناب محظورات الإحرام - الإحسان إلى الناس}.

(صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يُكَفِّرَ السنة التي قبله والسَّنة التي بعده وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يُكَفِّرَ السنة التي قبله) [مسلم].

(من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسه ذلك) [صححه الألباني في صحيح الترمذي]، وهذه هي كفارة المجلس.

(ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط) [مسلم].

إسباغ الوضوء: اتمامه وإكماله بحيث يعمّ الماء جميع أعضاء الوضوء مع غسلها ثلاثاً.

على المكاره: يعني يكون وضوؤه على كره منه إما لأن الجو بارد أو يكون مصاب بالحمى ونحو ذلك.

انتظار الصلاة: يعني يعلق قلبه فيها ويفكر فيها إذا صلى الصلاة التي قبلها، ويكون أيضاً بانتظارها في المسجد وهو أعظم أجراً.

الرباط: حبس النفس على الطاعة، وقوله فذلكم الرباط أي الرباط الموصى به والذي هو أفضل من أنواع الرباط الأخرى سواءً في الجهاد أو غيره.

(إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجليه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب) [مسلم]، فما دام أن الوضوء يترتب عليه هذا الفضل العظيم

فيستحب تجديده لمن لم يُحْدِث وحتى لو لم يريد أن يصلي، وبقاء المسلم على وضوء عباده فيها أجر حتى لمن لم يكن في صلاة.

(من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلّى ما قُدِّرَ له، ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلي معه، غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام) [مسلم].

(من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حُطَّتْ خطاياه وإن كان مثل زبد البحر) [البخاري].

وأما الحج فلا يكفر الكبائر لأنه لا بد لتكفيرها من توبة، فمن حج وهو مُصِرٌّ ومستمر على الكبائر فهذا ليس بتائب لله، كالذي لم يعطِ الناس حقوقهم المالية وهو قادر على ذلك أو يتعامل بالربا أو عنده في بيته شيء من الخمر أو المخدرات وينوي الرجوع لها بعد الحج أو كان قاطعاً لرحمه، ولا ينوي التوبة من هذه المعاصي، فهذا حجه يكفر صغائر ذنوبه فقط، وأما قول النبي في الحديث: (من حج فلم يرفُث ولم يفسُق، رجع كيوم ولدته أمه) [متفق عليه]. فهذا يخص من جمع مع الحج المبرور توبة صادقة، لأن الصلاة التي هي أعظم أجراً وأحب إلى الله من الحج ومن غيره من العبادات تكفر الصغائر فقط، ولأن من حج وهو مُصِرٌّ على الذنوب فحجه غير مبرور، وكذلك قيده النبي بأن يجتنب في حجه الرفث «الجماع ومقدماته» حتى مع زوجته، وأن يجتنب الفسوق «المعاصي» وبعض العلماء يقول إن الحج المبرور يكفر الكبائر وهو خاص ومستثنى من سائر الأعمال الصالحة التي هي تكفر الصغائر فقط وهذا قول مرجوح، كما أن حقوق العباد لا تسقط لا بالتوبة ولا بالحج وغيره، بل لا بد من إعطائهم حقوقهم إن تيسر ذلك من مال ونحوه أو طلب منهم العفو والمسامحة، والذنوب الصغائر تكفر بالأعمال الصالحة التي بينها الرسول في الأحاديث مع اشتراط تجنب الكبائر، وأما الكبائر فيشترط لتكفيرها التوبة إذا كانت حقوق لله وأما حقوق الناس فلا بد من ردها لهم

وهذا قول جمهور أهل السنة والجماعة، فالحذر من الشرك ومن حقوق العباد لأنها لا تغفر.

- مصائب الدنيا ولها سببان: -

1- من عمل معصية فتصيبه مصيبة ليكفر الله عنه سيئاته.

2- أن يكون من الصالحين فيبتليه الله بمصائب لأنه يحبه ويرفع درجته في الجنة وليس لأنه من العصاة، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ عِظَمَ الجزاء مع عِظَمَ البلاء وَإِنَّ الله تعالى إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط) [الترمذي وابن ماجه].

فمن كان من أهل الخير والطاعة وأصابته مصيبة فهذا ابتلاء، ومن كان من أهل المعاصي وأصابته مصيبة فهذه عقوبة.

**** الصغيرة هي مثل النظرة المتعمدة والقُبلة وشرب سيجارة واحدة وحلق اللحية، وأما الكبيرة فهي كل ذنب وجب فيه حد في الدنيا كحد الرجم أو قطع اليد أو القصاص، أو وجب فيه وعيد في الآخرة بالنار أو اللعنة أو الغضب أو قال فيه النبي: (ليس منا من فعل كذا وكذا أو قال لا يدخل الجنة ولا يشم رائحتها أو قال لا يؤمن من فعل كذا أو قال لا ينظر الله إليه يوم القيامة، وما أشبه ذلك) فيترتب عليها عقوبة خاصة، والكبائر محدودة وليست معدودة، خلافاً لمن عدّها، وهي مثل القتل والزنى وأكل الربا وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين وشرب الخمر وشهادة الزور واليمين الغموس والغيبة والنميمة ومنع الزكاة وسماع الأغاني وغيرها، والكبائر بعضها أكبر من بعض وكذلك الصغائر بعضها أصغر من بعض، ولا يعني هذا استحقاق الذنوب الصغائر وقول إن الطاعات تكفرها، فهي كلها معصية لله ومخالفة لأمره، ولقول الرسول: (إياكم ومُحَقَّرَاتِ الذنوب، فإنما مثل مُحَقَّرَاتِ الذنوب كقوم نزلوا في بطن وادٍ فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضبجوا خبزتهم، وإن**

مُحَقَّرَات الذنوب متى يُؤْخَذَ بها صاحبها تهلكه) [أحمد]، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (إن الله يغفر الكبائر فلا تيأسوا ويعذب على الصغائر فلا تغتروا) «شرح صحيح البخاري لابن بطال» (١٩-٢٦٧)، لأن الصغائر إذا كثرت ثقلت في الموازين ولكن تظل الكبائر أشد عقوبة منها.

*** لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت، وزوال الدنيا بأكملها أهون من معصيته عز وجل، والشيطان حريص على إغواء الناس فأول أمر يبدأ به هو محاولته أن يوقع الإنسان في الكفر والشرك فإن عجز عنه أوقعه في البدعة فإن عجز زين له كبائر الذنوب فإن عجز أوقعه في صغائر الذنوب فإن عجز عنه أشغله بالمباح الذي لا أجر فيه عن ما يؤجر عليه فإن عجز أشغله بالمفضول عما هو أفضل منه، فيشغله مثلاً بالإحسان للناس عن بر الوالدين وبصلاة الليل عن فريضة الفجر ويشغله بإماطة أذى الطريق عن تلاوة القرآن، فأول أهدافه الكفر ثم البدعة ثم الكبيرة ثم الصغيرة ثم فوات الحسنات ثم نقصانها، فالعداوة في الدين هي أخطر من العداوة في أمور الدنيا الزائلة، نعوذ بالله من وساوسه وكيدته، وهذا مما يجب التنبيه له فإن تدرج الشيطان مع المسلم أمر خطير، وهكذا حاله مع العبد لا يفارقه إلى أن يموت.

❖ ❖ أحوال الناس بعد الوقوع في الذنب: _

- من تاب توبة صادقة تاب الله عليه من أي ذنب حتى لو كان الكفر والشرك.

- من مات وعليه ذنوب كبائر لم يُتَب منها وهو مسلم موحد لله ويصلي فهو تحت مشيئة الله إما أن يتجاوز عنه أو توزن مع سائر أعماله فإن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة وإن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار، لكن حتى لو دخل المسلم العاصي النار فدخوله يختلف عن دخول الكافر، فالمسلم لا يخلد فيها، يعذبه الله مدة ثم يخرجها منها ولا تأكل النار أثر السجود

منه ولا تغمره من جميع الجهات بل تلهبه النار على حسب أعماله فقد تصل إلى كعبيه أو إلى ركبتيه أو إلى حقويه على حسب معاصيه، ويدخل النار مشياً على رجله بدون سلاسل وقيود، ولا يلقي منكوساً على رأسه، أما الكافر فيخلد في النار إلى الأبد من غير خروج ويسحب على وجهه إلى النار ويلقى فيها منكوساً على رأسه وهو مقيد بالسلاسل والأغلال الثقال وتغمره النار من جميع الجهات وتحرق بدنه والعياذ بالله، ودخول الكفار النار بسبب عدل الله، ونجاة المسلمين منها بسبب عفوهِ عز وجل ودخولهم الجنة بسبب فضله وتفاوت الدرجات فيها بالأعمال الصالحة.

- من مات ولم يتب من الكفر والشرك فهذا يخلد في النار لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء 116]، يعني الشرك الأكبر، أما الشرك الأصغر كالرياء والحلف بغير الله وكذلك الكفر الأصغر كالطعن في الأنساب والنياحة على الميت وقتل المسلم بغير حق وكذلك النفاق الأصغر (العملي) الذي قال عنه رسول الله (أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أوْتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) [متفق عليه]، فهذه الثلاثة أنواع «الشرك الأصغر والكفر الأصغر والنفاق الأصغر» ترجع إلى مشيئة الله لأنها تعتبر في الجزاء مثل كبائر الذنوب، فإن غفرها سبحانه وإلا وُزِنَتْ كسائر الأعمال فمن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار ولا يُخَلَّد فيها، أما الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الأكبر «الاعتقادي» فهذه تخلد فاعلها في النار، والنياحة «الصياح والبكاء على الميت» وقتل المسلم بغير حق والطعن في أنساب الناس «احتقار نسبهم أو التشكيك فيه» سميت هذه الثلاثة كفر لأنها تشابه أفعال الكفار، ووصفت

الخصال الأربع بالنفاق لأن فيها مشابهة للمنافقين، والشرك الأصغر أكبر من الكبائر لقول بن مسعود رضي الله عنه: (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً).

**** حقوق العباد لا تسقط بالتوبة وحدها بل لا بد من مسامحتهم للظالم أو رد حقوقهم لهم من مال أو غيره، قال سفيان الثوري رحمه الله: (إنك أن تلقى الله عز وجل بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد)، (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) (١/٧٢٦)، وذلك لأن حقوق الله مبنية على المسامحة فهو كريم يسامح ويعفو عن التائب، وحقوق العباد مبنية على المُشاحَّة فأكثرهم لا يسامح، لكن يظل حق الله أعظم من حق غيره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (القاتل إذا كثرت حسناته أخذ منه بعضها ما يرضى به المقتول، أو يعوضه الله من عنده إذا تاب القاتل توبةً نصوحاً)، فحقوق الناس لا يتهاون فيها لأن المسلم لا يدري هل يقدر أن يوفيها أم لا؟ قال النبي لأصحابه: (أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فئت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحته عليه ثم طرح في النار) [مسلم].**

المفلس: من فقد ماله واقتقر.

والصحابه توقعوا أن المعني بذلك من أفلس في الدنيا وذهب ماله، والنبي يقصد من يفلس في الآخرة وتذهب حسناته ثم توضع سيئات المظلومين عليه ثم يُطرح في النار وهذا وقت العدل والقصاص، وفي هذا الحديث إرشاد نبوي إلى تجنب الاعتداء على الناس وظلمهم، وفيه دلالة على أن عقول البشر

تقصر عن الوحي، إذ تكرر من النبي أن يحدث بحديث فلا يعرفون معناه إلا بعد توضيحه لهم، كما قال عليه السلام: (ما تعدون الرقوب فيكم قال قلنا: الذي لا يولد له، قال: ليس ذاك بالرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئاً، قال: فما تعدون الصرعة فيكم قال قلنا: الذي لا يصصره الرجال قال: ليس بذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب) [مسلم].

الرقوب: الذي لا يعيش له ولد.

الصرعة: القوي الذي يصصر الناس.

ومعنى الحديث أنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده وليس كذلك، بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيئته وصبره عليه، وتعتقدون أن الصرعة هو القوي الذي لا يصصره الرجال، وليس هو كذلك، بل هو من يملك نفسه عند الغضب.

س / كيف تتم كتابة الحسنات والسيئات؟

ج / إن الله يكتب الثواب مع الزيادة عليه لأنه كريم، ولكن لا يزيد على السيئات، بل إن من تاب فإنه يحطها عنه سبحانه، وهي على النحو التالي: -

- من عمل حسنة كتبت له عشر حسنات، وقد تزيد على العشر، وذلك على حسب إخلاص العامل وقبول الله له حتى تصل إلى سبعمائة ضعف أو أكثر.

- من عمل سيئة كتبت عليه سيئة واحدة.

- من هم بحسنة وسعى لها وعزم عليها ولم يتمكن من فعلها كتبت له حسنة.

- من هم بسيئة ثم تركها خوفاً من الله كتبت له حسنة.

- من هم بسيئة وسعى لها بكل قدرته ولم تتيسر له كتبت عليه سيئة.

❖ ❖ مضاعفة الحسنات والسيئات: _

اعلم أن الحسنات تتضاعف في الكم «العدد» وفي الكيف «النوع» وأما السيئات فتتضاعف في الكيف دون الكم، ويكون ذلك في بعض الأزمنة كرمضان والأشهر الحرم وخاصة عشر ذي الحجة، ويوم الجمعة، وتكون المضاعفة في بعض الأماكن كمكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس وفي جميع المساجد في الأرض كذلك، ويكون في بعض الأحوال، فإن الذي ينفق وهو فقير ثوابه يفوق ثواب الغني المنفق، ومثل من ابتلي بسلس البول فهذا لا يساويه الله مع المعافى لأن الله لا يضيع عمل أحد، ويختلف الأجر كذلك باختلاف العمل نفسه، فأجر من حضر غزوة بدر أكبر من أجر من غزا غزوة أخرى، فقد سماها الله في كتابه يوم الفرقان لأنه فرق بها سبحانه بين الحق والباطل، فأعلى فيها كلمة الإيمان على كلمة الباطل، وأظهر دينه ونصر نبيه والمؤمنين، وأذل الكافرين، وكل المعارك فيها خير ولكن هذه المعركة أفضلها، ويختلف الثواب باختلاف العبادات، فثواب الصلاة أعظم وأكثر من ثواب الزكاة، والزكاة أعظم ثواباً من الصوم، والصوم أعظم من الحج، وتختلف الفروض الخمس فالعصر أفضلها وتليها الفجر، وأيضا يزيد ثواب الفرض على ثواب النوافل وهذا في جميع العبادات، وعلى حسب النية كذلك وما فيها من صدق وإخلاص لله واحتساب للأجر، وعلى حسب الصبر، فالذي يصبر على فتن آخر الزمان له أجر خمسون صحابياً لكثرة الضلالات وكثرة دُعائها وقلة الخير ومن يعين عليه بخلاف زمن الصحابة، فقد كانوا صالحين ويعينون بعض على الخير وينصحون إخوانهم، ولكن هذا يراد به العمل وليس صاحب العمل، لأن الصحابي لا يدرك فضله من أتى بعده أبداً، فأفضل المسلمين في عصر التابعين أو في عصور من أتى بعدهم هو أقل منزلة من أدنى الصحابة فضلاً، فحتى الذي يزداد على الصحابة في أجر العمل فسوف

يزدادون عليه في أجر صحبة ومرافقة سيد الخلق ﷺ وهذا شرف عظيم لهم رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك تتضاعف السيئات كيفاً لا كمّاً إذا قل الدافع والداعي لها، مثل الشيخ كبير السن إذا زنى، فهذا الشيخ قد نقصت شهوته وزاد عقله ولا يشبه حال من كان في سن الشباب، فإثمه أعظم من إثم الصغير، وكذلك فإن أجر الشاب قوي الشهوة العفيف عن الفواحش أعظم أجراً من الشيخ العفيف لأن شهوته قد ضعفت، وهذا لا يبيح للشباب الزنى ولكن التفاوت بينهما موجود، ومثلاً آخر: الفقير المتكبر، مع أنه لا داعي لتكبره ولا مال لديه، والكبر لا يجوز لأي بشر ولكن إثمه أعظم من إثم الغني المتكبر، أو مثل من يكون غني وأمواله طائلة ويسرق أو لا يعطي الناس حقوقهم فهذا ذنبه أشد من المحتاج الذي يسرق، وكأننا نقول: شيخ وتزني! فقير وتتكبر! غني وتسرق! فتبين لنا بعد هذا أن الطاعة إذا صعبت زاد ثوابها، والمعصية إذا قل الدافع إليها زاد إثمها، وإن الحسنات والسيئات في شهر رمضان وفي مكة وطيبة ليست كغيرها، وعن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها: (إن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسه فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، فقال عليه السلام: لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) [مسلم].

بكرة: أول النهار بعدما صلى الفجر.

مسجدها: مصلاها.

بعد أن أضحى: بعد أن دخل وقت الضحى أو بعد أن صلى صلاة الضحى، وصلاة الضحى وقتها يبدأ من ارتفاع الشمس قيد رمح أي حوالي ربع ساعة بعد الشروق وينتهي قبل الزوال بحوالي عشر دقائق.

لَوَزَنَتْهُنَّ: لترجحت عليهن في ميزان الأعمال لأنها أعظم أجراً.

سبحان الله: تنزيهه عن جميع النقائص، فهو لا يغفل ولا ينام ولا يمرض ولا يتعب ولا يضعف ولا يعجز ولا يفتقر ولا يحتاج إلى ولد أو زوجة ولا يظلم مثقال ذرة ولا يغيب عنه علم شيء.

عدد خلقه: عدد الخلائق في جميع الأزمان وبجميع أصنافهم الذين لا يحصيهم إلا الله لكثرتهم.

ورضا نفسه: حتى ترضى نفسه.

زنة عرشه: العرش أعظم المخلوقات وأثقلها وأوسعها وأعلاها ولذلك صلح لاستواء الله عليه.

مداد كلماته: عدد كلماته، وكلمات الله نوعان: شرعية وكونية «قدرية»، فالشرعية هي كلامه الذي أنزله على رسله «الكتب السماوية» مثل القرآن والتوراة والإنجيل، والكونية هي كلامه الذي يدبر به الكون ويأمر بما شاء، كالخلق والرزق والشفاء، فإذا أراد الله حدوث شيء قال له كلمة (كن) فيكون كما أراد، فالكلمات الكونية هي أوامر الله وأقضيته للكون وهي المقصودة في هذا الحديث، وفي سورة الكهف لأن كلمات الله الشرعية معدودة ولا تزيد، أما الكونية فلا تُحصَر ولا تنتهي، وهناك فرق بين المدح والحمد والثناء والشكر، فالمدح يكون للعاقل ولغير العاقل كما نمدح الذهب والفضة، ولا يستلزم المحبة والتعظيم، بل قد يمدح الإنسان رجل لا يحبه وهو ليس بعظيم ولكنه يريد منه مصلحة، فإذا كان مع المدح محبة وتعظيم فهذا هو الحمد، فإذا تكرّر الحمد أصبح ثناء، أما الشكر فيكون في مقابلة نعمه، ويكون بالقول والفعل، فهو أعم من الحمد الذي يكون بالقول فقط، والحمد أعم من الشكر كونه يتضمن مدح وشكر.

وقد بدأ أولاً بالتسبيح الذي معناه تنزيه الله عن النقص والعيب ثم بالحمد

الذي معناه إثبات الكمال لله، لأن التحلية تكون بعد التخلية، وأما قبلها فلا تفيد شيئاً، وذكر عدد الخلائق ثم وزن العرش ثم ارتقى إلى كلمات الله وهي أعظم مما سبق وأكثر عددًا، لأن الكلام من صفات الله، فيكون المعنى: أنزله الله وأثنى عليه تنزيهاً وثناءً مساوياً لعدد مخلوقات الله الكثيرة، ومساوياً لوزن وثقل العرش، ومساوياً لعدد كلمات الله الكونية، حتى ترضى نفسه، والمراد المبالغة بكثرة التنزيه وبكثرة الثناء على الله سبحانه، ومعنى النفس في الآيات والأحاديث هي ذاته تعالى المقدسة، وليست نفس الله صفة من صفاته كالسمع والبصر والوجه وغيرها، والحديث يدل على أن الذكر يتفاضل وإن بعضه أفضل من بعض، فهذه الكلمات أعظم ثواباً مما قالته جويرية في الزمن الطويل، وهذا الذكر من جوامع الكلم التي تحمل القليل من الألفاظ والكثير من الثواب، ومن الأمثلة كذلك على تفاضل وتفاوت الأعمال قول النبي ﷺ: (ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً) [الطبراني وحسنه الألباني]، وفي هذا إثبات من النبي أن قضاء حوائج المسلمين أفضل من نوافل العبادات، فالإحسان إلى المسلمين من أفضل الطاعات، وهذا يشمل الصدقة عليهم وحسن الخلق معهم والصبر على أذاهم وعمل كل ما ينفعهم، قال عليه السلام: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) [أبو داود وأحمد]، وقوله: (الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار) [البخاري ومسلم]، يعني به من أنفق عليهما محتسباً ذلك من الله لا يرجو غيره، فله مثل ثواب المجاهد والذي يصلي ويصوم وهذا يراد به النوافل أما ثواب فرض الصلاة وفرض الصوم فلا يحصل على مثله، والأفضل هو الجمع بين الإحسان إلى المسلمين والنوافل لكسب الثواب.

❖ ❖ الاحتيل في شرع الله: _

اعلم ان الحِيل على نوعين: حيلة للحصول على الحق وهي جائزة، وحيلة للحصول على الباطل وهي محرمة، فالحِيل الجائزة هي ما يتوصل بها إلى طاعة الله أو ترك معصيته فهذه محمودة لاشتمالها على مصلحة، ودعونا نسميها «مخرج» بدلاً عن كلمة حيلة أفضل، وهي مثل الكذب في الحرب، كما حدث في قصة مبارزة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعمر بن ود في غزوة الخندق عندما التقيا فصاح عليه علي وقال: (ما خرجت لأبارز رجلين) فالتفت عمرو فضرب علي عنقه فقتله، وهذا لذكاء علي وهي حيلة جائزة لأن عمرو ما أتى إلا لقتل علي ولم يأتي للمودة والسلام، ومثل الكذب للإصلاح بين المتخاصمين، إذا قلت لأحدهم إن فلان يحبك ويمدحك وهو لم يمدحه ولكن لتصلح بينهم، ومثل كذب الزوج على زوجته، فيجوز أن يقول لها: سوف أشتري لك كذا وكذا ليطيب خاطرها، وكذلك التحايل للحصول على أخذ مالك الذي هو دين عند شخص فتقول له إن عندي السلعة الفلانية، أعطني قيمتها لأحضرها لك ثم تأخذ حقك ولا تعطيه السلعة، وهذا جائز بشرط عدم الزيادة على حقك، وأما الحِيل المحرمة فهي ما يتوصل بها إلى ترك واجب أو فعل محرم، وهي مثل بعض التجار قبل أن يحول الحول بشهر واحد يهب ماله لأولاده ليسقط الزكاة عنه، ومثل من يسافر في نهار رمضان من أجل الفطر، وكذلك من يتزوّج امرأة لتحل لزوجها السابق، فإنهم يسمونه في العقد زوجاً، وإنما هو المحلل الملعون والتيس المستعار، وكذلك بيع التورق «شراء سلعة بثمان مؤجل لغرض بيعها نقداً على شخص غير البائع بثمان أقل» وهو محرم لأنه حيلة على الربا، وقد أفتى بتحريمه العلماء الثقات أمثال ابن عباس وعمر بن عبد العزيز وأحمد بن حنبل وابن تيمية وغيرهم، ونحن لا نستطيع أن نُفسّق أو نُضلل هؤلاء الأصناف الذين ذكرناهم لأن

ظاهرهم لا يدل على معصيتهم يقيناً، لكن الله سبحانه لا يغيب عن علمه شيء، ومن الأمثلة على الاحتيال الممنوع ما تكرر من اليهود في أكثر من حادثة، قال النبي ﷺ: (قاتل الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم، فجملوها، فباعوها) [متفق على صحته].

جَمَلُوهَا: أذابوها وبعد ذلك باعوها وقالوا: لم نأكل الشحم المحرم علينا، تحايلاً على الشريعة، يخادعون الله وهو خادعهم، ومثل أصحاب السبت، وقصتهم أنهم قومٌ من بني إسرائيل من اليهود، وكانوا يسكنون في قرية تقع قريباً من ساحل البحر، وقد حرم الله على اليهود العمل والصيد يوم السبت، وابتلاهم سبحانه بسبب فسقهم وتنطعهم أن جعل الحيتان والأسماك تأتي للساحل وتظهر على سطح الماء يوم السبت ليسهل صيدها وتخفي بقية أيام الأسبوع، فاحتالوا حتى وضعوا الأحواض والبرك ومنعوا السمك من الرجوع عن طريق حواجز جعلوها بين الأحواض والبحر، ثم يخرجون السمك يوم الأحد، ومنهم من يضع الشباك يوم الجمعة ويجده يوم الأحد مليء بالسمك ويقول أنه صاده يوم الأحد، وبعضهم يمسك الحوت الجمعة فيثقب أنفه ويربط فيه خيطاً قد ضرب له في البر بوتد ثم يلقيه في البحر، فإذا كان يوم الأحد أخرجه، فمسخهم الله وحولهم قرده عقاباً لهم، وقد أخبرنا الله بقصتهم في كتابه الكريم: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف 163-166]

[166]، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل) [رواه ابن بطة وحسنه ابن تيمية]، فعمل المعصية دون حيلة ومراوغة أمر عظيم ولكنه أهون بكثير من محاولة خداع الله، قال التابعي أيوب السخيتاني رحمه الله: (يخادعون الله كما يخادعون الصبيان، لو أتوا الأمر على وجهه كان أهون) [رواه البخاري معلقاً]، ومن الأمثلة أيضاً ما يُعرف عند النساء بتشقيير الحواجب، فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) [البخاري ومسلم واللفظ له]، النمص: هو نتف الشعر من الوجه، والنامصة هي التي تنتف الشعر، والمتنمصة هي المتتوف شعرها بأمرها من أجل الحصول على حاجب رقيق فيه حسن وجمال، وحلق الحواجب والتشقيير «صبغ الحاجب» محرمة لأنه لا فرق بينها وبين النتف في المنظر، فتأخذ حكمه لأن العلة واحدة، والتحاييل في هذا تحاييل ممنوع، والمستوشمة هي التي تطلب أن يوضع الوشم فيها، والمتفلجة هي التي تطلب أن تُفلج أسنانها أي تُحك بالمبرد حتى يتسع ما بينها.

❖ ❖ الأحكام الشرعية خمسة: _

- الواجب: هو ما أثيب فاعله وعُوقب تاركه.
 - الحرام: هو ما عُوقب فاعله وأثيب تاركه.
 - المسنون: هو ما أثيب فاعله ولم يُعاقب تاركه.
 - المكروه: هو ما أثيب تاركه ولم يُعاقب فاعله.
 - المباح: هو الذي فعله وتركه على حد سواء.
- يُنظر كتاب منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين للعلامة السعدي رحمه الله.

الهجرة: -

الهجرة مشروعة ومعناها: الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام فراراً بالدين، والدليل على وجوب الهجرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ قَالُوا لَيْتَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ۝٩٩ * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٠٠﴾ النساء [97-100] وقوله ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَأَيَّتِي فَاعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ العنكبوت [56]، وقول الرسول: (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين) [أبو داود والترمذي]، ومن فضائل الهجرة قول الرسول لعمر بن العاص: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟) [مسلم]، يعني تهدم الذنوب، ومن الأمثلة على فضلها ما ورد في الحديث المتفق عليه أن رجلاً من الأمم السابقة قتل مئة نفس فهاجر من مدينته التي كان أهلها أهل فجور ومعاصي فقبض الله روحه وهو في منتصف الطريق ولم يصل إلى المدينة الأخرى فغفر الله له بسبب هجرته وتوبته، وقال الإمام مالك رحمه الله: (لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسبِّ فيها السلف) [المسالك في شرح موطأ الإمام مالك]، ولكن لا بد من القدرة فمن كان لا يقدر فلا تجب عليه لقوله عز وجل ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن [16] وهذه الآية ليست خاصة في الهجرة وحدها فأي عبادة يعجز المؤمن عنها فإن الله لا يكلفه فوق طاقته وقدرته، مثل

أهل الأعذار المستثنين من وجوب الهجرة وهم الشيوخ الكبار والعجائز والجواري والغلمان والزمنى «أصحاب العاهات كالأعمى والأعرج»، وكذلك من كان ضعيف لا قوة له على السفر، فهؤلاء ومن كان حاله مثل حالهم فإنهم معذورون لعجزهم أو لمرضهم، وأما غيرهم فاعتذارهم غير مقبول، وأما حديث: (لا هجرة بعد الفتح) [متفق عليه] فلا يعني أن الهجرة قد نُسخَ حكمها، وإنما يعني أنه لا هجرة من مكة بعد فتحها لأن أهلها قد أسلموا وهي خير البقاع، وكان المسلمون قبل ذلك يهاجرون من مكة قبل الفتح لكثرة الكفار فيها وعذابهم للصحابه، فهي لم يتم نسخها بل هي باقية حتى قيام الساعة لقول النبي: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) [أبو داود]، وطلوع الشمس من مغربها هو أحد علامات الساعة الكبرى، يعني في آخر الزمان، وكذلك قول النبي: (فاعمل من وراء البحار) [البخاري] فلا يدل هذا الحديث على نسخ الهجرة، والمعنى: أقم في أي بلد تريد ما دام أنك تقدر على إظهار دينك، والمقصود بالبحار هي المدن.

وأما الهجرة من بلاد المسلمين إذا انتشرت فيها كبائر الذنوب مثل الربا والخمر والزنى أو ظهرت فيها البدع، وأصبحت داراً للمعصية والفسق فالأفضل للمسلم هو الجلوس فيها لغرض الأمر بالمعروف وإنكار المنكر لأنه قد يصلح الله بسببه إخوانه المسلمون، ولو أن كل واحد سافر من ديار المسلمين دون أن ينصحهم لعمت البلوى وازداد الضلال لعدم وجود أهل الخير بينهم، واستمع لقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آل عمران [110]، إلا إذا تكررت منه النصيحة لهم دون جدوى وخاف أن يقع في الذنوب الكبيرة فعندها الأفضل له أن يهاجر.

س / متى تجب الهجرة: -

1- إذا عجز المسلم عن إظهار دينه: مثل بعض الدول الكافرة التي تمنع بناء المساجد وتعاقب المسلم الذي يعفي لحيته أو المسلمة التي تلتزم بالحجاب الشرعي، أما من استطاع إقامة شعائر دينه من غير حرج يلحقه ولم يتعرض للفتنة في دينه فلا بأس له بالإقامة في بلاد الكفار، والأفضل له على كل حال السفر والهجرة إلى بلاد المسلمين والفرار بأعلى ما يملك وهو الدين.

2- إذا خاف المسلم أن يضلّه الكفار في دينه بالإكراه أو بالحُجَج والإقناع أو بالإغراء.

3- في حال قام الكفار بسب الله أو سب الرسول أو الانتقاص من دين الإسلام أو حرق المصحف أو الاعتداء على المسلمين، فلا يقيم في مكان يُهان فيه الإسلام.

**** الهجرة دأب الأنبياء والصالحين، فهذا نبينا إبراهيم عليه السلام هاجر من العراق إلى الشام ليتمكن من إقامة الإسلام على الوجه الذي يرضي ربه، بعيداً عن أذى قومه للمسلمين وصدّهم الناس عن طاعة الله كما أخبر الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [99]، وهاجر موسى لسلامة نفسه ودينه من فرعون وظلمه فخرج من مصر إلى مدين كما أخبرنا الله عنه وقال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [22]، القصة [22]، ومثل هجرة أصحاب الكهف، تركوا قومهم المشركين فسكنوا في الكهف هرباً من ضلالهم، ومثل هجرة الصحابة في السنة الخامسة للبعثة وكانوا اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، وكان في مقدمتهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ عندما ضيّقت قريش عليهم الخناق واضطهدتهم، فأخذ المسلمون يبحثون عن مكان آمن يلجؤون إليه، ويتخلصون به من عذاب المشركين فأمرهم النبي**

الذهاب إلى الحبشة رحمة بهم، ليجدوا أمامهم ملكًا عادلاً وهو النجاشي الذي آوى المهاجرين ونصرهم ثم أسلم بعد ذلك ولما مات رحمه الله صلى عليه النبي صلاة الغائب ولم يذكر أن النبي صلاها على أحد غيره، لأن صلاة الغائب لا تصلى إلا على من كان له شأن في الإسلام كأن يكون عالمًا أو مجاهدًا أو ملكًا صالحًا عادلاً، واستقر الصحابة واطمأنوا في الحبشة بعد مفارقة كفار قريش لأنه لا سبيل للمودة بين من يوحد الله وبين من يشرك به، وكذلك هجرة الرسول ﷺ عندما أيس من كفار قريش أن يسلموا أو يكفوا أذاهم عن المسلمين، فلما مات عمه أبو طالب ذهب إلى الطائف قبل الهجرة بثلاث سنوات يلتمس النصرة منهم وكلم أشrafهم ولكن دون جدوى وأغروا به سفهاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أن رجله كانتا تدميان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وكان النبي قد رأى فيما يرى النائم أنه هاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب ظنه إلى أنها اليمامة أو هجر، ثم استبان له بعد بيعة العقبة الثانية أنها المدينة، وكانت هجرة النبي والصحابة خفية وسراً ليست جنباً وخوفاً من قريش ولكن لأن الله لم يأمرهم بالجهاد بعد، فالجهاد وسيلة لا غاية، الغاية هي تطبيق دين الإسلام بالحجة دائماً وبالقوة في الوقت المناسب، وفي الليلة التي قرر كفار قريش قتل النبي أعلمه الله عن طريق الوحي بذلك وأمره بالخروج من مكة، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة 40]، وصاحب الرسول هو أبو بكر الصديق، فقد اتفق كفار قريش في دار الندوة بعد المشورة على أن يخرجوا من كل قبيلة رجلاً واحداً لقتل النبي ﷺ فيتفرق دمه بين القبائل

ويضيع، لكن الله نجّاه منهم وأنزل جبريل ليخبره أن لا ينام في مضجعه، فخرج النبي من بيته ونثر على رؤوسهم التراب فأعمى الله أبصارهم ولم يروه، وخلف النبي علي رضي الله عنه في فراشه مموها على القوم وحتى يؤدي عنه أمانات أهل مكة التي قد وضعوها عنده، لأنهم كانوا يسمونه الصادق الأمين ولما بعثه الله قالوا: (ساحر وشاعر) فسار النبي وأبو بكر حتى خرجوا من مكة وفي أثناء طريقهم إلى المدينة دخلوا غار ثور الذي أقاموا فيه ثلاثة ليالٍ لئلا يراهم المشركين، وكان عبد الله بن أبي بكر هو الذي يأتيهم بأخبار الكفار الملاحقين لهم، وأما أسماء بنت أبي بكر فهي من تصنع لهم الطعام، وذلك وهما في غار ثور، والكفار خلفهم تائهون لا يعرفون طريقهم، ثم إنهم جعلوا مكافأة وجائزة قدرها مائتي بعير لمن يدل على النبي ومائة بعير لمن يدل على أبي بكر، ويصف أبو بكر حفظ الله لهما ويقول: (نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال النبي: ما ظنك يا أبا بكرٍ باثنين الله ثالثهما) [متفقٌ عليه]، يعني ما ظنك بنا والله ناصرنا فلا يقدر أحد أن يؤذينا، ثم بعد ذلك مشى النبي في طريقه ثم مر بخيمة أم معبد الخزاعية، فرأى شاةً في الخيمة، فسألها عنها، فأخبرته أنها شاة مجعدة لا تستطيع الخروج للرعي مع الغنم، فسَمَّى على الشاة ودعا، ومسح بيده على ضرعها فدرّت الحليب، فطلب وعاءً فحلبها، وسقى أم معبد حتى رويت، ثم سقى أصحابه حتى ارتووا، ثم شرب هو عليه الصلاة والسلام، ثم حلبها مرة أخرى حتى ملأ الوعاء، ثم غادر هو وأصحابه، فتعجبت أم معبد مما رأت من أدب النبي عندما استأذنها أولاً في حلب الشاة وتعجبت من بركته عندما لمس الشاة الهزيلة التي لم يكن بها حليب فدرّت حتى شرب جميع القوم، وتعجبت أيضًا من تواضعه إذ حلبها بنفسه ولم يكلف أحدًا غيره وهو الرئيس المُطاع وكيف أنه شرب بعد الصحابة الذين

شربوا بعدها، وعندما عاد زوجها ومعه الأعناز العجاف، ورأى اللبن تعجّب
وسألها عن ذلك، فأخبرته بما كان، فطلب منها أن تصف له الرجل الذي مرّ
بهم، فقالت: رأيت رجلاً: -

ظاهر الوضوء: فيه جمال وحسن.

أبلج الوجه: وجهه مضيء ومشرق.

حسن الخلق: يعامل الناس بالاحترام واللطف ومتصف بمكارم الأخلاق.

لم تعب ثجلة: الثجلة عظم البطن، فهي تنفي عنه كبر البطن.

ولم تزر به صعلة: الصَّعْلَة هي صغر الرأس.

قسيم: جميل.

في عينيه دعج: شديد سواد العينين.

في أشفاره وطف: شعر رموشه طويل.

في صوته صحل: مبحوح غير حاد.

في عنقه سطع: أي طول.

في لحيته كثائة: كثرة ووفرة.

أزج: متقوس الحاجبين مع طول أطرافهما.

أقرن: حاجبيه يلتقيان.

إن صَمَتَ فعليه الوقار: صمته هيبة.

إن تكلم سماه وعلاه البهاء: علا برأسه وارتفع عن جلسائه.

حلو المنطق: فصيح الكلام ولا يؤذي أحد بكلامه.

فصلاً: أي إن كلامه واضح لا لبس فيه، فكأنه يفصل ويقطع النقاش، فلا

إبهام ولا غموض فيه.

لا نزر: ليس بقليل الكلام.
ولا هذر: كثير بدون فائدة، والهذر هو الشرثرة.
يعني أن كلامه معتدل ومفيد.
كأن منطقته خرزات نظم يتحدرن: من جميل كلامه وحسن منطقته.
ربعة: الربعة الذي ليس بطويل ولا قصير.
لا تشنأه من طول: لا يبغض لفرط طوله.
لا تقتحمه عين من قصر: لا تتجاوزته إلى غيره لاحتقاره.
له رفقاء يحفون به: يحيطون به محبةً وخدمةً له.
إن قال أنصتوا لقوله: هيبة واحترام.
وإن أمر تبادروا إلى أمره: سارعوا إلى تنفيذ ما أراد حرصاً على طاعته.
محفود: مخدوم.
محشود: عنده حشد من الناس، والحشد تجمّع في ازدحام.
لا عابس: غير عابس الوجه.
ولا مفند: وهو الذي لا فائدة في كلامه لخرف أصابه.

وعندما وصفته علم بأنّه النبي الذي خرج من مكة فقال: (هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً) ومنذ أن تركهم النبي والبركة تحل في كثرة أغنامهم وأموالهم فاستحسنوا أمر النبي وسمّوه بـ«المبارك» وبعد ذلك بزمن قدم أبو معبد وزوجته أم معبد إلى المدينة ودخلوا في الإسلام رضي الله عنهما، وأكمل الرسول وأصحابه طريقهم وفي يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من العام الأول للهجرة نزل الرسول في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة،

وأسس مسجد قباء الذي أسس على التقوى من أول يوم، فهو أول مسجد بني في الإسلام بعد بعثة النبي، ثم بعد ذلك سار إلى يثرب التي سميت بمدينة رسول الله وعمره وقتها 53 عامًا، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء)، فلما دخلها كان كل بيت من الأنصار حريصًا على نزول النبي ﷺ فيه، وكل واحدٍ منهم يأخذ بزمام ناقته، فأخبرهم ﷺ بأنها مأمورة من الله وطلب منهم تركها، وقد ظلت تسير حتى بركت بدار بني مالك بن النجار وهذا شرف لهم كما هو شرف لهذه الناقة التي حملت على ظهرها أفضل خلق الله عمومًا، ثم قام ببناء مسجده ﷺ، وبني حجر أزواجه حول المسجد وبدأ تلاحق المهاجرين وزيادة أعدادهم بعد ذلك من مكة، وأخى النبي بين المهاجرين والأنصار، وكتب المودعة بين المسلمين واليهود، وبعد قدومه شرع الأذان، ثم بدأ بتأسيس قواعد الدولة الإسلامية القوية المستقلة والتفرغ لنشر توحيد الله بالسيف والحُجَّة والبيان، وما كانت هذه الفوائد لتحصل لو أن المسلمون مكثوا عند أعداء الله بل سيزداد الأمر سوء، واتخذت الهجرة النبوية بداية للتقويم الهجري بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب بعد استشارته بقية الصحابة في زمن خلافته، وهكذا الصراع بين الإسلام والكفر، وبين الحق والباطل، وبين الأخيار والأشرار، حتمي الوجود إلى قيام الساعة، فينتصر الباطل في البداية امتحانًا من الله ثم ينتصر الحق أبدًا، واعلم أن الهجرة النبوية لم تكن فرارًا وجبنًا من الأعداء، بل كانت تخطيطًا للحروب وتدريبًا للرجال المقاتلين الذين فتحوا مستقبلًا بلاد الكفر وأدخلوا أهلها في الإسلام صاغرين، وكان ذلك في عهد النبي وعهد الخلفاء الراشدين وعهد بني أمية وبني العباس حتى وصلت الدولة الإسلامية إلى بلاد الهند والسند والصين والأندلس والسودان وبلاد ما وراء النهر.

❖ ثمرات الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام: _

أولاً: استقلال المسلمين عن المشركين في الديار والأموال، وفي هذا تخلص لهم من العذاب والتنكيل والاضطهاد، كما يحصل به زيادة لعدد المسلمين وتكثير سوادهم وتعزيز اقتصادهم وإظهار قوتهم وهيبتهم.

ثانياً: قد يؤدي تواجد المسلمين بين الكفار إلى تعطيل الجهاد خوفاً عليهم من القتل، بخلاف لو أنهم هاجروا فإن الجهاد يكون متيسراً.

ثالثاً: إن البقاء بين الكفار قد يؤدي إلى موافقتهم مستقبلاً.

رابعاً: لئلا ينزل العذاب على الكفار فيشمل المؤمن معهم، أو تأتية المنية وهو مقيم بين أعداء الله.

خامساً: أن عزَّ المسلمين في مفارقة المشركين، فقد استطاع النبي بعد الهجرة أن ينشر الإسلام في كل مكان ويدعو إليه بشكل كبير بعدما تفرغ من كفار مكة، فأقام دولة إسلامية قوية ذات جيش له عدة وعتاد.

وخلاصة القول: إن المسلم المقيم في بلاد الكفر إذا قدر على إظهار شعائر دينه فالهجرة في حقه مستحبة، وإن عجز ولم يقدر على إظهارها أو خاف أن يفتتن في دينه فهجرته واجبة، والمراد بشعائر الإسلام هي معالمه الظاهر وهي مثل: {الأذان والإقامة وصلاة الجماعة وصلاة العيدين وزكاة الفطر وصوم رمضان ومناسك الحج وذبح الأضاحي ومجالس الذكر وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر}، لأن إقامة الشعائر مهمة لحفظ الدين.

ادعاء تعارض الأدلة الشرعية: -

لا يوجد هناك تعارض بين الأدلة الشرعية كما يزعم أعداء الإسلام، بل يمكن جمعها لأنها متوافقة مع بعض، والجمع بينها من شأن العلماء الراسخين في العلم وطلبة العلم المتميزين وليس لكل أحد، ومن توهم بوجود تعارض بين الأدلة فإما أن يكون أحد الدليلين غير ثابت أو منسوخ أو المشككة في فهم من يدعي التعارض، وهذه أمثلة على ذلك: -

1- (من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر) [ابن ماجه].

المقصود بالعذر هو المرض أو الخوف أو السفر أو غيره.

(صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة) [مسلم]، الفذ: الفرد.

والجمع بينهما أن من سمع الأذان بدون مكبر الصوت «يعني ليس ببعيد عن المسجد» ولم يصل مع الجماعة في المسجد وصلى خارجه فهذا ليس له صلاة كاملة وأجره ناقص، إلا من كان عنده عذر.

2- (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [البخاري ومسلم].

(والله لا يؤمن، والله لا يؤمن) قيل: من يا رسول الله؟ قال (الذي لا يأمن جاره بوائقه) [رواه البخاري].

بوائقه: غوائله وشروره.

وهذا لا يتعارض مع اعتقادنا بأن الموحّد لله مؤمن وإن آذى جاره أو لم يتمنى الخير لأخيه المسلم، والمعنى أنه لا يكون كامل الإيمان.

3- (من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً) [رواه الترمذي].

وهذا لا يتعارض مع كون الموحّد لله لا يحبط عمله، والمعنى أنه لا يثاب ولا يؤجر على صلاته أربعين يوماً فقط، لكن يجب على المسلم أن يؤديها لكي يسلم من الكفر ويبقى مسلماً، وألا يترك صلاته مهما عمل من الذنوب.

4- (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار يعني من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)، فقال رجل: إنه يعجبني أن يكون ثوبي حسناً ونعلي حسنة، فقال النبي: (إن الله يحب الجمال ولكن الكبر من بَطَرِ الحق وغمَصِ الناس) [الترمذي].
بَطَرِ الحق: رده ولم يقبله.

غمَصِ الناس: وفي بعض الروايات غمط الناس ومعناها واحد وهو احتقارهم، ومفهوم الحديث أن من كان عنده ذرة من كبر من الموحدين لله لا يدخل الجنة مع أول من يدخلها، بل يعذبه الله إذا لم يغفر له ثم يدخله الجنة، ومن كان عنده ذرة من إيمان لا يخلد في النار لو دخلها بسبب معاصيه، فالنار يدخلها بعض المسلمين ثم يخرجون منها إلى الجنة، فممنهم من يخرج بشفاعة النبيين، وممنهم من يخرج بشفاعة الصالحين، وممنهم من يخرج برحمة رب العالمين دون شفاعة من أحد، أما غير المسلمين فهم خالدون في النار، ولا يدخلون الجنة أبداً

5 - ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ النساء [3].

العدل بين الزوجات واجب على الزوج في المسكن والمأكل والملبس والمبيت وغيره، فمن لم يستطع العدل فعليه ألا يزيد على واحدة.

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ النساء [129].

أي لن تستطيعوا العدل القلبي يعني المحبة، فلا بد من ميل القلب لإحداهن، ولكن هذا معفي عنه لأن القلب بيد الله وحده.

6 - ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل [32]).

حرف الباء هنا للسببية أي أن سبب دخول الجنة هو العمل الصالح.

(لن يدخل أحدكم الجنة بعمله) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة) [مسلم].

يتغمدني: يُلبسني.

أما حرف الباء هنا فهو للمقابلة والعوض أي ليس العمل عوضاً وثمناً كافياً لدخول الجنة، بل لا بد من رحمة الله فهو يعفو عن المعاصي وعن التقصير في الطاعات، ويضاعف الحسنات.

7 - (غُسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم) [متفق عليه].

واجب: يعني متأكد وليس معناه أنه فرض وأن من لم يغتسل فصلاته باطلة، فغسل الجمعة حكمه سنة مؤكدة.

محتلم: بالغ.

(من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل) [الترمذي].

يعني أن الاغتسال يوم الجمعة أفضل من الوضوء.

8 - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ آل عمران [55].

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾

النساء [157، 158].

متوفيك: قابضك إلي من الأرض.

رافعك إلي: إلى السماء بروحك وبدنك وأنت حي غير ميت، فهو لم يُقتل ولم يُصلب، لأنه ينزل في آخر الزمان ويقتل الخنزير ويكسر الصليب، وفي فتاوى اللجنة الدائمة: (دلت الأحاديث على نزوله آخر الزمان، وعلى أنه يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، وعلى أن إمام هذه الأمة في الصلاة وغيرها أيام نزول عيسى من هذه الأمة، وعلى ذلك لا تكون هناك منافاة بين نزوله وبين ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ، حيث لم يأت عيسى برسالة جديدة، والله الحكم أولاً وآخرًا، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا معقب لحكمه، وهو العزيز الحكيم) (3 / 301-302).

9- ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٣﴾
الأنعام [103].

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة [22، 23].

أي أن الله لا يرى في الدنيا ولكن يراه المسلمون في الجنة.

10- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة [256].

أي أن أهل الكتاب والمجوس لا يُجبرون على الإسلام إذا دفعوا الجزية، أما غيرهم من طوائف الكفار الأخرى فلا نقبل الجزية منهم إما الإسلام أو السيف لأن كفرهم أقبح.

﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾ التوبة [5].

يعني قاتلوا أهل الكتاب والمجوس الذين لم يسلموا ولم يدفعوا الجزية، وأيضاً قاتلوا من لم يسلم من غير أهل الكتاب والمجوس، وقاتل الكفار هو رحمة بهم لأنه لو قُتل منهم ألف فهذا سيتسبب في إسلام عشرات الألوف، فالجهاد عبارة عن جَرّ الكفار من النار وإبعادهم عنها في حال دخلوا الإسلام

11 - (ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن) [البخاري].

يعني يحسّن صوته بالقرآن.

(من غشنا فليس منا) [مسلم]، وهذا يشمل جميع أنواع الغش في التجارة وفي غيره.

(ليس منا من خَبَبَ امرأة على زوجها أو عبداً على سيده) [أبو داود].
خَبَبَ: أفسد.

وهو الذي يفسد المرأة على زوجها ويزرع بينهم الكراهية أو يحرضها على طلب الطلاق أو الخلع، أو يتسبب بالعداوة بين العبد وسيده ويزين له معصيته أو الهروب منه، وهذا لا يعارض كون هؤلاء المخبيين باقين على إسلامهم، ولكن المعنى: ليس على طريقتنا في هذا الشيء فقط وليس في كل شيء.

12 - (ليس في النوم تفريط، إنما التفريط في اليقظة) [أبو داود].

(رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل) [أبو داود والترمذي].

(أنه أتاني الليلة آتيان، وأنهما ابتعثاني وأنهما قالوا لي انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر هاهنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى..... أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ

رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة) رواه البخاري في حديث اختصرناه لكي نذكر الشاهد منه، وما حذفناه غير مرتبط بما ذكرناه فلم تختلف الدلالة.

يثلغ: يشق ويكسر.

يتدهده: ينحدر ويتدحرج.

يأخذ القرآن فيرفضه: من تعلم القرآن ثم أعرض عن تلاوته والعمل به.

الشرح: هذه رؤيا في المنام رآها النبي، ورؤيا الأنبياء حق لأنها وحي، فقد رأى عليه السلام أن النائم عن الصلاة عمداً يضربه الملك بالحجر فيكسر رأسه وهذا في زمن البرزخ، فيتدحرج الحجر، فيأخذ الملك الحجر مرة أخرى ولا يرجع إلى المضروب حتى يعود رأسه كما كان قبل الكسر، فإذا التئم رأسه وعاد على ما كان عليه قبل كسره وشقه عاد عليه مرة أخرى بالضرب، ففعل به مثل ما فعل في المرة الأولى، والجمع بين الأحاديث أن الذي ينام وينوي الاستيقاظ للصلاة، أو يضع منبه الساعة، أو يأمر من يكون عنده من أهله أو زوجته أن يوقظوه، ثم لا يستيقظ لأن النوم غلبه، فهذا معذور، لأنه فعل السبب والنوم ينقطع معه الإحساس، وأما الذي ينام ولا ينوي الاستيقاظ على وقت الصلاة، ولا يطلب ممن حوله من الأهل أن يوقظه، ويسهر ولا ينام إلا قبل الصلاة بوقت يسير فهذا يُعَذَّبُ لأنه مُقَصِّرٌ ومُفَرِّطٌ وغير مبالٍ.

13 - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

القصص [56].

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الشورى [52].

هداية التوفيق بيد الله وحده وهي أن يزين الإيمان والطاعة في قلب من يشاء، أما هداية الدلالة والإرشاد فيقدرها الأنبياء والصالحين وكل مسلم،

ولكن ليس كل من أرشد إلى الخير اتبعه، إلا إذا أراد الله له ذلك.

14 - ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (١٣) يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ الحج [12، 13]، هناك توافق واضح بين الآيتين، والمعنى أن المشرك يعبد الصنم الذي لا يضر ولا ينفع، ولكن عبادة الصنم سبب لضره ودخوله النار، والعرب تقول للذي يحدث قريب وللذي لا يحدث بعيد.

15 - ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢) الحجر [92].

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٣٩) الرحمن [39].

الكفار يُسألون سؤال توبيخ وتقريع فيقال لهم: لِمَ عملتم كذا؟ ولا يُسألون سؤال استعلام واستفهام، كقول: هل عملتم كذا؟ لأن الله يعلم أعمالهم والملائكة كتبها والجوارح شهدت بها.

16 - ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) المرسلات [35].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (٣١) الزمر [31].

يوم القيامة طويل جداً وفيه مواقف ومواطن كثيرة، ففي بعضها ينطقون وفي بعضها لا يؤذن لهم بالكلام ويختم على أفواههم، وهذا الختم يكون عندما ينكرون أنهم كانوا كفاراً في الدنيا طامعين في النجاة من النار، فيختم الله على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم فيعترفون ويندمون أشد الندم والحسرة

17 - ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الإسراء [15]).

يعني أن ثواب الإنسان له وذنبه عليه ولا أحد يحمل ذنوب غيره لأن الله يعدل ولا يظلم.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ النحل [25]، لأن من دعا إلى معصية اشترك مع فاعلها في الإثم وكذلك من دعا وأمر بطاعة له نفس أجر فاعلها.

18- ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٧١﴾ مريم [71].

يُراد به مرور المسلمون وعبورهم على الصراط الذي هو فوق النار وليس دخولهم النار، لأن منهم الأنبياء والشهداء والصالحين ومن غفر الله له جميع ذنوبه، فهذه الآية لا تعارض النصوص التي تدل على أن كثيراً من المسلمين لا يدخلون النار حتى لو كان زمناً يسيراً وهذه بعضها:

(لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) [مسلم].

يعني صلاتي الفجر والعصر.

(عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله) [رواه الترمذي وحسنه].

19- ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ المائدة [67].

يعصمك: يمنع الناس من أن ينالوك بسوء.

وهذا لا يعارض كون النبي تعرض لابتلاءات مثلما سُجَّ «شُقَّ» وجهه وكُسِرَت ربايعيته «السن التي بين الشية والنب» في غزوة أحد، ولا يعارض أنه سُحِرَ من غلام يهودي وهو لبيد بن الأعصم فحمّاه الله من كيدهم وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، وكذلك اليهودية التي وضعت السم في الشاة بعد فتح خيبر فأكل منها النبي فسألها عن ذلك فقالت: أردت قتلك، فقال عليه الصلاة والسلام واثقاً من حفظ ربه له: (ما كان الله ليسلطك على ذلك) [البخاري ومسلم]، فمن رحمة الله أن اللحمة أخبرت الرسول بوجود السم فيها فأخرجها من فيه ولم يبلعها وهذا من إعلام نبوته، فعصمه الله من السم إذ

لو أكل منه فإنه سيموت كما مات على الفور الصحابي الذي كان معه وأكل منها وهو بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنه، وليس هذا بأمر جديد ولا غريب على اليهود قَتَلَةَ الأنبياء والذين وصفوا الله بأنه بخيل وفقير، أما النبي فعاش بعدها أربع سنوات يقود الجيوش ويخوض المعارك والغزوات مثل غزوة تبوك وفتح مكة ويوم حنين وحصار الطائف، وحج حجة الوداع ثم مات من أثر السم عندما انقطع أبهره لكي يجمع الله له بين النبوة والشهادة وهذه منزلة عظيمة جداً، فأَيُّ تسليط للناس عليه وأي هزيمة له بأبي وأمي هو؟! وقد حفظه الله منذ ولادته من صناديد قريش على قوتهم وكثرة جيوشهم وشدة عداوتهم للنبي فكيف بامرأة ضعيفة؟ فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبو طالب إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ وهي محبة القرابة لا محبة شرعية، ثم حفظه بالأنصار بعد الهجرة، فيكون معنى الآية الصحيح أن الله حفظك من الناس أن يضلوك ويفتنوك في دينك وحفظك من القتل قبل تبليغ الدعوة، فلم يُقَتَل النبي في المعارك بالسيف ولم يُؤَسَّر ولم يَمُت ﷺ إلا بعد أن بلغ رسالة ربه تعالى كاملة تامة، والأحداث كثيرة في هذا الباب فقد روى الإمام أحمد (أن رجلاً في غزوة ذي أمر قام على رأس رسول الله ﷺ وهو نائم بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ فقال ﷺ: الله عز وجل فسقط السيف من يده فأخذه الرسول فقال: من يمنعك مني؟ فقال الأعرابي: كن كخير آخذ فقال الرسول: أتشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: لا، ولكنني أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فذهب إلى أصحابه فقال: قد جئكم من عند خير الناس)، وكذلك مثل محاولة يهود بني النضير قتل الرسول بإلقاء صخرة عليه أثناء زيارته لهم، لكن الله أوحى إليه عن طريق جبريل فسلم منهم.

ألفاظ ممنوعة شرعاً: _

[توكلت على الله ثم عليك].

هذا شرك، والصحيح أن يقول: (توكلت على الله) لأن التوكل عبادة قلبية ولا تصلح إلا لله وحده، ومثله قول: أنا معتمد على فلان لأن التوكل معناه الاعتماد.

[الله يخليك].

يخليك يعني يتركك ومن تركه الله فقد هلك.

[لا حول لله].

هذا فيه نفى الحول عن الله وهو قول باطل، والصحيح قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

[الزمن غدار أو لا بارك الله في تلك الساعة التي رأيتك فيها أو لعن الله العام الذي مات فيه فلان].

كل ما سبق لا يجوز لأنه من سب الدهر.

[اللهم صلّ على محمد إذا أراد أن لا يصيب أحد بعين] والصحيح أن يقول: ما شاء الله تبارك الرحمن لأن الله وحده هو الذي ينفع ويضر.
[هذا المطر من بركاتك].

يقولها البعض عند قدوم ضيف والمطر ينزل، وهي خطأ لأن النعم لا تُنسب لغير الله، ولقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق 9].

وأيضاً البركة خاصة بالله، لا تصلح إلا له وحده.

[ما شاء الله و شاء فلان - لولا الله وفلان].

والصواب أن يقول: لولا الله ثم فلان وأن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان، ولقد جاء رجل إلى النبي يراجع الكلام فقال الرجل: ما شاء الله وشئت، فقال النبي: (جعلتني لله عدلاً! ما شاء الله وحده) [أحمد].

وقال عليه السلام: (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان) [أحمد وأبو داود].

[الحلف بغير الله].

لا يجوز لقول النبي: (من حلف بغير الله فقد أشرك) [أبو داود والترمذي].

قال الإمام بن عثيمين رحمه الله تعالى: (والحلف بغير الله شرك أكبر إن اعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله تعالى في التعظيم، وإلا فهو شرك أصغر) «القول المفيد».

[تسمية شمس الدين أو شيخ الدين أو نور الدين أو أبرار أو طيور الجنة وغيرها].

وهذه أسماء يُمنع التسمي بها، لأن فيها تزكية ومدح للنفس وقد يكون هذا الإنسان من العاصين لله وليس من الصالحين، قال بن عثيمين رحمه الله: (ينبغي ألا يسمى الإنسان ابنه أو ابنته باسم فيه تزكية) «فتاوى نور على الدرب».

[فلان أخبث من إبليس].

يقول ابن تيمية عن هذه اللفظة (إن من أطلقها على مسلم فإنه يكفر كفراً معلوماً بالضرورة من الدين) «منهاج السنة» (507/4).

[يا رحمة الله ارحميني أو يا عزة الله أو يا قوة الله].

دعاء صفات الله لا يجوز، لأن من دعا صفات الله فقد جعلها مستقلة عن الله قائمة بنفسها متجردة عن الذات تعيد أو تغيث، والصفات تقوم بالذات ولا تقوم بنفسها، والمشروع للمسلم هو دعاء الله بأسمائه الحسنی، لأن الاسم يدل على الذات وعلى الصفة التي دل عليها، أما الصفة فتدل على معنى ولا تدل على الذات، ويُشرع للمسلم أيضاً دعاء الله بصفاته كقول النبي: (أعوذ بعزة الله وقدرته - برحمتك استغيث)، فهناك فرق بين دعاء الله بصفاته ودعاء صفاته.

[فلان وجهه نحس أو صبّحت بوجهه نحس اليوم].

يقولها البعض إذا حصل له ما يسوؤه وهذا من التشاؤم، وليست الأقدار مرتبطة برؤية فلان من الناس، والتشاؤم منهي عنه في شرعنا لأنه سوء ظن بالله وشرك به، فمن اعتقد أن هذا الإنسان أو الطير يجلب الخير أو يدفع الشر بنفسه فهذا مشرك شركاً أكبر وإن كان يعتقد أنه سبب فهذا شرك أصغر.

[فلان بسبعة أرواح].

تقال لمن يُصاب بأمراض ويُظن أنه هلك فإذا هو معافى، وليس للإنسان إلا روحاً واحدة.

[الله يلعنك].

اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، فإذا قلت الله يلعنك يا فلان يعني دعوت الله أن يبعده من رحمته، وهو من أعظم وأشد آفات اللسان ومن الذنوب العظيمة التي نهى النبي ﷺ عنها وحذر منها وتوعد فاعلها فقال (إن العبد إذا لعن شيئاً سعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها) [أبو داود]. ومعنى أهلاً: مستحقاً لللعنة، وقال النبي: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا

الفاحش ولا البذيء) [الترمذي]، وحديث: (إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة) [مسلم].

يعني لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار، ولا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم السابقة بأن رسلهم قد بلغتهم الرسالة «لأن قصص الأمم السابقة موجودة في القرآن» والشفاعة والشهادة إكرام من الله للشافع والشاهد، ولكن اللعانين يحرمون منها إلا من تاب منهم، وقال عليه السلام: (لعن المؤمن كقتله) [البخاري ومسلم]، يعني أن اللعن كالقتل في الإثم، وفي حديث آخر أنه بينما النبي في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعلتها فسمع ذلك فقال: (خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة) [مسلم]، فإذا كان سب المسلم لا يجوز لحديث (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) [البخاري]، فكيف بلعن المسلم الذي هو أشد من السب، أما لعن آكل الربا ولعن المتشبهات بالرجال من النساء والمتشبهين بالنساء من الرجال ولعن المحلل والمحلل له وغير ذلك مما جاء عنه ﷺ فهذا لعن بالوصف لا بالتعيين، ولا يحل لأحد أن يلعن أحداً بعينه وشخصه لأنه قد يتوب، فقد فرق العلماء بين اللعن بالوصف واللعن بالتعيين، وقالوا: لعن الشخص المعين حتى لو كان كافراً لا يجوز إلا من علمنا أنه مات على الكفر أو سيموت عليه كأبي جهل وإبليس، فيجوز أن نقول لعن الله من أكل الربا ولعنة الله على الكافرين والفاستقين، أما تكفير المعين إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع فهو جائز كما ذكرناه في الأقسام السابقة.

وأكثر من اللعن خطأ قول البعض: (إبي العنك) وهذا قد جعل نفسه هو الذي يلعن وليس الله، مع أن اللعن من صفات الله الخاصة به كما قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾ النساء [52]، وكذلك لا نشهد لأحد بالجنة إلا للأنبياء أو من شهد له شرعنا، لأنك ترى

الإنسان مهتدياً ولكن قد يُختم له بشر والعبرة بالخواتيم، كما أن علم النيات والخواطر يعلمه الله وحده، فلا نشهد لأحد بأنه قد استشهد في سبيل الله ولكن نقول نرجو له الشهادة بدون جزم ونعامله في الدنيا معاملة الشهيد فإذا مات في المعركة فلا نصلي عليه لأن الحكمة من الصلاة هي الشفاعة والشهيد يُكفر عنه كل ذنوبه فلا يحتاج شفاعة: «إلا الدين فإنه لا يسقط بالشهادة بل يبقى في ذمة الميت»، ولا نغسله ولا نكفنه ليبقى أثر الشهادة عليه وتصبح رائحة دمه مسك، فندفنه بثيابه، وأما المطعون وهو من مات بمرض الطاعون والمبطون الذي مات من ألم في بطنه والغريق وصاحب الهدم فإنهم شهداء في أحكام الآخرة فقط أما في الدنيا فإنهم يغسلون ويكفنون ويصلى عليهم، لأن الشهيد في المعركة أفضل منهم، فإذا: يصح تعميم القول على أن من قتل في سبيل الله فهو شهيد، وهذا مثل قول أن كل مسلم في الجنة فهو تعميم وليس تخصيص، فقد يكون الإنسان غير مخلص لله ويقاتل الكفار حمية أو عصبية أو طمعاً في دنيا، والشهيد حقاً هو من يقاتل الكفار لتكون كلمة الله «لا إله إلا الله» هي العليا ويُقتل أثناء المعركة ويجاهد ويحرص على السلامة والنجاة ويتقي بالدرع ولا يقدم على الموت ولا يزهق روحه، كما يفعل من يضع الحزام الناسف ويفجر نفسه وهذا ليس بجهاد، كما أنه لا يجوز قول «المرحوم» لمن مات لأن هذا خبر والصواب قول رحمه الله لأنه دعاء أو قول المرحوم بإذن الله، لأن الشيء الغيبي توقيفي فلا يثبت إلا بنص.

[خير يا طير].

يقولها من يتمنى الخير بعد رؤية طائر، والطيور لا أثر لها في قضاء الله وقدره، ولقد مر طائر فقال رجل: خير خير فقال ابن عباس: لا خير ولا شر، فأنكر عليه لئلا يعتقد تأثيره، وهذا تطير والعياذ بالله.

[لو أني فعلت كذا لما حصل كذا].

من ألفاظ التسخط وأيضاً تجعل القلب متعلقاً بالأسباب مبتعداً عن اليقين بتصرف الله لمخلوقاته.

[اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه].

هذه المقولة مخالفة لقوله عليه السلام: (لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القدر إلا الدعاء وإن الرجل ليُحرَمَ الرزق بالذنب يصيبه) [ابن ماجه].

كما قال: (لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر) [الترمذي].

البر هو الإحسان إلى الوالدين وطاعتهم، والدعاء قد يرد القدر المُعلَّق المكتوب في صحف الملائكة، أما القدر المُبرَم «النافذ» المكتوب في اللوح المحفوظ فهذا لا يرده الدعاء، فيكون مكتوباً في صحف الملائكة أن فلاناً إذا دعا الله يزيد رزقه وإن لم يدعو فلا يزداد فيه والملائكة لا تعلم الغيب ولكن الله وحده يعلم، أو أن فلاناً إذا دعا بالذرية يرزق بها وإن لم يدعُ لا يرزق وهكذا، أو إذا برَّ والديه يمد في عمره وإن لم يبرهما لا يمد فيه، فصحف الملائكة يكون فيها التعليق فهي قابلة للمحو وقابلة للإثبات على حسب ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ الذي عند الله، والذي يستقر أمره أخيراً عندهم هو الذي قد كتب في اللوح المحفوظ، أما اللوح المحفوظ فهو الأصل لا يتغير ولا يتبدل، كما قال عز من قائل: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد 39]، أي يمحو بعض ما في صحف الملائكة ويثبت بعضه، وليس كل شيء في صحف الملائكة يكون معلقاً، فبعضه يكون مُبرَماً وليس معلقاً، وهناك عبادات أخرى تغير القدر المُعلَّق مثل بر الوالدين وصلة الرحم والصدقة وليس الدعاء وحده، بدليل الحديث أعلاه، ولقوله عليه السلام: (من سرَّه أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليق الله وليصل رحمه) [البزار والحاكم]، وقال عليه السلام: (ما نقصت صدقة من مال وما

زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل [مسلم]،
ولكن خُصَّ الدعاء برد القدر لأن تغييره للقدر شامل وليس في شيء معين مثل
زيادة العمر لمن بر والديه ومثل زيادة الرزق لمن تصدق.
[الله ما يضرب بعضاً].

هذه اللفظة لا تليق بجلال الله وعظمته لأن فيها سوء أدب مع الله جلّ
جلاله.

[يا رب وش أنا مسوي].

يقولها البعض عند المصيبة فيتهم ربه ويعذر نفسه.

[فلان ما يستأهل]

اعتراض على اقدار الله وتُقَال عن الرجل الصالح إذا حلت به مصيبه

[عملت اللي علي والباقي على الله]

ما عملته وما لم تعمله كله بأمر الله وقدرته، وفعلك أيها الإنسان مجرد
سبب.

[اسعى يا عبدي وأنا أسعى معك].

عبارة مشهورة على ألسنة الناس وهي ليست بحديثٍ قدسي، والله لا يسعى
كالمخلوق، بل يأمر بما شاء.

[شاءت الأقدار - شاء القدر - شاءت إرادة الله].

الصحيح قول شاء الله لقوله سبحانه: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ وَما
تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ التكوين [28، 29].

[رَيْحٌ مَلَائِكَتُكَ].

يريدون قلل من كلامك.

[فلان ملائكته مرتاحة].

أي قليل الكلام.

لا تنبغي، فالملائكة لا تتعب من كتابة الأعمال لقوله تعالى: ﴿كَرَامًا كُتِبِينَ﴾
«الانفطار 11».

[الأقارب عقارب].

تقال للتغفير منهم، وقد أوصى رسولنا بهم، وهم خير معين لك في الحياة
بعد الله فكيف يكونون عقارب!

[فلان شكله غلط].

يعنون بأنه قبيح، وقد خلق الله الإنسان في أحسن صورة كما قال: ﴿لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^[4]، ولأن الله لم يغلط ولم يخطئ
عندما خلق مخلوقاته، كما أن التفاضل يكون بتقوى الله وليس بالصور
والأشكال، قال عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَوُّكُمْ﴾^[13].

[ربي يحبني].

يقولها البعض إذا حصلت له نعمة كنجاة من حادث أو أي نعمة أخرى،
فيها تزكية للنفس وتقول على الله بغير علم.

[الله يقرئك - الله يخسك - الله يغثك - الله يظلم من ظلمني - الله يزعجك].

هذه الكلمات وغيرها مما شابهها لا تجوز، فمن اعتقد أنها من صفات الله
فقد أخطأ لأنها ليست من أسماء الله وصفاته، فالأسماء والصفات توقيفية
«إثباتها متوقف على القرآن والسنة» وليست اجتهادية، وإذا لم يعتقد ذلك ففيها
سوء أدب مع الله.

[أطال الله في عمرك].

الصواب قول: أطال الله في عمرك على طاعته، ففي الحديث إن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: (من طال عمره وحسن عمله) قال: فأَي الناس شر؟ قال: (من طال عمره وساء عمله) [الترمذي]

[بعض الناس إذا حصل له تنمّل في اليد قال: سيأتيني ضيوف أو مال وإذا رفّت العين اليمنى قال: سيحصل لي أمر خير وإذا رفّت العين اليسرى قال: سيحصل لي شر وإذا سقط من يده شيء قال: سيحصل لي مصيبة].

وهذه ألفاظ فيها تشاؤم وادعاء بمعرفة علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله وحده.

[يحلّها ألف حلال].

الصحيح قول: (يحلّها الله وحده).

بعض الشبهات والرد عليها: -

أولاً يجب التنويه إلى عدم تتبع الشبهات التي قد تكون سبب في زيغ القلوب، وهي ليست وليدة اليوم بل هي موجودة منذ قرون عديدة، لأن أعداء الإسلام هدفهم تشكيك المسلمين في دينهم، فهم يحاربون ديننا بالحجة كما يحاربونه بالقوة، فلا تستمع أيها المسلم إلى الشُّبه، ومن اعتاد سماع الشبهات وتلقيها فلا يأمن أن يصدق بعضها أو تعلق الشبهة في نفسه، والخير كله في التسليم لأدلة الشرع والبعد عن أهل السوء والحذر من مجالستهم والاختلاط بهم فهم يفسدون على المرء عقيدته وعمله، كما أن الرد عليها من شأن من أعطاه الله علم في الدين وبصيرة في القلب، ولأنهم في أمان من الضلالة بإذن الله بسبب التزامهم بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فهؤلاء يجب عليهم الرد على الشبهات التي تكون منتشرة بين الناس لعلهم يهتدون، أما قبل انتشارها فينبغي إماتة الباطل بالسكوت عنه، وأما الذي ليس عنده علم ولا يقدر على رد الشُّبه فيترك المجال للعلماء، وإليك بعض الأمثلة على الشبهات: -

الأولى: {إن الأنثى ترث نصف الذكر وهذا ظلم لها}.

وهذا القول لا يصدر ممن درس علم المواريث، فالمرأة لها أربع حالات في الميراث، فقد ترث نصف نصيب الرجل «كال بنت مع أخيها الذكر، وكالأُم مع الأب مع عدم وجود الأولاد أو الزوج أو الزوجة»، وقد ترث مثل نصيبه «كالأُم مع الأب في حال وجود الابن، فللأُم السدس، وللأب السدس، والباقي للابن، وكالأخ والأخت لأُم، فإنهما يرثان بالتساوي» وأحياناً ترث أكثر منه «كالزوج مع ابنته، فله الربع، ولهما الثلثان، أي لكل واحدة منهما الثلث، وكالزوج مع ابنته الوحيدة، فله الربع، ولها النصف، ويرد الربع الباقي لها

أيضاً» وأحياناً تترث ولا يرث الرجل «كما لو ماتت امرأة وتركت زوجاً وأباً وأماً وبنْتًا وبنْت ابن، فإن بنت الابن تترث السدس، في حين لو أن المرأة تركت ابن ابن بدلاً من بنت الابن لكان نصيبه صفرًا لأنه كان سيأخذ الباقي تعصيبًا، ولا باقي» فعلم المواريث علم غزير وصعب وليس بهين، وعلى كل حال المرأة لن تدفع مهرًا عندما تتزوج، بل إنها ستأخذ المهر، ولن تتحمل مسؤولية أسرتها ونفقتهم وعيشهم وسكنهم، فهي ليست ملزمة بدفع أي شيء من ذلك عن زوجها إلا إن رغبت بمساعدته، بل إنها ليست ملزمة بدفع أي شيء من لوازمها هي، فإن كانت بنتًا فالمكلف بالإنفاق عليها الأب، وإذا مات أبوها فأخوها ينفق عليها، وإذا تزوجت وجب على زوجها الإنفاق عليها، وبناءً على ذلك فإن التفاوت بين الذكر والأنثى في الميراث هو غاية العدل، أما المساواة فهي ليست دائماً عادلة بل قد تكون أحياناً ظلمًا.

الثانية: {يُنتقد الملاحدة وجود النسخ في القرآن ويقولون: أن هذا يتعارض مع كمال علم الله، فهل كانت بعض المصالح والحكم تخفى على الله حتى يغيرها لاحقًا؟}.

وقبل الجواب على هذا السؤال يجب العلم أولاً أن عدد الآيات التي وقع فيها النسخ (22) آية فقط وبعضهم يجعلها (12) وبعضهم يقول إنها (9) آيات وهذه أقوال العلماء الثقات، وليس كما يعتقد ويتوهم من يجعلها (293) آية! وهو عدد فلكي وخيالي، وسبب هذه المبالغات هي طريقتهم الخاطئة في إثبات النسخ، فقد جعلوا مثلاً آية السيف ناسخة ل (220) آية، لأنهم جعلوها ناسخة لكل آية تأمر بالصبر على الكفار والمهادنة، والصبر والمهادنة باقية ونعمل بها، وكذلك كثير من الآيات مُحْكَمَة وهم جعلوها منسوخة وهذا خطأ عظيم لأنهم أبطلوا حكمًا شرعيًا، ومن ادّعى وجود نسخ في أي آية في القرآن فإننا نطالبه بالدليل لأن الأصل في آيات القرآن أنها محكمة وليست منسوخة،

والنسخ يثبت بدليل شرعي صريح ولا يثبت بالقياس ولا بالإجماع ولا بالاحتمال، ولا بد كذلك أن يكون الناسخ متأخرًا في التاريخ عن المنسوخ وهذا يحتاج إلى بحث طويل وتأتي وعدم استعجال، وكذلك لا بد من تعذر الجمع بين الآيتين، فمتى ما قدرنا على الجمع فلا نسخ إذًا، وهناك أمور لا يدخلها النسخ وهي: {العقيدة - الأخبار - الكليات «الضروريات والحاجيات والتحسينيات» وإنما هو في الجزئيات منها - أصول العبادات}.

وبعد هذا البيان نجيب على السؤال ونقول: أن النسخ ليس تراجعًا عن خطأ ليتم تعديله، وإنما لفوائد عديدة مثل التدرج في التحريم، كتحريم الخمر مثلاً، فكان التدرج مناسباً لطبيعة الإدمان التي لا تقبل التحريم المفاجئ، فكيف تأتي إلى مجتمع جاهلي يشرب الخمر منذ عقود ويألفها وتعتبر عندهم تجارة في بيعهم وشرائهم ثم فجأة تحرمها عليهم! فكان شرب الخمر في غير أوقات الصلاة مباحاً، ومحرمًا أثناء الصلاة ليعلم المسلم كم صلى وماذا قرأ في صلاته ولكي يخشع فيها، ثم أتى تحريمها مطلقاً في جميع الأوقات لخبثها ولأنها تذهب العقل وفيها فساد الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ البقرة [219].

ثم نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ النساء [43].

ثم نزل بعدها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة [90]. ففي الآية الأولى ذم للخمر، ولكن دون تحريم لها، وفي الثانية تحريم أثناء أداء الصلاة فقط فلا يكون سكران وهو يصلي، ثم في الآية الثالثة تحريمها في كل وقت، من أجل أن يعتادوا على تركها شيئاً فشيئاً لأنها متأصلة فيهم، ومثال آخر على النسخ

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝﴾ الأنفال [65، 66].

فالأية الثانية نسخت الآية التي قبلها من أجل التخفيف في الحكم رحمة من الله، فكان المسلمون مُلزمون بالقتال حتى لو كان الكفار عشرة أضعافهم، فلما انصاع المسلمون لأمر الله ونجحوا في الاختبار خفف عنهم وأصبح إلزام القتال أن يكون عدد الكفار لا يزيد عن ضعف عددهم، وإذا زاد العدد فيجوز لهم الفرار ويجوز القتال، فإذا غلب على ظنهم النصر فالأفضل الثبات، وإذا غلب على ظنهم الهلاك فالأفضل الفرار مع جواز القتال لنيل الشهادة، فتدبر الآيات كيف فرض الله الأمر الصعب في البداية ثم جاء التخفيف للراحة، لأن القتال صعب على النفوس فأراد الله أن يعتادوا عليه وتزداد شجاعتهم، بعكس تحريم الخمر الذي بدأ خفيف ثم صار أصعب، لأن الخمر ليس في تركه مشقة أو حاجة فطرية وإنما هو عادة يألّفها من اعتاد عليها، أما القتال فنفس البشر تكرهه وتخاف الموت، ولا يفهم عاقل من ذلك أن الله ينزل حكماً شرعياً فيكتشف خطأه ثم ينسخه، وهذا الادعاء لا يستقيم مع نصوص الآيات، فالآية تقول: (الآن خفف الله عنكم) أي أن الحكم الأول كان مقصوداً أصلاً لكي يتم التخفيف فيما بعد، فيتضح للمتأمل أن الحكمة من نسخ آية الخمر التدريج والحكمة من نسخ آية الجهاد التخفيف، وذلك من أجل الظروف الراهنة عند نزول الحكم، ولهذا فإننا نجد أن النسخ لم يقع في آيات الأخبار أبداً لنعلم بصدق أخبار الشريعة وبأنه لا خلل فيها ولا نقص في علم الله المُسبق، فلو كان في الأخبار نسخ لقال من شاء أن يقول أن القرآن يخطئ ويكذب، أما بالنسبة للنسخ بين شرائع الأنبياء فمن حِكْمِهِ أن حال الأمم يختلف، فقوم موسى كان

من بعضهم عناد وتحايل على الأحكام الشرعية فشد الله عليهم، مثل الذين احتالوا على تحريم الصيد في البحر وهم أصحاب السبت وغير ذلك، ثم خفف الله عن أمة عيسى لأنهم أكثر انقياداً لله منهم، ثم زاد التخفيف على أفضل الأمم أمة محمد ﷺ وهم أمة الإجابة وليست أمة الدعوة، مع أنها أقل الأمم أعمالاً وأقصرها أعماراً إلا أنهم الأكثر أجوراً، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك) [الترمذي وابن ماجه]، يعني أكثرهم وليس جميعهم لأن هناك من يتجاوز عمره المائة، أما الأمم السابقة فكانوا يعيشون كثيراً، ولكن الله مَيَّز هذه الأمة ووضع لهم أجوراً لم ينلها غيرهم، فجعل لهم مواسم للطاعات تتضاعف فيها الأجور لتعويض ما قد يفوتهم، كيوم الجمعة الذي ضل عنه من كان قبلنا من الأمم السابقة، وكليلة القدر، وفضائل هذه الأمة وخصائصها يطول ذكرها، فهي خير الأمم لقول الله جل جلاله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ آل عمران [110].

ومن ذلك إنهم أول من يدخل الجنة وإنهم ثلثي أهلها، وإنهم متصفون بالوسطية «الخيار والأفضل والعدل» كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة [143]، يعني أنهم وسط بين الغلو والتقصير المذمومين، فاليهود عندهم جفاء وتقصير في حق الأنبياء فكذبوهم وشتموهم وقتلوهم، والنصارى غلَو في عيسى وجعلوه إلهاً أو ابن الله وعبدوه، وأمة محمد متوسطين في الأنبياء، يصدقونهم ويعتقدون بعصمتهم، ويقولون أن عيسى عبد الله ورسوله وأنه بشر، فلا نرفعه من مقام البشرية إلى مقام الألوهية، وكذلك هم وسط بين اليهود الذين إذا أصابت أحدهم نجاسة قرضها بالمقراض ولا

يغسلها، وبين النصارى الذين يصلون بالنجاسات حتى رهبانهم، وهذه الأمة معتدلة تغسل النجاسة بالماء حتى تطهر الملابس، ومن الأمثلة أيضًا أن اليهودي إذا حاضت زوجته لا يبيت معها ولا يؤاكلها ولا يسكن معها في البيت، وضده النصراني الذي يستبيح جماعها فضلًا عن معاشرتها، وأما أمة محمد فتمتنع عن جماع الزوجة الحائض أو النفساء، لكن لا يمانعون من الأكل والشرب معها وتقبيلها وضمها والنوم معها وحتى الاستمتاع بها فيما دون الفرج، فيجوز للزوج ان يستمتع بالفخذين مثلاً، والأحوط أن تلبس الحائض الإزار أو السراويل أو القميص من وراء ذلك، ولو جامعها بدون ملابس جاز له ذلك ولكن لكيلا تميل النفس إلى الجماع، وسد الذرائع مهم جدًّا، ومثال آخر على وسطية أمة المصطفى، أن اليهود عندهم كثيرًا من الطيبات حرام فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والنعام والإوز والبط، ومثل شحوم البقر والغنم «الثرب وشحم الكليتين» وعكسهم النصارى أهل التقصير فقد استحلوا الخبائث حتى إنه مشهور عندهم أن جميع الطعام حلال، فجاءت بعدهم هذه الأمة الطيبة أمة محمد الذين يُحِلُّون الطعام الطيب ويحرمون الطعام الخبيث، ولا يحللون أو يحرمون من أنفسهم بل من الكتاب والسنة، ومعنى قول الله إنهم شهداء على الناس في الآية السابقة، أي أنهم سوف يشهدون يوم القيامة على الأمم السابقة بأن رسلهم قد بلغتهم الرسالة، وهذا عندما ينكرون كفرهم، ونحن نعرف قصصهم لأننا قرأناها في القرآن، كقصة قوم نوح وقوم عاد وثمود، والشهادة تُطلب من أفاضل الناس ولا تُطلب من مفضولهم ومن هو أقل شأنًا.

ومن خصائص أمتنا أيضًا أنها لا تجتمع على ضلالة لقول الرسول: (إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة) [الترمذي وحسنه الألباني]، وهذه العصمة إنما هي لجميع علماء الأمة في أي عصر من العصور، وأما اتفاق بعضهم أو أكثرهم

على أمرٍ ما فليس بمعصوم من الخطأ، وكذلك اتفاق العوام على أمر من الأمور ليس دليلاً على أحقيته، لأن العبرة بأهل العلم لا بالعامّة والجهلاء، ومن الخصائص كذلك أن الله وضع عنهم الخطأ والنسيان وما استكروها عليه، قال رسول الله ﷺ: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه) [ابن ماجه والبيهقي]، وهذا تخفيف وتيسير عليهم، ومن الفضائل الخاصة بهم قول النبي: (إن أمتي يأتون يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلِينَ من أثر الوضوء) [متفق عليه واللفظ لمسلم].

غُرّاً: أي يكون في وجوههم نور وبياض يوم القيامة.
 مُحَجَّلِينَ: أي يكون في أيديهم وأرجلهم نور وبياض يوم القيامة.
 والوضوء ليس خاصاً بهذه الأمة، الخاص بهم هو الغُرّة والتَّحْجِيل من أثر الوضوء.

الثالثة: {زعم أن إرضاع الكبير خلل في الشريعة}.

وهذه المسألة كثيراً ما يرددها الرافضة فرحين بأنهم عثروا على خلل في سنة النبي، والقصة ثابتة لا ننكرها، روى الإمام مسلم: (إن سالماً كان مولى لأبي حذيفة ويعيش معه ومع أهله في بيتهم فأتت ابنة سهيل إلى النبي فقالت: إن سالماً قد بلغ ما يبلغ الرجال، وعقل ما عقلوا وإنه يدخل علينا، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً، فقال لها النبي: أرضعيه تحرمي عليه، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة، فرجعت فقالت إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة)، والرد عليهم أنه لا اعتراض على أمر الله وأمر رسوله أبداً، وإن هذا الحكم الشرعي خاص في سالم وفي زوجة أبي حذيفة سهيلة بنت سهيل فقط وليس لكل الأمة، كما أفتى بذلك أكثر الصحابة وغالبيتهم والأئمة الأربعة، أما من فهم تعميم الحكم فقد أبعد عن الصواب، ثم إنها رضي الله عنها أفرغت من لبنها في قصعة فشربه سالم لئلا يرى من جسدها شيئاً، وليس

كما يدَّعي الرافضة أن في هذه القصة عُريٌّ أو فُحْشٌ، فأصبح بعد ذلك ابنها من الرضاعة وذهبت غيرة زوجها، وسبب أمر النبي لها بذلك لأن سالماً كان قد تبناه زوجها أبو حذيفة قبل تحريم التبني، فلما حرم الله التبني في سورة الأحزاب أتت إلى النبي تسأله، والرضاع المعتبر شرعاً هو الذي يكون للطفل قبل بلوغ سنتين، ولا يؤثر الرضاع بعد ذلك، فرضاع الكبير لا يحرم، بدليل أن الأمة لم تعمل به، ولا نسمع بهذا إلا ممن يريد الطعن في سنة النبي.

الرابعة: {قصة همّ النبي بالانتحار لتأخر الوحي عليه في بداية البعثة النبوية لئلا يكذبه الناس}.

وهذا الخبر روي بأسانيد لا تصح فلا تثبت هذه القصة، وحتى لو ثبتت فلا تقدر في مقام النبي لأنه لم يقدم على الانتحار ولا على مقدماته وإنما هو مجرد تفكير عابر، قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم) [البخاري ومسلم]. فالذي يعرض للقلب من خواطر ونيات نوعان: ما يمر سريعاً وينكره المسلم ويحاول جاهداً على ألا يفكر فيه فهذا لا إثم على صاحبه بل هو علامة على قوة الإيمان لأن الشيطان لم يقدر أن يغويه في عمله فكانت حيلته في الوسوس، وأما الذي يستقر في نفس العبد ولا ينكره ولا يكرهه ولا يجاهد نفسه على عدم التفكير فيه فهذا يأثم عليه لأنه من أعمال القلوب.

الخامسة: {إنكار علو الله على خلقه}.

الله سبحانه من أسمائه العلي والأعلى والمتعال، وأدلة صفة العلو لله قد وردت كثيراً في الشرع، والله قد أنزل الكتب وهل يكون الإنزال إلا من الأعلى إلى الأسفل؟! وكذلك نزوله إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل، وشبهتهم في هذا أن معنى نزول الله هو نزول أمره أو رحمته، فردد عليهم ونقول إن الأمر ينزل ممن؟ أليس من الله الذي أمر، فقد أثبتوا ما أرادوا نفية وهم لا

يعلمون، وبعضهم يثبت علو القدر وعلو القهر لله دون علو الذات، والواجب إثباتها جميعها، فالله سبحانه عالٍ على جميع الخلق، مستوٍ على عرشه، والعرش سقف المخلوقات وأعظمها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [٢٥٥] والبقرة [255]، وقال: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [١] الأعلى [1]، وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [١٨] الأنعام [18].

وصفة العلو اشتد النزاع فيها بين أهل السنة وأهل البدع، وكذلك صفة الكلام لله، وكذلك رؤية الله في الجنة.

السادسة: {إن القرآن مخلوق}.

المبتدعة يقولون إنه ليس في الكون إلا خالق ومخلوق وليس هناك قسم ثالث، فإذا كان القرآن ليس خالقاً فهو مخلوق وهذا كقول الأباضية، والرد عليهم أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق، فالخالق هو الله وحده، ولا يصح أن يكون شيء من أسماء الله وصفاته مخلوقاً، فالقرآن كلام الله والكلام صفة من صفاته، فقد تكلم الله به حقيقة بصوت وحرف وأسمعه جبريل الذي نزل على محمد ﷺ فسمعه منه، وقد كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض ثم أنزله جبريل إلى بيت العزة في السماء الدنيا ليلة القدر بداية البعثة النبوية ثم أنزل مفزاً ومنجماً على مدى ثلاثة وعشرين سنة، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه ليس كلام الله فيكون كافراً بذلك مكذباً لله ولرسوله، ولأن صفات الله عز وجل ليست مخلوقة، سواء كانت صفات ذاتية كالوجه واليدين، أو صفات فعلية كالاستواء والغضب.

السابعة: {قول الرافضة إن العُتْرَةَ «أهل البيت» معصومين من الخطأ وإنهم مُشَرَّعِينَ}.

وهم يستدلون بحديث: (إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وأهل بيتي وإني لن ينفركا حتى يرده علي الحوض) [رواه الطبراني في «المعجم الكبير» والحاكم

في «المستدرک» وابن عساکر في «معجمه»]، وهذا الحديث منکر، لكن الرافضة لا يراعون الأسانید ولا يدرسونها كأهل السنة، فيأخذون ما وافق أهواءهم ويتركون ما خالفها، وهناك أحاديث أخرى أيضًا توصي باتباع العُترة أو أهل البيت وهي لا تثبت ولا تصح وعلى فرض صحتها فالمقصود هو محبتهم واحترامهم وليس اتباعهم في التشريع وترك القرآن والسنة، والذي صح عن النبي فيما يرويه عنه زيد بن أرقم رضي الله عنه هو قوله: (وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) [مسلم].

وآل البيت هم بنو هاشم وبنو المطلب وزوجات النبي وذريته، والقرآن وأهل البيت ثقلين لعِظَم وثقل شأنهما وثقل العمل بهما، فالقرآن وأوامره ونواهيهِ ليست بسهولة وليس كل أحد يقوم بها على الوجه المطلوب، وثقل الوصية بأهل بيته ﷺ لتعظيم حقهم ومحبتهم والصبر على ما قد يصدر منهم وهذا فيه صعوبة، وليعلم أن وصية النبي خاصة بمن أسلم منهم وليست لهم كلهم، فلا يدخل في ذلك من كفر منهم كأبي لهب وأبي طالب، وليس المراد أن أهل البيت مُشرِّعين في أحكام الدين أو أنهم معصومون من الذنوب فهذا قول باطل، بل حتى الرسول كان يجتهد في المسائل التي لم يوحى إليه فيها، فإن أقره الله على اجتهداده دل على إصابته ويكون حياً يلزم العمل به لأن الله لا يقر على خطأ، وإن لم يقره على اجتهداده بين له الصواب، والشرع هو ما نزل به الوحي، وفي كلا الحالتين فالنبي مأجور وغير آثم، لأن الإثم يكون في فعل ما نهى الله عنه أو ترك ما أمر به، أما ما لم ينزل به وحي من الله بعد، فهذا لا يُدَمَّ عليه النبي في حال أن الله لم يقره عليه، وهي حالات نادرة جداً لا ينبغي تعميمها، والأصل هو إقرار الله لنبيه لأن اجتهداده عليه السلام عن علم

وبصيره، فهذا سيد الخلق لا يشرع من عنده، بل ينزل عليه الوحي من الله فكيف بغيره؟ ومن الأمثلة على عدم إقرار الله له أنه عاتبه على أخذ الفداء من أسرى بدر، وكان مقصد النبي في أخذ أموال الفدية أن تكون معونة للمسلمين وأن يدخل هؤلاء الأسرى ومن وراءهم في دين الإسلام إذا رأوا سماحة ورحمة المسلمين بهم، فأخبره الله أن الفدية لا تكون إلا بعد الإثخان «المبالغة في القتل» لتقوية شوكة المسلمين وإذلال الكفر والكافرين، قال عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَبْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٧﴾ الأنفال [67]، كما عاتبه الله أيضًا عندما أذن لبعض المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك اجتهدًا منه ولم يكن وقتها يعلم أنهم منافقين، أما الله فهو مطلع على السرائر ويعلم نفاقهم فأخبره أن الأفضل لو أنه تثبت ولم يستعجل في أمر هؤلاء حتى يعلم هل أعدارهم صادقة أم أنها كاذبة، قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ التوبة [43]، والعتاب لا يكون فيما صدر عن وحي، فيكون صادرًا عن اجتهد، فإذا: لا ينسب التشريع إلا لله وحده بدليل قوله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يوسف [40]، وليعلم أن جبريل كان ينزل عليه بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، فغالب السنة هو بوحى من الله تعالى لنبه كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿١٠١﴾ النجم [3، 4]، فكيف يزعم الشيعة أن آل البيت أو من هو غير النبي يشرع من عنده، فأهل البيت على عظم قدرهم ومكانتهم في العلم إلا أنهم غير مشرعين، حتى لو أجمعوا على أمر فلا يعد إجماعًا، لأن الإجماع هو قول جميع المجتهدين في عصر من العصور، وأهل البيت يعتبر عددهم قليل جدًا بالنسبة للصحابة فلا ينعقد الإجماع، فالخلاصة: إن المعصوم هو النبي وهو الذي يدور الحق معه، أما غيره فيصيب ويخطئ، وكذلك جميع الأنبياء معصومون

فيما يبلغونه من أمر الدين، وأما غيرهم فليس لهم عصمة، ومن اعتقد العصمة في علي بن أبي طالب فقد جعله رسولاً نبياً، أما العصمة من الذنوب فكيف يثبتونها للأئمة الاثني عشر وهي لا تثبت حتى للأنبيا فإن الذنوب الصغيرة قد تصدر منهم مع ندرتها وعدم الاستمرار عليها، فيتوبون منها ويتوب الله عليهم.

الثامنة: {قول الملاحدة لماذا لا نرى الله إذا كان موجوداً بالفعل}.

السبب إن في هذا حكمة من الله لأن عدم رؤيتنا له في الدنيا اختبار للناس، ليؤمن بعضهم بالغيب ويكفر البعض الآخر، ولو رآه الناس في الدنيا لآمنوا به كلهم لعظمته وكمال صفاته، ولكن الله أراد أن يكون الناس قسمين أصحاب جنة وأصحاب سعير، وليس في عدم رؤية الله ظلم للثقلين بعد إرسال الرسل لهم وإنزال الكتب عليهم وخلق لهم عقولاً يتفكرون بها في آيات الله الكونية والشرعية، فالكون كله يشهد بوجود خالق عليم حكيم قدير، كوجود الشمس والقمر والسموات والأرض وعظم خلقهما، لأن عظمة المخلوق تدل على عظمة خالقه، والشمس تسير في غاية الدقة، فغروبها وشروقها يتأخر أو يتقدم كل يوم دقيقة واحدة فقط منذ آلاف السنين، فلا يمكن أن تتأخر عن الشروق أيام أو ساعات عن اليوم الذي قبله، ولم يحدث أيضاً أن يكون شروقها أو غروبها ثابت عند دقيقة معينة لا يزيد ولا ينقص، ولم يحدث أن القمر استمر أيام وحجمه واحد وثابت، ولم يستمر فصل الصيف سنين عديدة بدون شتاء، وكل هذا لم يذكر أحداً خلافاً على مر التاريخ، لأن خلق الله ليس فيه خلل أو نقص أو تردد كأعمال بني آدم التي كثيراً ما يحدث فيها خطأ أو تعديل أو تراجع، وهذا مثل المباني العظيمة كمنارات السحاب التي يتم ترميمها بعد كل مده من الزمن، ومثل أعلى السيارات والطائرات أو الهواتف الذكية التي يكتشف فيها خلل ويتم إصلاحه بعد ذلك، والآيات الشرعية تعتبر أهم من الآيات الكونية في الدلالة على وجود الله وقدرته سبحانه، وأما في الآخرة فلما

انتهت هذه الحكمة تكريم الله تعالى بمنح المؤمنين رؤيته ومنع الكافرين، ولا يعني عدم رؤيتنا لله في الدنيا إنكار وجوده، فهو موجود سبحانه وهو ظاهر بل هو أظهر الموجودات، فمن الذي خلق هذه المخلوقات إلا هو سبحانه؟ وهذا الأمر ثابت يقيناً، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [35]، فقله: (أم خلقوا من غير شيء) يعني أنه لا بد لهذه المخلوقات من خالق، فلا يعقل أن أي فعل يحدث بدون فاعل، فلم نشاهد شيئاً أتى صدفة هكذا بدون فاعل، مثال ذلك: لا تقدر على قول إن هاتفك الذي بين يديك لم يصنعه أحد، أو أن المباني التي نشاهدها لم يبنها أحد ولكن أتت في غمضة عين من نفسها، وأما قوله: (أم هم الخالقون) فمعناه أن المخلوقات لم تخلق أنفسها، لأن ما لا وجود له لا يمكن أن يخلق نفسه أو يخلق غيره لأنه غير موجود، هو في العدم، فإذا علمنا أنه لا بد من وجود خالق، وأن المخلوق لا يمكن أن يكون خالق، فلم يبقَ إلا أن نقول أن الله خالق كل شيء وما سواه فهو مخلوق، فتفكر أخي في قدرة الله عند خلقه للمخلوقات كيف أوجدها من عدم وصورها أحسن الصور وجعل صفاتها في غاية التطابق والدقة، فلا تجد مثلاً: إنسان له ثلاثة أعين، أو من يكون طوله عشرة أمتار أو ربع متر، أو حصان له خمسة أرجل، ولن تجد كذلك جنين يمكث في بطن أمه أقل من شهر أو أكثر من سنتين مثلاً، وهذا يدل على النظام والترتيب في الخلق وعدم العشوائية، فخلق الله دقيق وعظيم، لأنه من عالمٍ قديرٍ بكل شيء، نعم قد ترى تفاوت في مدة حمل الأم للجنين فقد تأتي به بعد حمل ثمانية أشهر أو تسعة أشهر ولكنه تفاوت يسير جداً، وهذا التفاوت له حكمة وهي الإحساس والشعور بأن هناك خالق يغير ويفعل ما يشاء، إذ لو كانت المدة واحدة وثابتة لا تتغير فلن يثير هذا اهتمامك وشعورك، وستعود على هذه المدة وتألفها ولن تشعر بتدبير الله.

التاسعة: {موافقات عمر بن الخطاب للقرآن}.

وهذا من مناقبه وفضائله رضي الله عنه، فقد حصلت له الموافقة في أشياء كثيرة حتى أوصلها بعض أهل العلم إلى خمسة عشر وهذه بعضها: -

أخرج الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة [125]، وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهم يحتجب فنزلت آية الحجاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الأحزاب [59]، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْ كُنَّ﴾ التحريم [5]، فنزلت كذلك).

وقال أيضًا: (وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر) [مسلم].

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال: قال عمر (وافقت ربي في أربع نزلت هذه الآية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ١٢ ﴿اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ١٤ المؤمنون [12] فلما نزلت قلت: فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ١٤ المؤمنون [14]).

وروى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله وثبت إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا، كذا وكذا؟! قال: أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله وقال: (آخر عني يا عمر) فلما أكثرت عليه قال: (إني خirt فاخترت لو أعلم أي إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها) قال: فصلى عليه رسول الله ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾

إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ
﴿٨٥﴾ التوبة [84، 85].

وشبهتهم في ذلك أن هذه الآيات هي من كلام عمر وليست من كلام الله، وبعضهم يكذب عمر، فنقول لهم: إن هذه الموافقات هي بالنسبة لمجموع القرآن وقائع قليلة جداً، ولم يكن عمر متدخلًا في الوحي ولا هو من تأليفه لأنه ينزل من عند الله، وإنما كان رضي الله عنه صائبًا في غالب اجتهاداته فيوافق كلامه كلام الله، فكان يتكلم ببعض الآيات بعد أن تكلم الله بها، لأن الله تكلم بالقرآن فسمعه جبريل ثم أنزله إلى النبي، فقبل أن ينزل به جبريل على الرسول يلهم الله عمر بن الخطاب، فكلامه بعد أن تكلم الله به لا يعارض كونه كلام الله، وكأن الله يؤيده لأنه كان على الحق، وتأمل قوله: وافقت ربي ولم يقل وافقني ربي فعلمنا أن الله هو من ابتداء بهذا الكلام، وأما ادعاء بعضهم أن عمر خالف النبي فهذا كذب عليه، إذ لو أنه أراد المخالفة لما استشار النبي في الوقائع التي ذكرناها ولفعل كما يفعل من كان في قلبه غل على الرسول كالمنافقين، واعلم أنه لم يكن رضي الله عنه معصومًا من الخطأ، بل ربما أخطأ في بعض آرائه، كما في حادثة صلح الحديبية فقد كان معارضًا لأنه يرى أن فيه ظلم على المسلمين ولكنه رجع عن رأيه وامثل لأمر النبي، ومع هذا فأبو بكر الصديق أكمل إيمانًا من عمر، فإنه كمل في تصديقه للنبي فلا يتلقى إلا عنه، والنبي معصوم، والمُحَدَّث كعمر يأخذ أحيانًا عن قلبه ما يلهمه ويحدث به، لكن قلبه ليس معصومًا كالنبي، فعليه أن يعرض ما ألقى عليه على ما جاء به الرسول، فإن وافقه يقبله، وإن خالفه يرده، والنبي أكمل منهما الاثنين إيمانًا، فلم تكن مصلحة الحجاب أو أسرى بدر أو غيرها تخفى عليه ولكنه كان ينتظر الوحي من ربه وكان في غاية التسليم لخالقه، وفي هذا دليل وبرهان

على أن النبي لا يعلم الغيب كما يعتقد الجهلة، فلم يكن يعلم عن حال بن سلول ونفاقه أما عمر وبعض الصحابة فربما أنهم شاهدوا أو سمعوا منه ما لم يشاهد النبي، فكان ابن سلول يسب النبي ويعادي الإسلام وإذا واجه النبي يخفي ذلك، وهناك منافقين آخرين في المدينة كان النبي متيقن أنهم كارهون للإسلام ولكن منعه من قتلهم أو إخراجهم من المدينة خشية حديث الناس الذين يعيشون خارج المدينة أن محمداً يقتل أصحابه، لأنهم كانوا يصلون في المساجد ويجاهدون مع النبي مداهنة وغش للمسلمين فلو تحدث الناس بهذا الحديث لحصل تشويه لصورة وسمعة الإسلام خاصة عند حديثي العهد بالإسلام فقد كانت شمس الإسلام في بداية شروقها، بعد أن كان أغلب الناس مشركين في زمن أهل الفترة، فأراد النبي أن لا يثير الشُّبُهَة حول الإسلام وبهذا نعرف أن المنافق أخطر ممن يظهر كفره.

العاشرة: {اعتقاد وجود خطأ في ذكر القرآن لمراحل خلق الجنين}.

يعنون هذه الآية ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ المؤمنون [14].

النفطة: المني.

علقه: دم.

مضغه: قطعة لحم صغيرة على قدر ما يُمَضَّغ «اللقمة».

فكسونا: فألبسنا.

ثم أنشأناه خلقاً آخر: نفخ الروح فيه.

أي أنه يكون في بطن أمه نفطة أربعين ليلة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغه مثل ذلك، وبعد أربعة أشهر ينفخ الملك فيه الروح بأمر الله، يعني

أن النطفة تحولت إلى دم، والدم تحول إلى لحم، ثم نشأ العظم داخل اللحم، وهذه الآية ثار الملاحدة عند سماعها محاولين القدح في كتاب الله وتشكيك الناس فيه، وقالوا إن المرأة الحامل إذا أسقطت الجنين فإننا لا نرى هيكلًا عظميًا، وهذا فهم خاطئ منهم، فهم يعتقدون أن القرآن ذكر أن خلق العظم قبل خلق اللحم والصحيح هو العكس، فالعظام تنشأ في داخل اللحم أي أنها تتكون بعد اللحم، بدليل أنه ذكر المضغة قبل ذلك والمضغة هي لحم كما قلنا، ولا يعني ذلك أن العظام بقيت وقتًا غير مكسوة، والأطباء يعرفون هذا الأمر جيدًا مؤمنهم وكافرهم، ولا ينكره أفضل وأشهر علماء التشريح والأجنة في العالم، ولكن المعترضين على الآية لم يسألوا علماء الدين ولا علماء اللغة ولا علماء الطب، وقد فكروا وتصيدوا في الخطأ المزعوم ولم يفكروا في عجائب قدرة الله وكيف إنه عز وجل خلق من النطفة التي هي جماد إنسانًا حيًا له عقل وجوارح ولسان وينمو جسده بدقة واتقان، يأتيه رزقه في مكان لا يراه فيه الناس، وهذا المكان «الرحم» لا يُمُجُّه ولا يسقطه إلا أن يشاء الله، ثم أخرجه من بطن أمه فدلَّه على ثديها ثم أعلمه القعود ثم الحبو ثم القيام على رجله ثم المشي ثم الفطام ثم الأكل إلى أن بلغ الحلم، مع أنه كان في الأصل نطفة صغيرة فأصبح حجمه كبيرًا، وبعد هذا يعترض على القرآن والسنة! وكل هذه المراحل تمر على الناس في نفس المدة الزمنية، وبنفس الترتيب فلا تتقدم مرحلة على أخرى، ولو كان التحول يحدث مرة واحدة لما تعجب أحد منه ولكنها تحولات كثيرة دقيقة منظمة، وهذا كله يمر على جميع الناس وليس على بعضهم، فسبحان الله العلي العظيم.

الحادية عشرة: {ادعاء أن القرآن أخطأ في تحديد مكان ماء الرجل وماء المرأة}.

ويقصدون هذه الآية ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ الطارق [7]، فقالوا إن ماء الرجل في الخصية، وماء المرأة في البويضة، ولا علاقة للصلب والترائب أبدًا.

الرد عليها: أولاً: معنى الصلب هو ظهر الرجل، ومعنى الترائب هي أضلاع صدر المرأة وهي ما بين الثدي والترقوة.

ثانياً: القرآن لا ينفي دور الخصية في إنتاج المنى، ولا دور المبيض في إنتاج البويضة، وهذا الأمر معلوم من قديم الزمان، وما زال الناس يقومون بإخصاء الحيوانات، كما يفعل ذلك أهل الأغنام من أجل تسمينها ولتكون لحومها أطيب ولا رائحة فيها، وكذلك الرجل إذا فقد خصتيه فسيصبح عقيماً لا ينجب، والمرأة نفس الشيء إذا أجرت عملية إزالة المبايض فلا يمكن أن تحمل، وإنما تحدث القرآن عن أصل ونشأة كلا المائين «المنى والبويضة» فالمنى يتكون في نخاع العمود الفقري والبويضة تتكون في أضلاع صدر المرأة، وبعد ذلك ينتقل ماء الرجل عبر شرايين وعروق إلى الخصيتين، التي هي بمثابة المخزن والممر، كما ينتقل ماء المرأة من ترائبها إلى مبيضها، وهذا ما أثبتته العلم الحديث، وهو معلوم حتى عند الناس القدماء، فهذا جرير في قصيدته كان يذم إحدى القبائل ويقول: (من الأصاب ينزل لؤم تيم / وفي الأرحام يخلق والمشيّم).

يقصد أن لؤم وخسة هؤلاء القوم انتقلت إليهم من آبائهم وأجدادهم عن طريق ظهورهم لأنهم من نسلهم، فهو أمر مشهور ومتداول بين الناس مع أن جرير لم يكن من علماء تفسير القرآن ولكن يبدو أنه مما تناقله الناس بينهم من الأخبار اليقينية وأجمعوا عليه، ويبرهن ذلك أن كثيراً من الرجال الذين تعرضوا لإصابات قوية في ظهورهم توقفوا عن الإنجاب من غير كبر في سنهم وبعد أن كانوا ينجبون، وهذه الشبهة هي كالتى قبلها لا ينكرها الأطباء.

الثانية عشرة: {يشكك البعض ويقول: لماذا هناك أحاديث ضعيفة في السنة، ولماذا لم يجعل الله جميع أحاديث الرسول متواترة مثل القرآن؟}.

ومعنى المتواتر هو «ما رواه جمع لا يمكن تواطؤهم وتوافقهم على الكذب عن مثلهم، ومستند خبرهم الحسن»، وقبل الرد على هذا يجب أن نفرق بين الحديث الموضوع «المكذوب» والحديث الضعيف، فالحديث المكذوب هو من عمل أعداء الدين، وهذا لا نعمل به ولا ننسبه إلى الرسول لأنه لم يصدر منه، ولا نرويه إلا من أجل أن نوضح كذبه، وأما الحديث الضعيف فيختلف عن الحديث المكذوب في أمور وهي: -

1- أنه أحياناً يكون مختلف فيه، فيضعفه علماء ويصححه علماء آخرون، أما الحديث المكذوب فمعلوم للجميع بطلانه.

2- جواز العمل بالحديث الضعيف بشروط يجب تحقيقها كلها وهي: -

أولاً: أن يكون ضعفه يسير كأن يكون أحد الرواة عنده وهم أو ناقص الحفظ، أما إذا كان ضعفه شديداً، كأن يكون فيه من هو متهم بالكذب، أو فاحش الغلط، أو فيه انقطاع أو إرسال، ولا متابع له ولا شاهد، فهذا لا نعمل به ثانياً: أن تكون طرق الحديث قد تعددت وكثرت.

ثالثاً: أن يعمل به فقط في الترغيب في الأعمال الصالحة وفي الترهيب من الأعمال السيئة التي لها أصل في الشرع، من غير إثبات عبادة جديدة، فمثلاً: تلاوة القرآن والدعاء والتسبيح والصدقة قد وردت في الشرع وورد ثوابها، أما أن نأتي بعبادة جديدة فلا يجوز، وكذلك لا يجوز العمل بالحديث الضعيف إذا تضمن تقدير وتحديد للعبادة مثل صلاة في وقت معين أو على صفة معينة، والحديث الضعيف حتى لو كان ضعفه يسيراً لا تثبت به الأحكام الشرعية كالحلال والحرام، ولا تثبت به العقائد كصفات الله.

رابعاً: ألا نعتقد ثبوته يقيناً عن الرسول، فلا نستخدم صيغ الجزم كقول (روى - حكى - قال) ولكن نذكره بصيغ التمريض كقول (رُويَ - حُكيَ - قيل).

نعود إلى الشبهة لنرد عليها ونقول: إن الحكمة من وجود أحاديث ضعيفة أو مكذوبة هو من أجل الثقة بالأحاديث الصحيحة، فما دام أن العلماء استطاعوا تمييز الصحيح عن غيره فالسنة محفوظة، أما لو كانت الأحاديث مختلطة لما ميزوها وانعدمت ثقتنا بها، ولو كانت الأحاديث الضعيفة نادرة لقل مجهود علماء الحديث، ولكن لما زاد عددها تضاعف مجهودهم، وهذا الذي جعل كتب الشرائع السابقة مليئة بالمكذوبات لأن مجهودهم كان قليل فأتى بعدهم من زاد فيها من تأليفه، أما أمة محمد فجهودهم في التحقيق والتدقيق في الأحاديث ومتونها وأسانيدها قوية جداً، فالإسناد من خصائص أمة محمد من أجل حفظ الدين وتفريق الصحيح من الضعيف، فلم يكن عند الأمم السابقة إسناد، والحكمة الثانية من وجود أحاديث ضعيفة لأجل أن يكون القرآن هو الكتاب الوحيد الخالي من الضعف، فكله صحيح ومتواتر، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (أبى الله أن يتم إلا كتابه) والحكمة الثالثة هي اختبار الله للناس، فيظهر الذي يدرس الأحاديث ويتأكد منها والذي لا يسأل عن صحة الأحاديث ولا يبالي وربما يعمل ويحتج بالحديث المكذوب مع علمه به اتباعاً لهواه، فالسنة قد حفظها الله، وأغلبها متفق على صحته أو ضعفه، فيبقى لنا جزء يسير قد يقع فيه خلاف بين العلماء وهو لا يخل بأساسيات الدين وأصوله لما عند المسلمين من أحاديث كثيرة صحيحة وعامة يعرفون بها العقائد والعبادات والمعاملات والأخبار التي لا غنى عنها، فما كانت الحاجة إليه ماسة فهو منقول إلينا نقلاً صحيحاً، وما كانت الحاجة

إليه غير مأسّة فقد يختلف فيه، والدليل على أن السنة محفوظة أنه لا يوجد حديث مكذوب يعمل به المسلمون باستثناء القليل من عوام الناس، إنما يوجد أحيانًا صحيح للضعيف أو تضعيف للصحيح.

الثالثة عشرة: {ادعاء أن قبر النبي في المسجد النبوي}.

وهذه حيلة مكشوفة من عباد القبور الذين يريدون تجويز بناء الأضرحة، فإذا كلمت أحدًا منهم ونصحته قال: هذا قبر سيد الخلق في مسجده وهي حجة واهية منهم، فالرسول كان قد بنى حجرات زوجاته مجاورة للمسجد النبوي وليست في المسجد، فلما مات دفن في حجرة عائشة لأن الأنبياء يدفنون في المكان الذي ماتوا فيه ولا يحملون بعيدًا تكريمًا من الله لهم، وأيضًا خاف الصحابة أن يغلى فيه إذا كان في البقيع بارزًا، فدفنوه في بيته خشية أن يحصل فيه الغلو وأن يتخذ قبره مسجدًا، فقبره في بيته وليس في المسجد، ثم لما وسع المسلمون المسجد أدخل بيته في المسجد، والذي وسعه هو الوليد بن عبد الملك في عام 88 للهجرة تقريبًا، وقد نصحه الناس ولكنه رأى أن إدخاله لا يضر، لأنه معلوم أنه في بيته والحاجة تدعو إلى ذلك، فجهة الغرب كانت صعبة لأنها على جبل فاختر أن تكون التوسعة جهة الشرق، وهو مخطئ في هذا، ولكن الآن القبر محاطًا بعدة جدران وليس جدارًا واحدًا فقط، فهو مفصول ومعزول تمامًا عن المسجد، وهو أيضًا منحرف في زاوية المسجد وليس وسطه، ليتعذر استقباله للمصلي، فلا يُصلى إليه ولا يُطاف حوله، والمسجد النبوي لا يمكن ترك الصلاة فيه لما خصه الله من الفضل، وقبر النبي لا يمكن نقله لمكان آخر لحُرمة النبي وعظيم منزلته، وهذان الأمران لا يمكن حدوثهما في غير هذا الموضع، أما المساجد الأخرى فإنه لا مانع من نقل القبر الذي يكون فيها، ولا خصيصة لها عن غيرها، فلا يقاس على هذه الصورة غيرها،

فمسجد النبي أفضل مساجد الأرض بعد المسجد الحرام، والصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه عدا المسجد الحرام، فتبين خطأ الوليد في عمله، ولا يقتدى به لأنه خالف النصوص، فلا نقول يجوز دفن الميت في المسجد أو بناء المسجد على القبر لأن قبر النبي في المسجد النبوي! وهذا لا يقوله مسلم موحد، ولو كان هذا جائز لفعله الصحابة الذين هم خير من الوليد وغيره، ولم يصدر هذا العمل من أحد من السلف على كثرة موتاهم وكثرة قبورهم، وبعد أن علمنا هذا فقد زال الإشكال.

الرابعة عشرة: {التكذيب بالإسراء والمعراج}.

وهذه الحادثة كذبها كفار زماننا كما كذبها أسلافهم المعاصرون للنبي، فهي ليست وليدة اللحظة، فهم يقولون إنها لا تدرك بالعقل، والرد عليهم أن الإسراء والمعراج «الصعود» كما صح نقلاً فهو صحيح عقلاً ولا تنكره العقول السليمة، فإذا كانت سرعة الضوء 300 ألف كيلومتر في الثانية وهي مهولة للغاية، وسرعة الطائرة 1000 كيلومتر في الساعة فما المانع أن تكون دابة البراق سرعتها 5000 أو 10000، فهي كلها من مخلوقات الله وتحت تدبيره، ولو فرضنا أن رجلاً عاش في القرن الخامس أو السادس الهجري وقيل له أنك ستحدث شخصاً في مصر صوتاً وصورة، فتراه وتسمعه وأنت في الصين فهل كان سيصدق ذلك؟ لن يصدق أبداً، ولكن عدم تصديقه لا يدل على صدقه، فالأجهزة الذكية نستخدمها نحن باستمرار، وهكذا حال من يرد النصوص ويعتمد على عقله، فعقول البشر لا تدرك كل شيء وليست هي المرجع، المرجع هو قول الله وقول رسوله، ومن هنا تأتي أهمية التسليم لأدلة الشرع للسلامة من الأخطاء، أما العقل البشري فيعترية الخطأ والنقص لا محالة.

❖ ❖ قصة الإسراء والمعراج:

هي معجزة عظيمة حدثت لنبينا عليه الصلاة والسلام في العام العاشر للبعثة وهي ثابتة بالنص والإجماع، والإسراء هو ذهاب النبي من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس، والمعراج هو صعوده من بيت المقدس إلى السماوات السبع، وتبدأ القصة عندما أتاه جبريل عليه السلام في ليلة من الليالي وأخذه وشق ما بين ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، ثم استخرج قلبه وغسله بماء زمزم فملأه حكمة وإيماناً، فأعاده إلى صدره، ثم عرض على النبي لبن وخمر فاختر النبي اللبن فشربه، فقال له جبريل: (لقد اخترت الفطرة «الإسلام والاستقامة» ولو اخترت الخمر لَغَوَتْ أمتك) فركب النبي وجبريل على دابة بيضاء دون البغل وفوق الحمار وهي «البُراق» الذي كان يضع خُطوته عند منتهى طرفه ليقطع المسافات بسرعة فائقة فانطلق به إلى المسجد الأقصى، وصلى نبينا بالأنبياء وكان هو الإمام في الصلاة لأنه أفضلهم، ثم عرج به إلى السماوات، وفي كل سماء كان يلتقي بنبي من الأنبياء ويسلم عليه، حتى وصل إلى السماء السابعة فشهد البيت المعمور وسدرة المنتهى «سميت بالمنتهى لأن عندها تنتهي علوم الخلائق فلا يعلمون ما فوقها»، وعند السدرة رأى النبي جبريل على صورته التي خلقه الله عليها لأنه قبل ذلك كان يأتيه على هيئة بشر بصورة أحد الصحابة وهو دحية الكلبي رضي الله عنه، فهذه هي المرة الثانية التي رأى النبي جبريل على صورته الحقيقية، وأما المرة الأولى فكانت في بداية البعثة، فقد رآه وله ستمائة جناح وقد سد الأفق من ناحية المشرق، كما شاهد النبي في ليلة المعراج الجنة وأهلها والنار وأهلها، ثم رأى الله سبحانه بفؤاده للمرة الثانية، ولم يراه بعينه لأن الإنسان ضعيف لا يتحمل رؤية الله العظيم، وهذا مثلما حصل لموسى عليه السلام عندما طلب رؤية الله، فكشف الله من الحجاب قدر أنملة الخنصر فقط فذُكَّ الجبل من قوة نور الله وتفتَّت وأصبح

تراباً ملصقاً بالأرض ثم دخل تحت الأرض وهذا هو جبل الطور بمدين، وسقط موسى مغشياً عليه ولم يمُت، لكن الله سيجازيه على هذه الصعقة بأن لا يُصعق في موقف يوم القيامة كبقية الخلق لأنه قد صُعق في الدنيا، وهذه غير صعقة الموت التي ينفخها إسرافيل في آخر الدنيا عند خراب العالم وترك توحيد الله، والذي دك الجبل هو نور الله، أما الذي رآه النبي في ليلته هذه فهو نور الحجاب وليس نور الله، لقول النبي كما عند مسلم (نورُ أنى أراه) أي كيف أراه وبينني وبينه نور الحجاب، ولو كان رأى نور الله لما نفى الرؤية، ولا حرق النبي وتفتت كالجبل، فنور الله صفة من صفاته، أما الحجاب فهو مخلوق، ولو ذهب الحجاب لاحترق الخلق جميعهم من قوة نور الله، فإذا كان الجبل لم يقدر على التحمل فالبشر لن يقدرُوا بالتأكيد، ولكن سبب طلب موسى للرؤية ليس العناد والتكذيب كما قال قومه: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَفْعَلْنَا لَكُمْ نِعْمَةً﴾ النساء [153]، ولكنه عندما كلمه الله سبحانه دخل السرور إلى قلبه فطمع في الرؤية شوقاً لربه، فالحاصل أنه لا أحداً يرى الله في الدنيا، أما في الجنة فقد جعل الله رؤية المسلمون له أعظم جائزة لهم على إيمانهم، لأن رؤية الله ورضاه أفضل من دخول الجنة، ونعود لنستكمل قصة النبي، فلما ارتقى إلى السماء السابعة كلمه ربه مباشرة من غير واسطة، وفرض الله الصلوات الخمس، وهذا من أجل أهميتها فلم تفرض في الأرض كسائر العبادات، ولم تفرض بواسطة جبريل، بل من الله مباشرة، ثم عاد النبي من ليلته في صحبة جبريل ودخل مكة قبل صلاة الفجر، فأخبر قريش بما رأى فكذبوه وقالوا: كيف تزعم يا محمد أنك أتيت بيت المقدس ورجعت في ليلة، ونحن نضرب إليه أكباد الإبل شهراً، فصِف لنا بيت المقدس إن كنت صادقاً فوصفه لهم وصفاً دقيقاً ولم يصدقوه مع أنه لم يشاهد المسجد الأقصى قبل ذلك، وجاء الناس إلى أبي بكر وقالوا: إن صاحبك يقول: كذا وكذا، قال: (لئن كان قد قال فقد صدق) ولهذا سمي

بالصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه، لتصديقه وبقينه، ولقد كانت هذه القصة مليئة بالعجائب الدالة على قدرة الله، وعلى صدق نبيه وعلى إكرام الله له، والصحيح إنه أُسري به في اليقظة بجسده وروحه، ولو كان بروحه أو في المنام لما كذبه كفار مكة، وفي كل سنة يتم الاحتفال من البعض بليلة الإسراء والمعراج وحكمه أنه محرم لأنه بدعة، فلا يجوز الاحتفال بها ولا بمولد النبي، ولو كان ذلك خيرًا لما سبق أحد السلف إليه وهم خير الأمة، بل حتى لم يحتفل بها النبي نفسه، فهي بدع محدثة، والبدعة أحب للشيطان من الكبيرة، لأن صاحب البدعة يزين له سوء عمله فيراه حسنًا، ويرى أن ما عليه هو صواب، وأن ما عليه غيره خطأ، وبذلك فإن توبته ليست قريبة، بخلاف صاحب الكبيرة، فإنه يرى أنه مخطئ، ويرى أنه عاصي لله، فتوبته مرجوة وقريبة، فما دام أن الصحابة لم يحتفلوا بالإسراء والمعراج ومولد الرسول فهي بدع محدثة، لقاعدة (كل عبادة لا يعرفها الصحابة فهي بدعة).

الخامسة عشرة: {تكذيب حديث حفظ الله لمن صلى الفجر}.

قال الرسول: (من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه في نار جهنم) [مسلم].

اعترض بعض الناس على هذا الحديث وقال: إن كل المسلمون يصلون الفجر ومع ذلك يتعرضون للظلم فما هو توجيه الحديث؟

الجواب: إن معنى الحديث أن من صلى صلاة الفجر كان في أمان الله وحفظه، ومن تعرض له بسوء أدخله الله النار، لما في أدائها من ثقل ومشقة فلا يحافظ عليها ويستيقظ من النوم إلا من كان مخلصًا لله قوي الإيمان، بشرط أن يصلّيها جماعة كما جاءت مقيدة في الأحاديث الأخرى، فالحديث واضح وظاهر المعنى، ولا يدل على أن أحدًا يسلم من ظلم الناس، حتى الأنبياء أفضل الخلق تعرضوا للأذى فُشِّمُوا وأُخرجوا من ديارهم وقُتل بعضهم من

أقوامهم، فلو كان المراد أنه لن يتعرض للضرر لما توعد الله من يؤذيه لأنه لن يحدث، ولكن المقصود هو أن الله سيأخذ حقه ممن ألحق به الضرر بغير وجه حق وينتقم له، فالحديث فيه نهي عن التعرض بالظلم لمن صلى الفجر وليس نفي حدوث الظلم.

السادسة عشرة: {تكذيب رواية أبي هريرة لأحاديث كثيرة}.

سمعنا من يقول إنه لا يعقل أن أبا هريرة يروي هذا الكم الهائل من الأحاديث مع تأخر إسلامه، وأنه روى عن النبي أكثر مما روى من أسلم مبكرًا، والرد عليهم أن أبا هريرة رضي الله عنه أسلم قبل الهجرة بسنوات عديدة ولم يتأخر في إسلامه وهذا هو الصحيح، وعلى فرض صحة كلام من قال أنه أسلم في العام السابع للهجرة بعد غزوة خيبر فمع أنه قول ضعيف إلا أننا سنبين أنه لا إشكال فيه، فالنبي توفي في السنة الحادية عشرة للهجرة، يعني إن أبا هريرة قد سمع من النبي خلال أربع سنوات وهي ليست بقليلة، فلو كان يسمع كل يوم خمسة أحاديث فقط سيصبح العدد الكلي أكثر من سبعة آلاف، مع أنه يمكن أن يسمع أكثر من ذلك بكثير وبدون مشقة، ولكن مروياته أقل من هذا العدد الذي افترضناه وهي نحو (5374) فقط، وفيها الضعيف والمكرر، وبعضها يرويه أبو هريرة عن الصحابة وليست كلها عن الرسول، وقد كان رضي الله عنه ملازمًا للنبي ﷺ ملازمة تامة، يصاحبه أينما حل وارتحل، ويقضي معه معظم يومه، كما أخبر هو عن نفسه، وكان أيضًا متفرغًا للحديث، فلم يكن عنده أموال تشغله، ومعلوم أن الحديث ليس كله أقوال للنبي، فقد يكون الحديث من أقوال النبي أو أفعاله أو وصف للنبي أو إقرار منه لقول أو لفعل فعل أمامه أو بلغه وأقره، وسبب حفظه للحديث هو دعاء النبي له، فكان لا ينسى ما حفظ، وأنت يا من تقرأ كلامي هذا يمر عليك في اليوم الواحد الكثير من الأحداث ومن المواقف ومن كلام الناس فكيف بالشهر والسنة.

السابعة عشرة: {لماذا تأخر المسلمون في تدوين السُّنة؟}.

وهذا السؤال يكثر طرحه من الزنادقة، والرد عليهم أن كتابة السنة كانت مبكرة في عهد النبي وهذه هي المرحلة الأولى من التدوين، لكن لم يفعله إلا قليل من الصحابة كعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص، فلم يكونوا حريصين وقتها على الكتابة لثلا يهجر القرآن أو يختلط مع الحديث، وهذا مناسب لحالة الناس في ذلك الوقت، فإن عهدهم بالقرآن لا يزال حديثاً، وخصوصاً من دخل في الإسلام من أهل الآفاق، وهناك سبب آخر وهو أن النبي أثناء حياته كان نزول الوحي عليه مستمراً ولم ينقطع، فكانت السنة تزداد كل يوم ويحدث فيها ناسخ ومنسوخ فأراد الصحابة أن يكون التدوين بعد اكتمال سنة النبي، وأيضاً بعض الصحابة ذهب إلى الشام أو اليمن أو إلى الأمصار فلا يمكن حصر السُّنة في زمن قصير، حتى إن الصحابي جابر بن عبد الله رحل مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس ليسأله عن حديث واحد سمعه من النبي! وكذلك لأن السنة ليست كالقرآن الذي يُتَعَبَد بلفظه وتلاوته، وإنما للعمل بمعانيها، وهذا لا يُحتاج معه أن يكون كل واحد من الصحابة مطلعاً على جميع السنة بألفاظها، بل يكفي أن يعلم كل واحد منهم البعض منها، ثم يسألون بعضهم بعضاً عند الحاجة، وكان الصحابة ملهمين إماماً كبيراً بالعلم الشرعي، فما كان يخص الأحكام والعقيدة ويترتب عليه طاعة أو معصية فلم يكونوا يجهلونه لمعايشتهم النبي سنين طويلة، فعلم الأحاديث هو في قلوبهم ولا ضرر في ترك كتابتها، أضف إلى ذلك أن حفظ السنة لا يقتصر على الكتابة فقط، بل يمكن أن يتم بالاستماع كما كانت هي عادة الصحابة ثم يحفظونها في صدورهم وهذا يدل على صفاء أذهانهم رضي الله عنهم، فمن حرصهم عليها أنهم كانوا يتعلمونها من بعضهم بالمشافهة التي هي أفضل من الكتابة وأكثر دقة، ومن أمثلة ذلك روايات ابن عباس الكثيرة عن النبي، مع أنه لم يسمع منه

إلا أحاديث قليلة، فقد توفي رسول الله وهو شاب صغير السن، مما يدل على أنه سمعها من الصحابة، ثم بعد ذلك أتت المرحلة الثانية من تدوين السنة من بعض التابعين أمثال همام بن منبه الصنعاني الذي كان عنده صحيفة رواها عن أبي هريرة وكان ذلك في منتصف القرن الهجري الأول، كما كتب سعيد بن جبير الأسدي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذلك دَوَّن التابعي عامر بن شراحيل الشعبي، وغيرهم الكثير، ثم بعد ذلك أتت المرحلة الثالثة من التدوين وكان هذا في نهاية القرن الهجري الأول بأمر من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فكانت الكتابة هذه المرة بشكل أكبر من سابقتها لعدة أسباب وهي:-

- 1- بسبب موت الصحابة والخشية من ضياع السنة.
- 2- بسبب حصول الأمن على القرآن أن يشتبه بغيره من السنن، وذلك بعد أن حفظه وتعلمه كثير من المسلمين.
- 3- بعد أن طالت الأسانيد التي كَثُرَتْ علم الحديث فأصبح من الصعب حفظ الأسانيد في صدور الرجال، وأما قبل ذلك فلم يكن أحد يسأل عن الإسناد لأن الصحابة كلهم عدول، فلما انقرض قرن الصحابة وظهر الكذب بدأ الاهتمام بالأسانيد.

وقد أحسن عمر بن عبد العزيز رحمه الله الاختيار عندما كلف الزهري بكتابة الحديث، وذلك لغزارة علمه ولأنه تتلمذ على يد الكثير من الصحابة وكبار التابعين، وكذلك كلف معه أبي بكر ابن حزم وغيرهم، فكان عمر بن عبد العزيز أول من دَوَّن الحديث بشكل واسع، والزهري هو من وضع حجر الأساس في تدوين السنة في كتب خاصة، واستمرت كتابة الحديث في القرن الثاني والاهتمام به، وفي القرن الثالث للهجرة بدأت المرحلة الرابعة لكتابة الحديث وهي أفضل المراحل حيث دونت السنة تدويناً كاملاً، وظهرت كتب

الحديث الستة المعروفة، وصنفت المسانيد كمسند الإمام أحمد، ومسند إسحاق بن راهويه، فكان هذا القرن أفضل العصور لجمع السنة، وبعض الناس يعتقد أن أول من دون الحديث هو البخاري وهذا خطأ، فقد سبقه كثيرون كما وضحنا، ولكن سبب شهرته أنه أصح كتب الحديث، وهو أول مصنف في الصحيح المجرد.

الثامنة عشرة: {الاعتراض على زواج النبي من عائشة وهي صغيرة في السن}.

عائشة رضي الله عنها عقد عليها الرسول وعمرها ست سنين ودخل بها في عمر تسع سنين، والنساء يختلفن من حيث العقل والقوة والصبر والجسم، والتفاوت موجود بينهن وملاحظ، وأسرع بلوغ للمرأة يكون عند التاسعة فهي تبلغ قبل الرجل، قال الإمام الشافعي رحمه الله: (رأيت باليمن بنات تسع يحضن كثيراً) وذلك لأن البلاد الحارة كالحجاز واليمن يبلغ فيها الرجل والمرأة قبل البلاد الباردة، ثم إن هذا امر لا يستنكر فمتى ما كان الزواج حلالاً فإنه لا يعاب على الزوج أو الزوجة ويكون محموداً، وهناك فوائد كثيرة من زواج النبي بعائشة وهي محبته الشديدة لأبيها الذي كان أحب الرجال إليه، كما كانت عائشة أحب النساء إليه، إضافة إلى ما رآه النبي فيها من ذكاء وفطنة وصلاح، فأراد أن تنشأ على حمل شريعته عنه لأمته فكان الأمر كما أراد الله ثم أراد نبيه، فهي أكثر من روى أحاديث النبي بعد أبي هريرة وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك، فقد روت (2210) من الأحاديث، والزواج عند البلوغ هو الأفضل والمستحب، لأنه يحفظ البصر والفرج من الحرام، ولتكاثر الذرية، ونحن نعلم أنه لا بد في النكاح من رضا الزوجين، فلا أحد يحق له إجبار ابنته أو ابنه على الزواج، فلو اعترضت عائشة على الزواج لقلنا إن في هذا ظلم لها ولكنها لم تعترض، والدول الكافرة التي تحرم وتجرم زواج البنت قبل عمر

العشرين يكثر عندهم الزنى وأبناء الحرام، فلا هم طبقوا شرع الله ولا هم عَفُوا بناتهم.

التاسعة عشرة: {تكذيب حديث إن الله خلق آدم على صورته}.

قال الرسول ﷺ: (إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته) [مسلم]، وهذا الحديث أنكره من لم يفهمه، حتى قال بعضهم إنكم معشر أهل السنة شبهتم الله بخلقه، ومعناه عند أهل العلم أن الله سميع بصير وله وجه ورجل وقدم وساق ويتكلم إذا شاء، وكذلك آدم موصوف بهذه الصفات، فهو يسمع ويصير ويتكلم وله وجه ورجل وساق، وليس في الحديث إثبات الشبه بين الله وبين الإنسان، لأن الله منزّه عن مشابهة المخلوقات وله الكمال المطلق في أسمائه وصفاته وأما المخلوق فهو ناقص.

العشرون: {يقول البعض إن هناك أناس محافظون على الصلوات ولم تنتههم صلاتهم عن المعاصي، فما تفسير قوله الله في محكم التنزيل ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت [45]}.

والجواب: إن المؤمن إذا أدّى الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها وسننها نهته عن الفحشاء والمنكر، أما من أتى بها ناقصة أو أخرها عن وقتها أو لم يطمئن فيها فلن تنهاه عن المعاصي لوجود خلل في عمله هو وليس الخلل في عبادة الصلاة، وهناك أمر آخر وهو أن من يحافظ على الصلاة إذا لم يترك المعاصي بالكلية فسوف يقل إقباله عليها أو يتركها مستقبلاً، مع العلم أن كل إنسان تصدر منه ذنوب، ولا أحد يسلم منها.

الخاتمة

هذا والله أعلم بكل شيء، اللهم علمنا ما ينفعنا واهدنا سبيل الرشاد،
والحمد لله حتى يرضى وصى صلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق رسولنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين اللهم
اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ووفق حكامنا وعلماءنا.
ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ربنا آتنا في
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين...

الفهرس

5	المقدمة
7	أركان الإيمان الستة:
87	مصادر الشريعة
98	القرآن الكريم
119	الحديث الشريف
130	الصحابة
134	مقاصد الشريعة
142	الصلاة
195	أهل السنة والجماعة
202	علم الغيب
209	السحر
213	التبرك
219	عقائد باطلة منتشرة بين الناس
223	الدعاء
235	الولاء والبراء

247	 الجهاد في سبيل الله
256	 مسألة العذر بالجهل
262	 اختلاف العلماء
268	 طاعة ولي أمر المسلمين
275	 جواز كتمان العلم للمصلحة الدينية
279	 حكم تعليق التمايم
288	 أمور يحرم تواجدھا في بيت المسلم
291	 مكفرات الذنوب
307	 الهجرة
316	 ادعاء تعارض الأدلة الشرعية
325	 ألفاظ ممنوعة شرعاً
334	 بعض الشبهات والرد عليها
364	 الخاتمة
365	 الفهرس